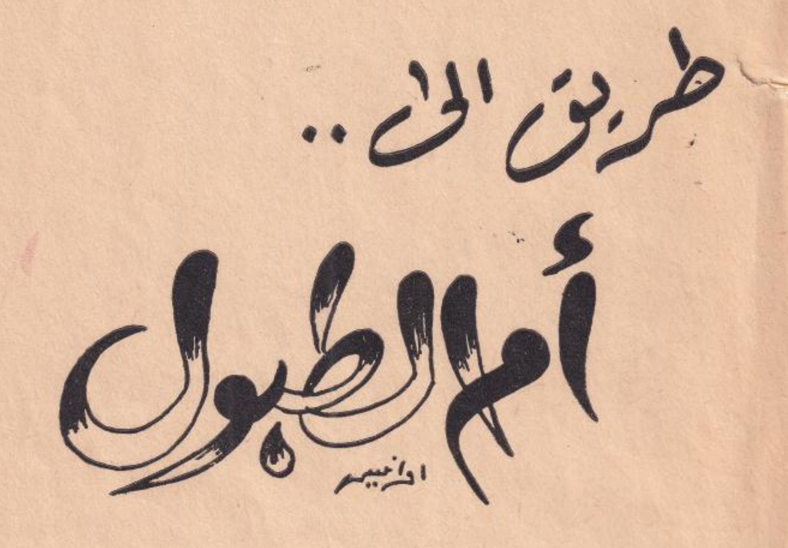
خالد قادر

طريق إلى.. أم الطبول

أضخم تحقيق صحفي كتب في قلب معتقلات
قاسم العراق ..... ووثيقة تأريخية تكشف
بالتفاصيل ماذا كان يحدث في معتقلات الطاغية
ضد العراقيين الأحرار ....

خالد قادر



هذا التحقيق كتب فى ٩-٥-١٩٥٩ داخل معتقل الدبابات بمعسكر الرشيد فى بغداد .. وانتهى عام ١٩٦٠ فى بيروت .

شركة الطبع والنشر الاهلية ذ . م . م تلفون ٨٢٩٥٩

* فى معتقل الدبابات الرهيب .. وفى الزنزانة رقم ٧ بدأت أضع هذا التحقيق الصحفي الواسع ..

* وفى المنفي .. حيث هجرت العراق الى لبنان .. وضعت آخر نقطة فوق آخر كلمة فيه ..

* انني لم أضعه كمؤلف يضع كتابا .. بل وضعته كصحفي يكتب تحقيقا من قلب المعركة ..

* ان كل دمعة .. كل كلمة .. فى هذا التحقيق ما زالت أثارها تحوم حول الاسلاك الشائكة البشعة التي وضعها الشيوعيون حولنا فى معتقلهم المفزع .

* فاذا شاء الله .. ومشيئته فوق كل مشيئة . ان يقف هؤلاء الذئاب الذين جرحوا كراماتنا فى معتقلاتهم امام القضاء العادل .. ليكن هذا التحقيق الصادق الاكيد شاهدا عدلاً علي ما صنعوه بأحرار هذا الوادي العريق .. الامناء على دينهم .. وعروبتهم .. وقوميتهم ..

بعد ذلك ..

انني اهدي هذا التحقيق الى الاحياء من اخواني فى المحنة .. الى الاحرار الذين صمدوا للفزع والموت البطيء .
اما الاموات .. فلهم الخلود

خالد قادر

الفواجع .. التي شهدتها الارض الفنية العريقة الممتدة في وادي الرافدين .. كان يجب ان يعرفها جيدا . وان يدركها جيدا .. العالم المتمدن .. والعالم المتوحش . معاً . وانا هنا . عندما اريد ان يعرفها واريد ان يدركها العالم المتمدن . فلأنها تجاوزت نطاق المدنية واجتازت حدود المفاهيم التي يعيش فيها العالم المتحضر . بكل اتجاهاته . بكل الوانه . بكل طبقاته .

وانا هنا ايضاً . عندما اريد ان يعرفها وأريد ان يدركها العالم المتوحش . فلأنها .. أوحش . وأعنف . واقسى من كل المفاهيم التي تحط من قيمة الانسان . والتي تضع الانسان في قفص واحد .. مع حيوان غير اليف .

كنت وما أزال عراقيا أؤمن بقيم عربية لا تخضع لمشيئات الافراد . ولا تتجاوب مع هوايات السياسيين المحترفين .

اننا عرب .. نؤمن بالعروبة كجذور أعمق من الآراء المستعملة التي تطفو على سطح الماء . والتي تبدو على صفحات الصحف .. فقط .. كعناوين بارزة .

وعندما أوضح هنا في هذه الفصول بعض ما شهدته بغداد العربية . فلأني أريد ان ارفع اغطية التوابيت عن امور لم تحدث اعتباطا . ولم تقع صدفة . وانما وقعت ضد الآراء لا ضد الافراد . وتحت مجهر خطة واضحة مدروسة . تهدف الى نتائج وتقصد الى غايات .

لولا ان الله سبحانه لا ينس رعيته . لكنا الان طعاماً للديدان في مقبرة (الغزالي) .. حيث يرقد الضباط الذين وضعوا علامة في الطريق .. ما زلنا نهتدى بها ونحن نسرع الخطى .. نحو الحرية .

هناك حيث يرقد .. الطبقجلي . والشواف . ورفعت سري . وداود . ونافع . ومحسن . ومظفر . وسالم .. وبقية القافلة التي شهد مصرعها ميدان الموت في (ام الطبول) ثم الصفوف الطويلة من الضحايا التي سحلت وعلقت عارية على اشجار الكالبتوس . وعلى اعمدة النور .

فى الموصل وكركوك وبقية المدن العراقية الصامدة .

انني سابدأ بالمعتقلات التي ساقت صفوفا من القطعان البشرية الى الموت . وشاء ربك ان لا نكون فى صفها .

بعد ذلك .. انني لارجو القارىء ان يصبر علي قليلا . وان يتساهل فى الحكم علي .. ويتريث .. اذا ما جمحت بي عواطفي التي اشعلت نارها . وما تزال . تلك المحنة الصعبة المفزعة التي عشتها انا واخواني في معتقلات الطاغية . يحوم حولنا الموت ببطىء رهيب . نفزع الى الله بدعائنا ان لا يطيل المحنة . وان ينقذ هذه الارض الطيبة العريقة من ((تتر)) القرن العشرين .

× × ×

الحقيقة القاطعة ...

اننا عرب ..

ليس فى عروبتنا مسالك تتدفق منها العقائد الملونة التي تباع على الارصفة ...

أن عروبتنا تعيش في دمنا .. ونحن بعد ذلك السنا على استعداد للتخلي عنها . لمجرد وجود من يرفع عقيرته صارخا بنا . مهددا بقطع اعناقنا .. بازهاق ارواحنا .. بسحلنا بالحبال ثم تعليق جثثنا عارية فى اعمدة النور . او فوق اشجار الكالبتوس ...

ان عروبتنا ليست محفظة نقود نتخلى عنها لاول قاطع طريق . العروبة وجود .. وما نحن .. هذا الجمع الهائل المحتشد من العرب .. سوى امتداد لهذا الوجود .. وهي بعد هذه الحقيقة المرفأ البعيد الذي ندفع اليه بأولادنا واحفادنا . نأمل لهم في الساحل الذي اقيم عليه ذلك المرفأ البعيد ...

الاستقرار ...

الكرامة ..

المنعة ...

وكل أسباب الحياة التي نتمناها نحن الذين سنصبح جدودا

بعد حين .

هذه الحقيقة ثابتة قاطعة .. يعرفها ويدركها جيدا .. بل ويتحسس بها حتى خصوم العروبة .. اولئك الذين انزلقوا فى مسالك افقدتهم رشدهم فاندفعوا بعصبية مجنونة يضعون العصا بين عجلات كل ركب يسير بأمان نحو هدفه المنشود .. انني اتحدث ايضا .. الى هؤلاء الذين هم منا .. الى المنزلقين الذين خانوا عروبتهم ثم راحوا يقتلون هذه العروبة كل يوم .. بتصميم عجيب ..

ان خلافنا مع المنزلقين نحو خيانة عروبتهم . انما هو خلاف من اجل الحياة .. صلب الحياة .. نحن نريد ان نعيش كعرب .. وهم يريدون أن لانعيش كعرب . أن لانحيا كما نريد .. بل يسعون لنسف عروبتنا من الاساس . ثم القضاء على تقاليدنا واوضاعنا التي نعتز بها ونفخر .. هذا هو مخططهم العام .. لا يتغير .. لا يتحور .. لاينحرف

× × ×

لي معهم قصة .. ولي معهم قضية ..

ان قصتي هي قصة كل عربي عرف معتقلات عبد الكريم قاسم واستطاع الوقوف على مأساة .. كل ساعة .. كل لحظة .. فى هذه المعتقلات .

اما القضية .. فهي قطعا . قضية العروبة كلها ..

كبيرة ..

خطيرة ..

عنيفة ومقدسة ...

انها قضية أمة . وقضية عقيدة . وهي بعد ذلك قضية جيل كامل من العرب يدافع عن قضيتة . ويحشد احاسيسه في مضيق واحد يدفع بها الى مخرج يعرفه كل أحرار العرب ..

الوحدة الكبرى ..

لاخير للعرب الابوجودها ..

× × ×

خلاصة قضيتي .. عصارتها .. انني لست بعربي منزلق .. انني احترم عروبتي واقدسها .. انني ارفض ان اخونها ..

انني اتفهم القيم واحترم قيمة الفرد .. انني اقدس حرية الرأى واقاتل لاجل حرية المعتقد .. ان هذه المفاهيم تثير اعصابهم .. انهم حتى لا يطيقونها ..

اذن فانا في عرفهم .. لست شريفا . ولا انتمي لجماعة الشرفاء

لست مناضلا . ولا من زمرة المناضلين ..

لست ثائرا . ولا افهم القيم الثورية .

انني بعد كل ذلك .. عار .. اجل عار على الانسانية .

ان هؤلاء المنزلقين جاؤا بمفاهيم لا تعرفها اية ثورة شهدها تأريخ العالم الطويل الموغر في القدم ..

لقد وضعوا مفاهيمهم هذه في مكان مرتفع .. ثم سجدوا للاله الجديد .. بقي على الناس ان يسجدوا مثلهم . والا فان اللعنة هي التي تحل عليهم .

والا .. لكان نصيبهم القتل والسحل بالحبال وتعليق الجثث عارية مشوهه في اعمدة النور . او اشجار الكالبتوس .

لقد هبطوا بثورة العراق الى اسفل ..

هبطوا بالجماهير الى مستوى الغوغاء .. الى مستوى الرعاع ..

جعلوا من ثورة العراق . ثورة غوغائيه سافلة ..

تجاهلوا أن الثورات ترفع الجماهير لاتهبط بها .

تجاهلوا ان الثورات انما تقوم لاجل قيم جديدة .. نظيفة .. بيضاء .

وبالتالي .. تجاهلوا ان ثورة العراق قامت لاجل كرامة . ولاجل رد اعتبار الفرد العراقي ..

هؤلاء النفر المنزلق . هبطوا بقيمة الفرد هبطوا بقيم العقائد .

هبطوا بمبادىء الثورة الى مستنقع أحمر مليىء بالدم .. بالحقد بكل الدوافع السافلة التي تدفع بالانسان الى قتل انسانيته والاجهاز على مثله العليا .

ان ثورة العراق قامت على اسس عربية .. قومية .

ان ثورة العراق . ثورة عربية قاطعة .. للعرب وليست لاعداء العــرب ..
من العرب .. وليست من اعداء العرب
لاجل العرب .. وليست لاجل العرب الخونة .
هذه الحقائق .. ستصفعهم دائما ..

× × ×

هكذا كنـــا

المكان بغـــداد .....
والزمن .. العام الماضي في مثل هذا الوقت تقريبا .
اما الوضع العام .. ليست له تسمية .
بغداد فوضى ..
لاتنـــام .
لاتهـــدأ .
لاتســـتقر .

الرعب يملأ الشوارع ويجتاح البيوت .. ومطارق المقاومـــة الشعبية تهبط على كرامات الناس فتحطمها .

الامن مفقود .. لا نؤمن بشـــيء قدر ايماننا بالموت المنتظر فى كل لحظة . بالســـحل ثم تعليق جثثنا عاريـــة فى ميادين المدينة المترنحة تحت ثقل الهموم والقلق والالم والخوف من المستقبل المجهول .

اموالنا وارواحنا واعراضنا لاقيمة لها .. بمقدور اى مقـــاوم شعبي الدخول الى بيتك بدون استئذان .. يهدر كرامتك ويهينك . يحطم اثاث بيتك . ثم يصوب رشاشته اليك . ويقودك بعد ذلك الى المعتقـــل .

وقد تعود .. أو لاتعود ابـــدا .

السيارات توقف في الشوارع وتفتش .. مقاومون شـــعبيون ومقاومات شعبيات في ســـن المراهقة يجمعهم ظلام الليل حتى الصباح

فضائح مخجلة تحدث في الليل وتنتشر اخبارها في اليوم التالي مقاومات شعبيات يلتجأن الى وزارة الدفاع خوفا من انتقام اهلهن عفافهن .. دخل التاريخ فداء للجمهورية .

وماذا بعـــد ؟

هناك السؤال الاكبر . والاوحد . والاهم ..

الى اين يسير العراق ؟ .. ماهو الهدف ! والى اى مدى ! ..
الجواب . في وزارة الدفاع .. هناك في الصندوق المسنح الذى ينام بداخله وياكل . ويشرب . ويعمل . ويحكم عبد الكريم قاسم

× × ×

الحقيقة الواضحة هنا .. انني . وكل رهائن المعتقل . لم نؤمن لحظة واحدة بان العراق يسير نحو هدف واضح المعالم . او ان عبد الكريم قاسم مع كل نواياه الطيبة او غير الطيبة قادر على ان يقودنا او ان يهيء لاولادنا ولاحفادنا أى قدر من مستقبل مضمون .

الواضح جدا .. ان الرجل فشل في ان يحدد لنفسه هو .. كفرد .. هذا المستقبل .

ولم يكن اعتقالي حدثا هاما .. هناك الكثير من العرب اعتقلوا بتهمة واحدة جمعتنا على صعيد واحد .

يجدر بي ان ابدأ من اللحظات الاولى لاعتقالي لعلي انجح في ان اوضح للقارىء صورة عن الكيفية التي كانت تهدر بواسطتها كرامات العراقيين الاحرار ..

حقا .. كانت محنة مفزعة ..

× × ×

قبل ذلك دعوني اروي لكم اولا هذه المأساة .. فقد وقعت لضابط حر اعتقل معنا . فهي تعكس صورة واضحة للاسلوب الذي اتبع في اعتقال الناس .

× × ×

قال : هكذا بدات الرواية ..

المرحوم الزعيم ناظم الطبقجلي قال مرة . وعبد السلام عارف يقف في قفص الاتهام امام المهداوى .

قال ـ حسنا .. سيأتينا الدور .

وعندما اعتقلت . لم يكن اعتقالي حدثا طارئا . فقد كنت اتوقع ذلك . وكنت اعرف ان الدور سياتي علي وان الرحى ستدور لتتلقفني كما تلقفت غيرى من ابناء هذا البلد .. والقضية بعد ذلك انما هي قضية زمن فقط .

لقد بدات حملة اعتقالات من جانب واحد ضد جانب واحد ..

باستعراض الاسماء كنت اعرف وكنت ادرك جيدا ان اسمي لن يفلت ابدا .

بالفعل .. تم ذلك في ساعة متأخرة من الليل .

وكنا نياما عندما دق جرس الباب .

بلا شك كانت هناك عدة بيوت اخرى تدق اجراسها في الوقت نفسه .

كانت هناك سيارة (لاند روفر) عسكرية . وكان هناك بعض الجنود قد قفزوا الى حديقة الدار واحتلوها .. بينما وقف ضابط مع عريف يحمل رشاشة روسية الصنع .

قال الضابط ـ اريد ان احدثك .

طيب .. قلتها وانا اتقدم لفتح باب الحديقة . بينما افاقت زوجتي مذعورة وبدون ان تسأل .. ادركت كل شيء .

طلبت اليها ان تتشجع وان لاترفع صوتها ببكاء لئلا يفيق الصغار فاذا افاقوا صباحا لتتصرف تصرفا عاديا ولتخبرهم بهدوء انني رحلت بمهمة .

لم تكن زوجتي . ولا انا . في موقف نختار فيه الاشياء ونحددها كما نريد .

استعادت زوجتي شجاعتها وتركتني اتقدم الى الباب الرئيسي لمقابلة الضابط .

قال الضابط وكان برتبة ملازم ثان .. وبلهجة جافة خالية من الادب . وخلافا للاصول العسكرية .

ـ اسرع بارتداء ثيابك .. سترافقني الى وزارة الدفاع .

كنت قد فتحت باب الحديقة . فدخل هو والعريف ثم طلب الى العريف ان ياخذ مكانه عند الباب الداخلي .

استطرد الضابط ـ لعلك ستقضي الليل هناك خذ بيجاما للنوم والشياء اخرى اذا اردت .

لم تكن بي حاجة لكي اعرف ذلك وادركه عن طريقه

وعندما عدت وجدت زوجتي بشجاعة فائقة تعد لي حقيبة كاملة من الملابس والحاجيات الضرورية الاخرى .

بعد ربع ساعة . كنت اودع زوجتي واقبل ملائكتي الصغار وهم نيام فى اسرتهم ثم اختفي فى منعطف الشارع تحملني سيارة عسكرية ويحيط بي اربعة جنود برشاشاتهم التي بعث بها خروشوف الى العراق .. الى مصير مجهول .

من يدرى !!!

قد اعود .. وقد لااعود ابدا .

× × ×

وانا داخل السيارة .. والسيارة تمرق بي بسرعة فائقة نحو المجهول . رحت استعرض الحوادث واتساءل .. عن المدى الذى يمكن لعبد الكريم قاسم ان يبلغه وهو يذل ضباط الجيش .. ويهدم المقاييس ويدفع العراق نحو الفوضى ونحو توسيع شقة الخلافات بين ابناء الوطن الواحد .

لم يكن هذا السؤال ليحوم امامي وحدي .. كان هو السؤال المشترك الذي يبحث عن جواب له معظم الناس فى العراق وفى بلاد العرب الواسعة .

قام عبد الكريم قاسم بكل هذه التصرفات دون ان يستند الى اسس توضح له الطريق بعد ذلك .

يبدو ان الرجل لم يكن يعرف طريقه بعد ساعة واحدة من انهيار الحكم الملكي في العراق .

لقد انتهت الملكية وقامت الجمهورية .. ولكن ماذا بعد ذلك !

هناك غيوم داكنة بدات تتجمع بشكل ملحوظ .. كان معظم الضباط يراقبون الوضع بحذر وبتوجف .. بينما كان العراق ينزلق حثيثا

نحو هاوية الفوضى التي بدأ الشيوعيون يوسعون فوهتها بهمة . وبنشاط وبذكاء .

بعد اشهر قليلة من قيام الثورة استطاع الشيوعيون ان يستلموا الشارع بيد .. والجيش بيد اخرى .

الحقيقة انهم استلموا عبد الكريم قاسم نفسه ..

× × ×

معتقل الموت ..!

كانت السيارة تتجه نحو معسكر الرشيد .. وكان واضحا ان الملازم كذب عندما ادعى انه سينقلني الى وزارة الدفاع .

وكنت اعرف ان معتقلين على الاقل اقيما فى معسكر الرشيد . احدهما معتقل مدرسة الهندسة الذي وضع تحت امرة مقدم ركن من صنف الهندسة .

اما المعتقل الثاني فهو معتقل كتيبة الدبابات الثانية ويعرفه العراقيون باسم (معتقل الرعب) ..

ان هذا المعتقل لم يكن ليحتوى على شيء مما تفرضه ابسط حقوق الانسان .. ولم يكن ليشبه اردأ السجون والليمانات فى شيء .

كان بالفعل مقبرة اعدت لقتل ولتعذيب ولاهدار كرامة المعتقلين .. ولم يكن ليضم الا صفوة من خيرة ضباط الجيش الذين تمسكوا بعروبتهم ورفضوا الخضوع للتيارات الحزبية الضيقة .

الشيوعيون وحدهم وضابطهم المفضل الزعيم الشيوعي طه الشيخ احمد مدير الخطط العسكرية هم الذين اختاروا مكان وموضع هذا المعتقل . وكان المعروف جيدا ان التكتيك الشيوعي يتجه اتجاها سريعا للسيطرة على القوات المدرعة فى الجيش .

فعلا .. سيطروا على الدروع سيطرة تامة .. ونتيجة لثقتهم بالدروع اقاموا اهم معتقلاتهم فى معسكراتها .

فى معسكر الرشيد كان اللواء المدرع يتكون من ثلاث كتائب دبابات منها دبابات (تشرشل) الانكليزية . ودبابات (سنتوريون) الامريكية ثم الدبابات الروسية التي شحنت الى العراق بعد الثورة .

كلها وضعت تحت قيادة ضابط شيوعي اسمه سلمان الحصان .

المعتقل اقيم ضمن معسكر كتيبة الدبابات الثانية التي يقودها المقدم عدنان الخيال) .. الغريب ان هذا المقدم لم يكن شيوعيا او هكذا قيل .. ومراتب الجيش العراقي تعرف ان (عدنان الخيال) هذا كان ضابطا فى الحرس الملكي ومن المقربين جدا لعبدالاله خلال وصايته على عرش العراق .

لا أحد يعرف لماذا سار هذا الضابط فى ركاب الشيوعيين بحماس ملحوظ .

لتقع فى كتيبته أبشع عمليات التعذيب والتنكيل بالضباط ولبعض المدنيين الاحرار .

أما المعتقل نفسه .. فقد وضع تحت امرة ضابط شيوعي برتبة رئيس اسمه فاضل البياتي .

لقد عرف الشيوعيون هنا كيف يختارون رجلهم .. وقد كان البياتي شيوعيا قديما طرد من الجيش فى عهد نوري السعيد وهو برتبة ملازم اول فافتتح فى منطقة (الميدان) فى بغداد مطعما اسماه مطعم (فارس) ولم يكن هذا المطعم سوى تغطية لمحطة شيوعية سرية .

الغريب ان البياتي هذا اعتقل قبل الثورة بيومين فقط فى وكر شيوعي وسيق الى التحقيق .. بعد يومين تمت الثورة وجاءه الفرج واطلق سراحه واعيد الى الجيش برتبة رئيس .

انه القدر الساخر ..

لم يكن البياتي ليحمل شيئا من مزايا الانسان .. لقد كان يقلد ستالين بشاربين كثيفين وكان يجد لذة كبرى فى احياء حفلات التعذيب بعد منتصف الليل .. وبعد ان يكون قد شرب عدة كؤوس من (العرق) واستدعى بعض الضيوف من الشيوعيين والعسكريين والمدنيين للمشاركة فى حفلات التعذيب واهدار كرامة الضباط المعتقلين .

أما ضحيته فهو عادة ا ي واحد منا يختاره تحت تأثير الخمرة التي تكون قد لعبت برأسه كما لعبت برؤوس بقية ضباطه .

كان واضحا .. ان مصيري قد تقرر عندما انحرفت السيارة نحو اليسار ..

ادركت ان معتقل الرعب سيبتلعني كما ابتلع غيري من عشرات الضباط الاحرار .

وما ان اجتزنا الباب النظامي للواء المدرع حتى هرول عدد من الجنود خلف السيارة يدفعهم الفضول لمعرفة الخائن الجديد الذي سينام ذليلا فى معتقلهم .

وعندما توقفت السيارة كنت اعرف ماذا سيحدث ..

لقد حدث ذلك لكل زملائي الضباط الذين سبقوني الى هنا ..

تجمهر الجنود حول السيارة يدققون النظر فى وجهي وفى رتبتي العسكرية . ويخرجون من افواههم اصوات تشبه الهمهمة .

قال احدهم — ها .. خائن جديد ؟ —

اجاب العريف الذي ساهم فى اعتقالي — واحد .. واحد .. سنجمعهم هنا ثم .. واشار الى رشاشته .

الحقيقة .. ان الشيوعيين نجحوا فى تحويل اللواء المدرع الى معسكر شيوعي . يغلي فيه الحقد على الضباط القوميين الى حد القتل .

ضباط اللواء اختاروهم من الشيوعيين المنظمين . تتبعهم جماعة من صغار الضباط اندفعوا تحت تأثير الاغراء الشيوعي وانساقوا انسياقا مع الحقائق التي شوهت تشويها فظيعا .

اما الجنود فقد عرفوا كيف يحيلونهم الى آلات تعمل كما يريدون. واستطاعوا بعد ذلك ان يخلقوا لهم الاها يعبد . فصوروا لهم عبد الكريم قاسم زعيما لا حياة لهم بدونه وان اية فعاليات ضد الجمهورية هي فى الواقع ضد الههم الجديد .

من هنا .. تعصب الجنود لزعيمهم الاوحد تعصبا اعمى . فذهب الحزب الشيوعي الى استغلال هذا التعصب لمصلحته وراح يوجه الجنود الوجهة التي يريد .

كنا بنظر الجنود خونة وجماعة من المتآمرين .. وكنا بنظرهـم قد خرجنا على عراقيتنا وخنا قومنا عندما آمنا بالمفاهيم العربية الواسعة .

الخطر الحقيقي كان يكمن هنا .. فقد كان هدف الحزب الشيوعي ابراز قومية جديدة تستند الى العنصرية الاقليمية التي كانت تروجهـا طبيعة الوضع الجديد فى البلاد . فروج دعوته للوحدة العراقية الخالصة. وكان غرضه التحول الى المرحلة التالية وهي الاهم .

القومية العراقية ...

ساهم العقيد فاضل المهداوي فى الدعوة الملحة لتركيز هذه الفكرة الانفصالية تحت ستار الوحدة العراقية خلال المحاكمات التي كانت بلا شك ذات تأثير كبير على عقلية الشارع .

كانت هذه الدعوة الخطرة تستند الى نظرية ارتجالية يبدو انهـا لم تناقش تقول ـ ان القوميات المختلفة الكثيرة فى العراق يجب ان تنصهر فى وحدة عراقية متماسكة تشكل بعد ذلك بدافع التقاء المصلحة الواحدة والمصير الواحد (قومية عراقية) مستقلة ؟

ليس سرا القصد من ترويج هذه الدعوة الهدامـة .. فقـد كان واضحا ان النظام الجديد فى العراق بدأ يميل ويهدف الى نسف عروبة هذه الجزء من الوطن العربي .

ادركنا ذلك .. عندما راح المهداوي يركز فى خطبه الطويلة المملة خلال محاكمات رجال العهد الملكي السابق ثم محاكمات الضباط القوميين على هذه النقطة وعندما وضع الحزب الشـيوعي تكتيكـه للتجـاوب مع دعوة المهداوي المقصودة والتي كان عبد الكريم قاسم يدعمها ويباركها فى خطبه وتصريحاته .

الواقع .. ان موضوع القوميات المتآخية فى العراق لم يكن موضوعا محددا فى يوم من الايام كما تحدد خلال حكم عبد الكريم قاسم .

هذه القوميات كانت موجودة وكانت منصهرة مع الاكثرية العربية فى العراق بشكل تلقائي لا تحده نظرية معينة ولا تقف دونه اية عقبات او نظريات جديدة كانت او قديمة .

كنا فى العراق نعيش عربا دون ان نتحسس بوجود قوميات اخرى تحاول او انها حاولت فعلا . او خطر ببالها قط ان تحدد لنفسها موقفا خاصا من عروبة العراق .

وكان الواضح الى حد بعيد بعد الثورة . وخلال سيطرة الشيوعيين على الحكم ان الحزب الشيوعي العراقي يهدف الى استنفار هذه القوميات ضد عروبة العراق محتجا بخطر هذه العروبة واهدافها الوحدوية الواسعة على مصير القوميات الصغيرة والقول بانها ستذوب وستنتهي امام المد العربي التحرري الذي يهدف الى الوحدة العربية الكبرى .

وكنا نتساءل .. متى كانت هذه القوميات فى خشية على تقاليدها . وعلى عيشها . وعلى وضعها الاجتماعي لكي يبدو هذا الخطر فى الوقت الحاضر بالذات ؟ ..

الحقيقة .. ان الشيوعيين ارادوها حربا على عروبة العراق . وهم بعد ذلك يستخدمون كل وسيلة وكل عقدة . وكل شعور بالضعف او بالقوة لدى الاقليات لتوجيه ضربات متلاحقة ضد عروبة وادي الرافدين .

ولو استعرضنا القوميات المتآخية على حد زعم عبد الكريم قاسم وابن خالته المهداوي والتي لم تكن غير متآخية فى يوم من الايام .. لو استعرضنا وجودها لخرجنا بنتيجة تؤكد ان النظرية التي يعمل فى ضوئها الحزب الشيوعي وحتى قاسم نفسه انما هي .. فعلا .. نظرية ارتجالية لم تناقش ولم يبذل اي جهد لدراستها والالمام بكل اطرافها . وهي بعد ذلك نظرية خلقتها ظروف سياسية خاصة وطارئة فى هذا الجزء من الوطن العربي . وراح فاضل عباس المهداوي يضرب على نغمتها خلال المحاكمات فترددها المنظمات الشيوعية بتجسيم يخضع لاسس دعائية معروفة ويدركها جميع المراقبين السياسيين .

والمهداوي على اية حال .. ضابط يدعي الثقافة والتبحر فى كل مجال من مجالات الحياة .. فقد عرفناه قاضيا جعل من منصة القضاء اضحوكة متقطعة ساخرة .

وعرفناه سياسيا .. من حصاد سياسته ان يعيش العـراق فى جحيم من الانشقاق وعدم الاستقرار . وان تتغلب الغوغائية على ثورة المفروض انها قامت لتنقل البلد .. نحو الافضل .

وعرفناه عسكريا .. تتحدى بطولته الموت .. فينتصب فى ساحة (ام الطبول) وبينما الرصاص ينهمر على جسم (الطبقجلي) ورفاقـه الشهداء . يهتز كرشه المترهل ثم يرفع عقيرته صارخا .

ـ حتى الموت .. حتى الموت .

والمهداوي باسناد من ابن خالته قاسم .. اعتاد على ان يقول الكثير فتصفق له الغوغاء التي ارتضت لنفسها يوميا ان تحتل مقاعد محكمـة (الشعب) لمشاهدة ولترويج الفيلم الطويل المتسلسل الذي فجعت به المفاهيم النظيفة فى وادي الرافدين .

قال المهداوي مرة : ان العراق يعتز بالقومية الارمنية . ويقصـد المهداوي بهم « الارمن » الذين هاجروا الى العراق فى اوائـل القـرن العشرين وعاشوا فوق ارضه كأناس من ابنائه .. وما يزالون .. فلا هم من ابناء القوميات المتعاقبة العريقة فى هذا الوادي . ولا هم من الطامعين فى شيء مما يقوله المهداوي .

وبغداد تعرف ان الارمن اوفياء لعروبة هذا البلد لانهم تمتعوا فعلا فى ظل الديمقراطية الطبيعية التي يعيش فيها الاسلام والعرب فى العراق بحياة هادئة وديعة وبمعاملة طيبة لم تعلق فى اذهانهم منها سوى الذكرى الحسنة . اللهم الا فئة خرجت على مفاهيم الدنيا وارتضت لنفسها السير فى ركاب الشيوعية الدولية فانسجمت مع فعاليات العرب المارقين الذين خانوا عروبتهم وساروا فى نفس الطريق .

اما التركمان .. الذين يضعهم المهداوي فى الدرجة الثانية فى قائمة الاقليات .

هؤلاء التركمان عرفوا كيف يختارون مكانهم فى العراق . وعرفوا كيف يوجهون انفسهم فى هذا البلد .. وما قبلوا ابدا ان يوضعوا فى صف الاقليات التي يدفعها النظام الجديد الى معاكسة الاندفاعات الطبيعية فى بلد اكثريته الساحقة عربية مسلمة .

ان التركمان وهذا هو الواقع . جاهروا دائما بان مصيرهم يرتبط ارتباطا وثيقا بعروبة هذا البلد وهم مع هذه العروبة حتى المدى البعيد.

بقية القصة .. يعرفها اولئك الذين عرفوا لماذا ابيحت مدينة كركوك ولماذا تعرضت هذه المدينة التركمانية لتلك المجازر البشعة ؟؟

ان استعراض بقية القوميات التي عرفناها على لسان المهداوي والعائلة القاسمية يعطينا نتيجة واحدة لا تتغير .. وهي ان النظام الجديد فى العراق يعمل على (تكثيف) جماعات متباعدة والاستفادة من هذه العملية لجر العراق العربي نحو مفاهيم جديدة مشوشة تنسف الآمال الوحدوية التي تعيش فى اذهان عرب وادي الرافدين .

× × ×

مارشالات صغار :

لم يكن المكان غريبا علي .. فانا ضابط فى جيش اعرف معسكراته وقد خدمت فى بعضها فعلا .

طلبوا الي ان اتجه معهم نحو بناية اقيمت فى وسط معسكر اللواء المدرع .. وانا اعرف ان هذه البناية هي بهو خاص لجلوس الضباط وهي مطعمهم ايضا .

لم اكن اعرف انها اصبحت مشربهم كذلك . لان تناول المشروبات تحرمه انظمة الجيش داخل المعسكرات .

وبينما موكبي يتجه نحو البهو كانت دبابة من نوع (سنتوريون) تملأ الجو بضجيج محركها .

كان البهو خاليا الا من جندي راح يحملق فى رتبتي العسكرية وهو متردد بين ان يؤدي التحية وبين ان يرفع يده ليصفع الخائن المقبوض عليه .

لقد تاهت المقاييس فى الجيش . وضاع الضبط العسكري واعتاد الجنود على مشاهدة صغار الضباط وهم يوجهون الاهانات ببساطة وبلا مبالاة لمن هم ارفع رتبة .

بدا لي ان مرد تردد هذا الجندي يعود الى شعوره بانني ما زلت

احمل رتبتي على بدلتي العسكرية . ثم ان ضباط الكتيبة لم يبدأوا معي بعد .

فاذا بدأوا .. استطاع هو بدون جهد ان يأخذ حقه من كرامتي. وهكذا كان ..

قال لي العريف : اخبرنا الرئيس فاضل بوجودك .. سيأتي حالا.

وكنت اعرف ماذا يعني وجود الرئيس فاضل ... لقد سمعت عنه .

ثم ان لهجة العريف وهو يخبرني عن الرئيس الذي سيأتي حالا كانت اشبه بالتهديد الذي توجهه الام للطفل المتمرد .

العفريت قادم ..

وقدم العفريت ..

فجأة .. وجدت نفسي ضائعا بين اكثر من عشرة ضباط يتوسطهم العفريت فاضل البياتي بشاربيه الستالينيتين . وبعصاه الغليظة وبمسدسه الذي شده الى حزام عسكري طوق الظهر والبطن باحكام وفى محاولة لاخفاء كرش صغير .

اما بقية الضباط فقد كانوا من حملة الرتب الصغيرة . ملازمون. اكبرهم رتبة هو العفريت فاضل نفسه .. شدوا الى بطونهم احزمة عسكرية تتدلى منها مسدساتهم وحمالات رصاص.. بينما اخفوا شعورهم تحت (بيريات) سوداء نكست الى الجانب الايمن من جباههم . وامسكوا بايديهم عصي صغيرة انيقة .

بدوا لي . وكأنهم مارشالات صغار يتمخطرون فى حفلة كوكتيل انيقة .

الحق اقول .. لم يكن منظرهم موحشا قطعا .

× × ×

دقق في الرئيس فاضل البياتي .. ثم تقدم خطوة .. وقال:

ـ اذن .. انت هنا ـ

قلت بحدة ـ انت عسكري .. عليك ان تؤدي التحية . فما زلت احمل رتبتي .

التفت البياتي الى ضباطه التفاتة ذات مغزى ثم وجه الكلام الي برعونة .

ـ عليك ان تعرف أولا اين انت .. انت فى معتقل الخونة والمتآمرين على سلامة الجمهورية والزعيم . ووجودك هنا يعني انك متآمر وخائن وقد حكم عليك بالاعدام سلفا .

واحتدمت مع فاضل البياتي فى مناقشة حامية .. لم تعط الا نتيجة واحدة .

كانت النتيجة ان تقدم بعض الضباط مني وانتزعوا (الكتافيات) التي تحمل رتبتي بخشونة .. ولم يكن فاضل البياتي ليعتمد فى قوته وجبروته الا على شيئين .. اولهما انه آمر المعتقل . وثانيهما أن مايجري فى المعتقل يوافق عليه عبد الكريم قاسم ويباركه الحزب الشيوعي العراقي المسيطر انذاك .

قال البياتي بلا مبالاة ـ لا يهم ان يموت مليون عراقي .. مليونان .. ثلاثة .. المهم ان الشيوعيين هم الذين يجب ان لا يموتوا . اننا سنحطم كل قومي . وكل مدع بالعروبة هنا . وقد سيطرنا على الجيش وعلى الشارع وسندك كل بقعة عراقية لا تخضع لسيطرتنا .

وقال اشياء كثيرة اخرى .

قالها باعتداد . وثقة وبلا مبالاة .. وعندما انتزع الضباط (الكتافيات) من كتفي اشار الى جدار البهو وقال

ـ انظر هناك .. هل تعرف ما هي.؟

ورفعت نظري الى الجدار .. وعرفت كل شيء .

كانت (كتافيات) كافة الضباط المعتقلين معلقة على الجدار .. رتب مختلفة .. ملازمون .. ورؤساء .. وعقداء .. وزعماء مئات الكتافيات ..

وتقدم احد الضباط وراح يعلق رتبتي على الحائط .. ولما اتم تعليقها . كنت قد اخذت مكاني فى صف الضباط المدفوعين نحو ... المجهول .

وبينما انا اسير بين جنديين مسلحين بالبنادق الرشاشة يتقدمنا الملازم الشيوعي (خالد عيسى) فى طريقي الى زنزانتي . او قبري . بدأ جسمي يهتز تحت ثقل قشعريرة باردة .

لقد خطرت لي قصة قرأتها .. عن رؤوس بشرية يعلقها اكلة لحوم البشر فى افريقيا السوداء على جدران اكواخهم .. للتباهي .

ان الرتب العسكرية المعلقة على جدران البهو لم تعكس لي غير هذا الشعور ..!!

فعلا .. سيق قطيع من اصحاب هذه الرتب الى ساحة ام الطبول .. حيث دقت طبول الموت .. وبينما الرصاص ينهمر ويفتح شقوقا حمراء فى اجسادهم .. يهتز كرش المهداوي ويضيع صوته فى دمدمة الرصاص وهو يصرخ : حتى الموت .. حتى الموت .

× × ×

مقبرة الاحياء

اخليت مشاجب السلاح فى اللواء المدرع كما اخليت غرف الضباط واعتبرت المشاجب والغرف معتقلا واحدا تفصل بينهما ساحة تبعثرت فيها خيم جنود الحراسة .

وامام واحدة من الزنزانات التي تضم زملائي توقف الضابط واشار الى العريف الخفر ان يفتح .. وتطلع في العريف الخفر بطرف عينه محاولا التعرف الى شخصي ثم تركني وراح بلا مبالاة يعالج القفل الكبير المشدود الى الباب الحديدي . ويبدو ان المعتقلين ازعجتهم سكسكة المفاتيح فى القفل الكبير فاستيقظوا وراحوا يتطلعون بقلق نحو الباب .

وعندما فتح الباب واشاروا علي بالدخول وجدت نفسي بين عشرة ضباط اعرف معظمهم .. وما ان اغلق الباب حتى احاطوا بي .

ودققت النظر فى وجوههم وادركت كل شيء .

انها حقا .. مقبرة الاحياء

× × ×

كان المعتقل شيئا سخيفا صنعه ظرف سخيف ..

ان الافكار لا تموت فى المعتقلات .. وعبد الكريم قاسم يخطيء عندما يظن انه قادر على تحويل العراق عن طريقه الطبيعي بهذه الوسائل .

الواقع .. انه ليس بقادر على اعتقال كل الناس . وهو بعد ذلك عاجز عن قتل خصومه كلهم .

مرت فترة .. واضطر عبد الكريم فعلا الى غلق معتقلاته ثم التظاهر بتشريد ضباط هذه المعتقلات وتوزيعهم على وحدات الجيش .

وعندما اصبح اليوم التالي . بدات ادرس حياتي الجديدة . وبدات اتفهم كيف يعيش زملائي فى هذه القبور . ثم رحت استفسر عن اسماء المعتقلين ورتبهم والتهم التي وجهت اليهم .

كان هناك بعض الضباط يحملون رتبة زعيم ركن منهم المرحوم ناظم الطبقجلي الذي اعدم فى ساحة ام الطبول والزعيم الركن عبدالعزيز العقيلي قائد الفرقة الاولى المرابطة فى حوض دجلة والفرات الجنوبي . وكان احد المعتقلين يحمل رتبة لواء وهو اللواء الركن حسين العمري . وكان هناك ايضا بعض العقداء منهم العقيد عبد اللطيف الدراجي والعقيد جميل الخشالي . وكان هناك بعض الضباط برتبة مقدم منهم المقدم الركن عارف عبد الرزاق وهو ضابط طيار احتل معسكر الحبانية صباح يوم الثورة بعد ان احتجز جميع الخبراء والعسكريين الانكليز الذين يعملون فى قاعدة الحبانية .

ان ما لا يقل عن مائتين من الضباط بمختلف الرتب وما لا يقل عن مائة مدني من الشخصيات المعروفة .. كل هذا العدد يعيش تحت رحمة الرئيس فاضل البياتي وضباطه وجنوده . يتلقون الاهانات بلا حساب ويتعرضون للضرب ولابشع اساليب التعذيب .. بدون وازع من ضمير وبدون ان يحسب اي حساب لقانون او لنظام ..

لقد كانت حقا معركة عقائدية استعمل فيها الطرف المسيطر كل نذالته وكل تطرفه تشبثا بانتصارات وهمية مؤقتة اثبتت الايام بعد ذلك انها لم تعط اي نتاج . ولم تحقق اية فائدة .

كنت اعرف ان فاضل البياتي وضباطه يعدون لي حماما ساخنا .

الحمام الساخن بلغة المعتقلين هو الليلة التي يحددها البياتي للمعتقل الجديد بطريقته الخاصة .

ان طريقته ليست غريبة على سكان المعتقل .. فقد ذاقوها كلهم بلا استثناء . وقد عرفوها وادركوا ماذا ينتظر الضيف الجديد الذي يشاء القدر ان يضعه بين يدي هذه الزمرة .

ولم انس بعد نظرات البياتي ونظرات ماوشالاته الصفار وهي تعبر عن الرغبة الملحة والاشتهاء لشيء مجهول .

هكذا وطدت عزمي .. وتوكلت على الله .. وبدات انتظر ما كتب لي فى كل لحظة .

انهم على الاكثر لا يتظاهرون كثيرا فى النهار . فاذا جاء الليل وانتشر الظلام فوق المعسكر . وفى العاشرة او بعد العاشرة بقليل . تحل لحظة الرعب فى المعتقل . ويطلق البياتي وضباطه لنذالتهم كل حرياتها .

وتحت تاثير كاس من العرق العراقي يتجسم لهذه الزمرة هول المصير الذي ينتظرها .. ويبلغ حقدهم منتهاه . واذا بهم ينتزعون بعض المعتقلين من زملائهم الضباط . او بعض المدنيين من افرشتهم .

وفى بهو الضباط .. حيث علقت رتبنا جميعا على الجدران يكتب التاريخ سطورا يندى لها جبين الاخلاق . بينما ترتفع ضحكات البياتي وضباطه لتضيع فى ضحكاتهم صرخات ضابط فى الجيش العراقي علق من ارجله فى سقف البهو » .. وسكت زميلي الضابط بعد ان رسم لي فصلا من المأساة .. وعندما اعتقلت انا بدات مأساتي على الصورة نفسها .. فاضل البياتي يهدد وينذر ويتوعد .. وننتظر الليل لكي يتحدد موعد حمامنا الدموي . فاذا مرت الليلة بسلام .. وربما كان نصيبك فى اللية القادمة .. المهم انك لن تنجوا ابدا .

× × ×

السفير المعتقل

وهكذا .. كان امامي النهار كله .. فاذا جاء الليل وجاءت معه

ساعة الاستحمام .. ليحدث ما يحدث .. وليفعل ضباط عبد الكريم قاسم ما كتب القدر لهم .. وليس لي

لم اشعر باي فزع .. ربما لانني ما زلت محتفظا بمعنوياتي عالية .. وربما لانني اومن بالقضاء والقدر .. ربما كنت ايضا احتقر الحياة التي تقلب المفاهيم وتسخر بالمقاييس فتدفع بنا الى المعتقلات بينما يدفع عبد الكريم قاسم ببلادنا وبشعبنا وبآمالنا نحو هاوية مخيفة .. ونحو مستقبل غير واضح المعالم .

والمعتقلات على العموم لا تخلو من طرائف . بل ان وجودها فى عالم يجهد نفسه لتأمين الديمقراطية لسكانه هي نفسها اقصوصة طريفه فى قمة السخرية .!!!

وخلال الدقائق العشر التي يسمح لنا خلالها بالتمشي والتريض خارج الزنزانات كنت اسمع بعض الاقاصيص التي يعيش فيها زملائي وتعيش هي معهم فى معتقلهم الرهيب .

بدأت اسمع قصة عبد العزيز العقيلي الزعيم الركن الذي استدعاه عبد الكريم قاسم من مقر قيادته فى (الديوانية) حيث كان قائدا للفرقة الاولى .

قال له الزعيم الاوحد انه قرر انتدابه سفيرا للعراق فى طهران .

لم يقل العقيلي شيئا . فقد ادرك ان القضية مقررة وهي قضية ابعاد عن الجيش لا غير .

ووافق على قبول المنصب وتمت الاجراءات الشكلية بين الحكومة العراقية والحكومة الايرانية .. ووافقت حكومة طهران على قبوله سفيرا فى بلادها . وبدأ السفير الايراني فى بغداد يوزع بطاقات الدعوة لحضور حفلة توديع العقيلي السفير الذاهب الى طهران .

وتمت الحفلة . ووصفتها الصحف وعرف كل الناس .

وفى اليوم التالي شوهد السفير الايراني يبحث عن العقيلي فى اروقة وزارة الخارجية فى بغداد .. كان يريد ان يعرف موعد سفر السفير العراقي ليودعه اولا . وليبرق الى حكومته ثانيا لكي يستقبل رسميا فى مطار طهران .

واختفى السفير ..

وراح السفير الايراني ينكش شعر راسه ويهرول هنا وهناك في محاولات فاشلة للوقوف على مكان العقيلي .

واختفى العقيلي ...

ولم تقل وزارة الخارجية شيئا .. ولم تخبر احدا .. وربما كانت هي الاخرى لا تعرف ماذا يجري لسفرائها .

حتى اعضاء سفارة العراق بطهران ابرقوا الى بغداد – اين السفير وما موعد سفره الينا . –

وبعد اسبوعين بكل ايامها ولياليها . عرف بعض الناس ان لوحة المعتقلين في باب الزنزانة رقم ثمانية بمعتقل (الخونة والمتآمرين) في كتيبة الدبابات الثانية جاء فيها هذا الاسم – عبد العزيز العقيلي .. سفير –

وها هو الزعيم الركن العقيلي قائد الفرقة الاولى .. السفير بايران .. امامي بالبيجاما يتمشى مع المعتقلين ويتحدث بصراحة وتنم قسمات وجهه على ما يعاني من انفعالات ومن حرقة ومن الم نتيجة لوضع العراق الشاذ الذي يدفع بأمثاله الى المعتقلات .. والذي يسلط امثال فاضل البياتي على رقاب الضباط الذين كانوا دائما الوجه الناصع النظيف للجيش العراقي .

الضباط يعرفون العقيلي .. فهو عبقرية عسكرية نادرة بين الضباط الشباب وهو بعد ذلك يحمل شهادة (الليسانس) في القانون .

× × ×

مذبحة المهرجان :

قيل لي ان الليلة الماضية كانت سيئة على المعتقلين ...

معنى ذلك .. ان عمليات التعذيب استمرت طيلة الليل وان ضباط المعتقل جاؤا بابتكارات جديدة استعملت امس في التعذيب .

وعرفت الحكاية ..

كان حسين العمري هو الضحية .. وحسين العمري يحمل

اعلى رتبة عسكرية فى المعتقل .. انها رتبة صاحب المعتقل .. عبد الكريم قاسم .

لواء ركن .. احيل على التقاعد فعينته الثورة متصرفا للواء (الكوت) فلم يتجاوب مع النظام المشوش غير المركز .. واستقال .

لم يخطر ببالي قط . ولم يخطر ببال احد . ان ينهار الجيش العراقي المعروف بنظامه الثابت . هذا الانهيار فتبلغ الغوغائية والفوضى بالجندي او العريف او الضابط الصغير جدا يدفعه لان يرفع يده ليلهب بها وجه .. امير لواء .

× × ×

يبدو ان الفوضى لذت للجنود ولصغار الضباط ووجدت هوى في نفوسهم .. معنى ذلك ان الجيش انهار من اساسه عندما فقد عنصر الطاعة وضعفت هيبة النظام . وانعدمت السيطرة .

وفي الغد .. سيكون من المتعذر على ضابط مهما كانت رتبته ومهما بلغت صلاحياته تطبيق خطة عسكرية لايرتضيها الجنود انفسهم .

وماذا بعد ذلك ؟

بعد ذلك .. لاجيش

كانت هذه الحقيقة ترعب الضباط . وعندما يذهبون في تقليب الامور من اوجهها المختلفة يخرجون بنتيجة توكد ان عبد الكريم قاسم .. نصف مجنون .

قالوا : انه يحطمنا .. يحطم جيشنا .. يحطم السبب فى وجودنا كضباط مهمتنا قيادة الجنود .

يا الهي .. لماذا يحدث كل هذا ؟

اعتقل اللواء حسين العمرى بعد ثورة الشواف ..

اتهم بتاييد الثورة والاتصال بالزعيم ناظم الطبقجلي الذى كان انذاك قائدا للفرقة الثانية المرابطة في كركوك والتي يمتد قطاعها فيشمل الوية السليمانية واربيل والموصل .

قال اللواء العمرى انه لم يتصل قطعا بالطبقجلي في قضية لها علاقة بثورة الموصل .. ولكنه ذهب مع وفد وجهاء المدينة الى كركوك وقالوا للطبقجلي :

ـ الموصل تقـع تحت نفوذ قواتك .. امنـع مهرجـان انصـار السلام فقد قرر الشيوعيون اقامته في مدينتنا .. ونخشى ان تتطور الحـوادث .

واسـتمع اليهـم الطبقجلـي .. كان يـدرك .. بالضبـط ان مهرجان انصار السلام عملية غزو شيوعي مقصود ضد عروبة الموصل . كل الناس قالوا ذلك .. وكل الناس ادركوا نتيجة ذلك .

حتى الشواف اتصل بقائده الطبقجلي وقال له كل شي .

ولكن ما العمل ؟

ان مهرجان انصار السلام يجب ان يتم في موعده المحـدد لان بغداد تريد ذلـك .

عبد الكريم قاسم يريده .. واللواء العبدى منح الاجازة باقامته . ومؤسسات الدولة في العاصمة وضعت امكانياتها كلها تحت تصرف المهرجـان .

حتى السكك الحديديـة .. تلقت امرا من قاسـم بوضع عـدة قطارات تحت تصرف انصار السلام .. مجانا .

وما الحل اذن . ؟

كان الطبقجلي مريضا .. وكانت هذه المقابلة في بيته لافي مقر قيادته .. وطلب بغداد .. طلب عبد الكريم قاسم نفسه .

واستمع قاسم الى الطبقجلي يوضح له الامر بصراحة .

قال له ان استخبارات الفرقة الثانية التي يقودها تؤكد خطورة الحالة في الموصل .. الموصليون يعتبرون مهرجان انصار السلام تحد لهم .. انه مجرد غزو شيوعي .. والمدينة كلها تتوقع ان يحدث صداما بـين الطرفين .

وقال الطبقجلي ـ سيدى .. اناشدك ان تمنع هذا المهرجـان

اجاب قاسم ـ انتظر .. سنتصل بك بعد نصف ساعة .

وانتظر الطبقجلي .. وانتظره جماعة اللواء العمرى .. وايديهم على قلوبـهم .

ان قضية نصف السـاعة هذه هي التي قررت مصـير مدينـة الموصل . كان واضحا ان هناك عملية استشارة بين قاسم وبين الحزب

الشيوعي .. والا لماذا لم يبت عبد الكريم قاسم بهذا الامر الخطير واحد ضباطه الكبار يشرح له خطورة الحالة ويناشده ان يمنع هذا المهرجان .؟؟

والاستخبارات العسكرية في بغداد ومدير الاستخبارات العسكرية الشهيد العقيد رفعت الحاج سرى كان يهمس باذن قاسم كل ساعة بحقيقة الحالة هناك وينصحه بالغاء الاجازة الممنوحة لانصار السلام ؟؟

والعقيد الشواف آمر اللواء المرابط في الموصل نفسها حمل نفسه الى بغداد وناشد قاسم ونصحه .. وحذره من النتائج .؟؟

اذن .. ماذا ؟

ودق جرس التلفون .. وجاء الجواب من بغداد .

لم يكن قاسم هو المتحدث هذه المرة .. بل احد ضباط الحاكم العسكرى العام .

الجواب ـ لافائدة .. سيتم المهرجان بموعده .. الزعيم يريد ذلك .

وتم المهرجان .. وتمت معه تلك المذبحة الشنيعة التي شهدتها الموصل الباسلة .

وسالت الدماء ... وسحلت الجثث .. واعدمت محكمة (البلورتاريا) الشيوعية عشرات الابرياء بالجملة .. وهدمت المساجد وعلقت الجثث عارية في الشوارع .

وتطورت الاحوال .. وجيء باللواء العمرى معتقلا من الموصل .

اتهم بالاتصال بالطبقجلي كمبعوث من العقيد الشواف .. وهاهو امامي بقامته القصيرة وبصوته الرقيق وباللامبالاة التي نعرفها عنه .

كانت الليلة الماضية سيئة حقا .. المعتقل كله لا ينام .. ولا يرقد ولا يستكين عندما ترتفع سكسكة المفاتيح وهي تعالج الاقفال . وعندما تنبعث اصوات الجنود .. .. يسوقون احد المعتقلين الى بهو الضباط . حيث مذبح الكرامة .. وحيث يعاد قبيل الصبح محمولا على نقالة او على اكتاف الجنود والدماء تقطر من جسمه .

هكذا عادوا بالعمرى قبل ليلة .

جاءوا به فجرا على نقالة تلطخت بالدم .. وقذفوا به داخل

الغرفة لتتلقفه الايدى الصديقة الرحيمة . ولتبدء عملية المعالجة بدهان خاصة تسربت الى المعتقل وراحت تقوم بجولات سريعة صبيحة كل يوم بين غرف المعتقلين فى محاولات بسيطة لتخفيف عن آلام المعذبين منهم .

حقا .. كان هذا الدهان . صديقا للجميع .

× × ×

التقط اللواء العمرى من بين زملائه في تلك الليلة ونقل الى بهو الضباط .

هناك .. تلقفه رجال البياتي بوسائل الايضاح التي هي عبارة عن عصي غليظة وكرابيج وخوازيق من الخشب المديب ومجموعة من الحبال .

ووسائل الايضاح هذه تسمية ابتدعها البياتي والمقصود بها كل هذه الكرابيج والعصي وغيرها من اسلحة الرجولة .. !

رفض اللواء العمرى ان يذكر كلمة واحدة ضد الزعيم الطبقجلي . وكان همهم ينحصر فى الحصول على اي اتهام ضد الزعيم ناظم .

حاولوا ذلك مع الكثيرين .. مع مختلف الضباط .. مع مدنيين . مع جنود عاديين .. كانوا على الاكثر يريدون ادلة تدين الطبقجلي على لسان اناس اتصلوا به فعلا واعترفوا بانهم اتصلوا به .

بعد ساعة .. كانت الدماء تقطر من كل بقعة فى جسم الرجل الصامد وتفننوا في تعذيبه .. وهذه ليست المرة الاولى . فربما كانت العاشرة وربما كانت اكثر .

بعد ساعتين شوهد اللواء معلقا بيد واحدة في سقف الغرفة .

اتصور ذلك واكاد لا اصدق ..

رجل في الخمسين يعلق بيد واحدة في سقف . ثم يترك ليتدلى ساعة كاملة .. بينما تمزق وسائل الايضاح كل بقعة في جسمه .

ليس غريبا بعد ذلك .. ان يقذفه الجنود صبيحة اليوم التالي على زملائه مجرد جثة تتنفس ببطء .

كان الرجل .. فعلا .. على حافة الموت .. ومرحى للابطال

X X X

فروســـية !

كانت فترة الرياضة التي يسمح لنا خلالها بالخروج من جحورنا فترة ساخرة وحرجة معا .

ساخرة .. كونها تعكس مشهدا يدعو الى الضحك حقا . فقد كان منظرنا ونحن نهرول بين الاسلاك الشائكة ونأتي بحركات سريعة لتنشيط الدورة الدموية يدفع المشاهد الى الاشفاق والى الضحك .

كنا نحاول الاستفادة من الدقائق العشر المسموح بها الى ابعد حد بعد استرخاء مشوب بالقلق وضيق النفس يستمر نحو اربعة وعشرين ساعة مرة واحدة في زنزانات ضيقة يحشر في كل واحدة منها اكثر من عشرة افراد يفترشون بطانيات او افرشة خفيفة صفت على ارض الغرفة بتراصف محكم .

اما كونها حرجة .. فلان هذه الدقائق على الاكثر لم تكن لتمر دون حادث تهدر فيه كرامة احدنا أو كرامتنا جملة .

كان بعض صغار الضباط الشيوعيين يتجمهرون مع جنودهم خلف الاسلاك الشائكة فى عملية تفرج تصحبها تعليقات مهينة وسباب وشتائم واستعمال الفاظ غوغائية واطئة لا تنحصر فى اشخاصنا فقط بل تتجاوز ذلك الى عوائلنا ونسائنا واخواتنا وبناتنا .

لم يتورع الضباط في يوم من الايام من التجمع خارج الاسلاك الشائكة اثناء وقت الرياضة ثم قرروا مشاركة المعتقلين داخل الاسلاك فدخلوا يحملون عصيهم ومسدساتهم وبدأوا فى المشاركة فعلا ولكن على طريقتهم الخاصة .

طلبوا اولا الى بعض المعتقلين ان يهرولوا .. ولما وجدوا ترددا في استجابة الطلب هتفوا بجنودهم ان يقتحموا المعتقل .. ثم بدأت عملية

ضرب مبرح جماعي .. ولما كلت ايديهم وتعبوا اعلنوا انهم قرروا هذه اللحظة احياء حفلة راقصة .. وانهم سيختارون احد المعتقلين للقيام بدور الراقص .. اما الفرقة الموسيقية فستتألف منهم هم .

ووجم المعتقل كله .. والتقت نظرات المعتقلين .. وفهم كل واحد منهم .

هؤلاء الضباط الذين فقدوا اخلاقهم يدبرون عملية اهانة لاغير .

ووقف احد الضباط واسمه (مثنى الراوي) وهو ملازم ثان .. واشار الى احد المعتقلين المدنيين ان يتقدم .

لقد اختاروا (منصور خياط) وهو موظف عراقي كبير في شركة نفط العراق . ويحتل اكبر منصب يشغله العراقيون في الشركة .. كان رجلا مثقفا عالي الاخلاق فى العقد الخامس من عمره .

قالوا لمنصور خياط ـ عليك ان ترقص عندما نبدأ نحن العزف ـ

امسك ثلاثة منهم بصفائح بنزين فارغة وبدأوا يضربون عليها .

ولم يتحرك (منصور خياط) ..

صرخ به ملازم اسمه (سالم الفارس) ـ تحرك ..

ولم يتحرك الرجل .

كبرت نفسه .. وابت كرامته الخضوع لنزوة سافلة .. كان يدرك ماذا ينتظره لو اصر على الرفض .. وان هولاء الضباط الذين قبلوا الهبوط الى هذا المستوى اي اناس هم ؟! واية وحوش تعيش فى اعماقهم .؟!

وصرخ به ضابط اخر ـ تحرك ابن الـ ...

ولم يتحرك (منصور خياط) .. وكان واضحا انه يتحداهم . احتقنت وجوههم .. وبدا حقدهم يغلي .. زمجروا اولا ثم انفجروا وراحت عصيهم تعكس ماتعيش في اعماقهم من شهامات ومن رجولة .

وانهار (منصور خياط) .. وقع على الارض والدماء تنزف من راسه ومن شفتيه .

هنا فقط كفوا عن الضرب .. وطلبوا الى جنودهم الانسحاب ثم انسحبوا وهم يتضاحكون .

لقد حققوا نصرا جديدا .. لعبد الكريم قاسم .

وخيم الظلام .. وبدات لحظات الرعب تقترب .

قال احد الزمـــلاء :

ـ احذر .. انهم سيحاولون استمالتك باللين .. وسيحاولون بعد ذلك اغراءك بالافراج عنك لو اعطيتهم اعترافات يملونها عليك .. فاذا يئســوا استعملوا وسائل الايضاح .

ولم يكن بالمستغرب ابدا ان أحس احساسا داخليا بان ليلتـي ستكون هذه اللية بالذات . فقد اعتادوا على ان يجهزوا حمامـــــهم الساخن لكل ضيف جديد . من الليلة الاولى .

وكان امامنا ثلاث ساعات على الاقل قبـــل ان تبدء عمليات التعذيب .. فلم يبدأوا قبل اليوم باقل من الساعة العاشرة وها نحن في الساعة السابعة تماما .

وبينما الوجوم يخيم على جو الغرفة .. وبينما يدندن صــوت احد الضباط المعتقلين بترتيل آيات قرآنية .. رحت استعرض الوجوه التي مرت علي خلال يوم كامل في المعتقل .

لم اكن لاصدق ابدا ان يكون هؤلاء الضبــاط قد سيقوا الـى معتقل واحد بينما هناك ثلاثة او اربع معتقلات اخرى تضم عددا هائلا من الضباط والمدنيين ايضــا .

اذن .. ماذا بقي للجيش ؟

سؤال .. راح يدفعني دفعا لاجراء عملية حسابية بسيطة ..

هناك اكثر من خمسمائة من الضباط يعيشون فى المعتقلات ؟

ومثل هذا العدد تم تسريحهم من الجيش ؟

واكثر من مائة ضابط قتلوا في حوادث الموصل وكركوك ؟

ونحو خمسين ضابطا هربوا من جحيم العراق ؟

مرة ثانية .. ماذا بقي للجيش ؟

ماذا ابقى لجيش البلد هذا الرجل الذى لايدرى الى اين يقودنا ؟

× × ×

الحقيقة .. وراء كل واحد من سكان هذا المعتقل قصة تصلـح لوحدها ان تكون كتابا مســـتقلا .

ان ثمانين بالمائة من المعتقلين هم من ابناء مدينة الموصل .

ان عبد الكريم قاسم سيطرت في اعماقه (عقدة موصلية) . فاصبح لايطيق ضابطا من ابناء هذه المدينة الباسلة او مواطنا من أهل هذه البلدة العربية العريقة .

لقد خلقت له الموصل الصامدة عقدة صعبة لانها استطاعت ان تضع العلامة الاولى فى طريق الحرية والانتفاض على الحكم الدكتاتوري الفردى .

وامتلأ معتقل الدبابات بضباط موصليين جيء باكثرهم من الموصل نفسها . وسيق البعض الاخر وهم في مقرات وحداتهم في بغداد وفى بقية المعسكرات العراقية فضلا عن عدد كبير من الضباط غيرالموصليين الذين تشكك قاسم في ولائهم لنظامه القائم على سفك الدماء وسحل الجثث .

وكان هناك بعض وجهاء مدينة كركوك من زعماء التركمان .

كان هناك (ابراهيم نفطجي) وهو زعيم تركماني معروف .. وكان هناك (محمد الصالحي) رئيس غرفة تجارة كركوك .. وكان هناك (عطا خيرالله) وهو شاب من عائلة تركمانية عريقة كان ضابطا في الجيش العراقي برتبة رئيس اول ثم ترك الخدمة .

عرفنا بعد ذلك ان (عطا خير الله) قتل في حوادث كركوك هو وشقيقه (احسان خير الله) الذى كان طبيبا في الجيش انذاك .... رحمهما الله ..

عندما فرض منع التجول صباح يوم الذكرى الاولى لثورة ١٤ تموز وبدأت المذابح فى التركمان جاءت سيارة عسكرية الى بيت (عطا خير الله) وطلبوا منه مرافقتهم الى مقر القيادة لانه مطلوب هناك . ولما ركب المسكين السيارة . لم تذهب به الى مقر القيادة بل الى ساحة معروفة في داخل المدينة وهناك قتل بالخناجر وعلق عاريا على شجرة كالبتوس .

بعد ساعة ترك البيت شقيقه الطبيب العسكرى (احسان خير الله) للبحث عنه فتلاقفته ايدى الغوغاء والجنود وقتل وسحل عاريا حتى تهرأت جثته .

اليس هذا ما يريده عبد الكريم قاسم !

قتلوا الناس وسحلوهم وعلقوا جثثهم على الاشجار . وماذا صنع لهم !

ماذا صنع هذا الرجل الذى وقف بعد حوادث كركوك ليتظاهر بالالم والحرقة وليصف هذه الوحشية بانها لم تحدث لافي (ديرياسين) ولا في غزوات (هولاكو) .

ثم ماذا !

سيقوا الى المجالس العرفية العسكرية .. وثبتت ادانتهم واصدرت هذه المجالس احكاما عادلة باعدامهم .

ومـــاذا بعد !

لم تصدر هذه المجالس العسكرية حكمها على هولاء المجرمين لكونهم يحملون مباديء شيوعية او انهم اعضاء في الحزب الشيوعي .. وانما حكمت عليهم لكونهم قاموا بعمليات قتل فى ظروف وحشية .. اذن فهم في نظر القانون مجرد مجرمين عاديين .

ثم مـــاذا !

لم يصادق عبد الكريم قاسم حتى اليوم وبالرغم من مرور اشهر على حكم واحد .. ولم يعدم مجرما واحدا .

المجرمون في مقاييسه ليسوا من هذا الطراز ..

انهم من طراز الطبقجلي والشواف ورفعت وبقية الصف الطويل من الشـــهداء .

بعد يومين من الحكم عليهم ... يسوقهم قاسم الى (ام الطبول) وهناك يعدمون رميا بالرصاص بينما تفرقع القبلات الحارة بين المهداوى والمدعي العام العسكرى (ماجد امين) وبقية الزمرة الحمراء .

تهنئات .. لاجل العروبة الذبيحة في عهد عبد الكريم قاسم .

× × ×

ضيوف الليل ..

الان .. الساعة العاشرة ..

كنا سكوتا .. عندما انتفض احد الزملاء ثم قال هامسا ـ اعتقد .. جاؤا ..

رفعت رأسي لاجد الزملاء كلهم قد حولوا ابصارهم نحو الباب .

وبدأت ادعك سيجارة كانت بيدي فى بلاط الغرفة لئلا يشاهدها ضباط المعتقل فتفرض على الجميع عقوبة المنع من الخروج اسبوعا .

لقد كان التدخين ضمن الممنوعات الكثيرة التي اصدرها البياتي آمر المعتقل .

كانت المطالعة ممنوعة . وكان ادخال الصحف اليومية ممنوعا .

والتدخين ممنوع . ومنعت العاب التسلية .. وكل سبب يرفع من معنوياتنا ويعطينا أي قدر من الصبر للتغلب على المحنة التي تأكلنا وتمضغنا كل لحظة .

بدأت تطرق اذاننا اصوات خطوات عسكرية سريعة تدق بلاط المعتقل من الخارج .

يعني ذلك ان شيئا ما سيحدث ..

بعد لحظة سمعنا صوتا يقول بلهجة آمرة ـ افتح هذا الباب .

اي باب يا ترى .. سوف نعرف حالا .

وبدأت سكسكة المفاتيح وهي تعالج قفل الباب الحديدي فى غرفة مجاورة .

اذن .. لسنا الهدف .. ولكن ماذا يحصل فى الغرفة المجاورة ؟

قال زميل وهو يزم على شفتيه ـ من يدري .. ربما وجدوا ضحية اخرى .. او لاد ال .. واتبعها بشتيمة صادرة من الاعماق .

وكبرت الضجة . وبدأت الاصوات تكثر وتتنوع .. واسرع بعضنا الى الباب يقف خلفه فى محاولة لمعرفة اي شيء .

ان غرفا اخرى بدأت تفتح ثم تغلق .

قال ضابط زميل ـ حسنا .. اعتقد ان ضيوفا بعث بهم الزعيم الاوحد .

وكان هذا هو الواقع .. فتح باب زنزانتنا واطل وجه فاضل

البياتي بشاربيه الستالينتين وبكرشه الصغير . وبعصا المارشالية .. اطل علينا بكل الوحش الذي يعيش فى اعماقه . واخذ يستعرضنا بنظراته . ولما تكلم عرفنا ان اثنين على الاقل سيكونان معنا وان (الدرزينة) ستكون كاملة باذن الله .

وبعد دقائق كنا (درزينة) فعلا .. وبينما راح بعض الزملاء يختصرون افرشتهم ويلملمون اطرافهم لافساح مكان للضيفين الجديدين كان الضيفان يتساءلان بحيرة وبقلق . لماذا جيء بهم الى معتقل الدبابات فى مثل هذا الوقت ؟

كان اسم معتقل الدبابات يرعب الناس فعلا ..

خلاصة الحكاية .. ان جماعة من المدنيين المعتقلين نقلوا فجأة مساء هذا اليوم من معتقلهم فى (ابي غريب) بضواحي بغداد الى معتقل الدبابات الاسوأ سمعة والاوحش معاملة .

ولكن .. دعونا نقف قليلا عند هذه الحادثة .

ان المعتقلين الذين جيء بهم الى معتقل الدبابات فى هذه اللحظة ولو انهم من المدنيين الا انهم يتمتعون بمكانة سياسية واجتماعية عالية .

انهم فعلا الوجه غير العسكري المعارض لسياسة الانفصال التي يدعو لها عبد الكريم قاسم .

فلو عرفنا منهم الدكتور (عبد الرحمن البزاز) لعرفنا مثلا انه عميد كلية الحقوق السابق وعضو محكمة تمييز العراق وهي اكبر هيئة قضائية عراقية .

ولو عرفنا منهم الدكتور (سليم النعيمي) لعرفنا انه استاذ جامعي معروف باتجاهاته العربية الاتحادية .

ولو عرفنا (محسن الدوري) لعرفنا ايضا انه نائب معارض سابق وعضو بارز فى حزب الاستقلال ومحام معروف .

فاذا عرفنا (غربي الحاج احمد) نجده شابا محاميا متحمساً لعروبته . ثم انه اول مدير توجيه عام عين بعد الثورة .

وآخرون لهم مكانتهم الاجتماعية والسياسية .

على العموم .. لم يكن معتقل الدبابات معتقلا عاديا .. فقد

وضعت له نوعية خاصة تميزت بانتقاء افراد معينين سيقوا الى هـذا المعتقل لاجل غرض معين ومخطط موضوع .

× × ×

مشروع .. مجزرة

بعداسابيع قليلة كشف السرالذي كان يكمن وراءانتقاءافرادمعينين من عسكريين ومدنيين ليدفنوا فى هذا المعتقل احياء .

كان سرا .. بشعا يعكس الوجه البشع الذي يطل على العراق من هذه الفتحة التي فتحها عبد الكريم قاسم ..

كانت ليلة مخيفـة تلك الليلـة التـي يحددهـا الزمن بتاريـخ ١٠-٦-١٩٥٩

ليلة .. حددت بحزن عميق موعد المجـزرة البشـعة التي قرر (فاضل البياتي) وضباطه من شيوعيين وقاسميين وانتهازيين تنفيذها فينا .. كلنا .. كل المعتقلين .. ربما بأمر من قاسم نفسه .

كنا نياما عندما تململ بعضنا على اصوات حركة غير اعتياديـة فى الساحة المقابلة للمعتقل والتي احتشدت فيها دبابات اللواء المدرع بكتائبها الثلاث الاولى والثانية والثالثة .

والحقيقة القاطعة ان هذا المعتقل كان معتقلا يمسك برقبته سلسلة من الضباط الشيوعيين والانتهازيين لا (فاضل البياتي) وحده .

اقيم المعتقل فى اللواء المدرع وهو يامرة العقيد (سلمان الحصان) . ومن هنا نعـرف ان (الحصـان) اقام المعتقـل فى معسـكره وله حق الاشراف عليه .

ووضع المعتقل بالضبط فى معسكر كتيبة الدبابات الثانية ويعني هذا ان آمر الكتيبة المقدم (عدنان الخيال) مسؤول عن المعتقل لانه اقيم داخـل كتيبته .

بعد ذلك يأتي دور رجلهم الستاليني (فاضل البياتي) الذي انيطت به مسؤولية المعتقل فاطلق على نفسه رسميا اسم « آمر معتقل الخونـة والمتآمرين فى كتيبة الدبابات الثانية » .

وهكذا خلافا لكل منطق ولكل عرف . وخلافا للقانون . جعل منـا

البياتي جماعة من الخونة والمتآمرين قبل أي تحقيق. وقبل ان تديننا محكمة بعد محاكمة .

الواقع ان اجراءات (البياتي) او (عدنان الخيال) او (سلمان الحصان) نفسه كانت تتماشى وهوى عبد الكريم قاسم الذي لم يعترض عليها قطعا. ولم يصحح ما فيها من اخطاء جسيمة . ومن مخالفة للقوانين المرعية . وبالتالي لم يعترض على الاقل على المغالات فى التعذيب وفى المعاملة ..!

× × ×

ليلة الرعب ..

قلت ان حركة غير اعتيادية تململ على اثرها بعضنا وهم فى افرشتهم ثم انتفضوا وانتفضنا جميعا على صوت محرك دبابة ارتفع لحظة محدثا جلبة هائلة ثم سكت .

قال احدنا : ماذا يحدث ؟

لم نكن لنجيب ونحن نجهل الامر مثله .. ولكننا ادركنا تحت تأثير شعورنا بالخوف ان آلات حربية تعد لاجل غرض مجهول ..!!

لم يحدث ابدا خلال مدة وجودنا فى المعتقل ان حدثت حركة فى مثل هذا الوقت تستوجب كل هذه الضجة .

حقا .. كانت هناك كل ليلة حركة اخرى فى جانب اخر من المعسكر .. هناك فى بهو الضباط حيث تقام الحمامات الساخنة فيتجمهر الجنود خارج البهو وعلى نوافذه للمشاهدة بينما يكون ضباطهم يجربون شجاعتهم وشهامتهم فى عملية تعذيب متوحشة مع اعزل من زملائهم الضباط أو فى احد المعتقلين المدنيين .

قلنا .. حسنا دعونا نعمل شيئا لتطمين انفسنا على الاقل .

لقد استيقظ فى اعماقنا الشعور بالخطر.. وفقطكنا نعرف دون ان نفاتح بعضنا البعض بان وجودنا وتجمعنا فى هـذا المعتقل ليـس بالامر الاعتيادي ولم يأت اعتباطا . ولم يحدث صدفة .

الحقيقـة ان عوائلنا قد سـمعت بعض الهمس عن خطـر هائـل محدق بنا .

فلم تشأ ان تزيد من محنتنا وكتمت الامر عنا .

او كانت تعتقد انها تكتمه ..

وبدأنا نعمل ..

كانت هناك كوة صغيرة فى اعلى الجدار . وهي واحدة من كوتين متقابلتين .. اغلق البياتي واحدة منهما بلثامة ..

ولم يكن ليصعب علينا الوصول الى هذه الكوة . ومن حسن حظنا انها كانت تطل على الساحة الكبيرة .

ووقف احدنا باتجاه الحائط بينما قفز الاخر على كتفيه واستطاع ان يرى كل شيء .

قال .. ارى صفا من الجنود وقفو على شكل (كيو) ابتداء من مشاجب الذخيرة الخاصة بالدبابات .. كل جندي يحمل على كتفه قنبلة لمدفع دبابة . وارى بعض الجنود يحاولون وضع دروع الدبابات فى مكانها. بينما ارى اكثر من دبابة قد رفعت اعمدة اللاسلكي .

وكان الوجوم ..

ادركنا كلنا ان مغامرة خطرة سيقدم عليها سلاح الدبابات هذه الليلة ..

وادركنا بعد ذلك ان المعتقل كله سينسف قبل اي شيء آخر .

ونزل زميلنا بصمت .. بينما رحنا نطالع بعضنا بقلق واضح .. فلم يكن هينا علينا ان نؤخذ هكذا كالارانب . وان نقتل بالجملة دون أن يكون فى مقدورنا الدفاع عن انفسنا .

ثم ان القضية لها مغزاها الابعد . والاعمق ..

عوائلنا واطفالنا .. وكل أمالنا ومستقبل بلادنا ..

انها فعلا . عملية غزو سافلة للتخلص من القوميين ومن اية حركة قومية . ثم غلق الابواب امام اية حركة فى المستقبل .

بعد ذلك . اشاعة الرعب فى البلد واجبار الناس على التسليم للامر الواقع .

اذن .. ما العمل ؟

وماذا نحن قادرون ان نصنع .. ؟

معتقلون .. والزنزانات مغلقة بابواب من حديد .. وحولنا معسكر

الرشيد كله وقد سيطر الشيوعيون عليه . والجنود مسلحون بالبنادق والرشاشات .

ولا حول لنا ولا قوة ..

وبدأنا نعرق .. بل رحنا نغرق بالعرق ..

كان املنا الوحيد هم جنود الحراسة .. اي الجنود الذين يحرسون هذا الجانب من المعتقل . كنا نعرف انهم ليسوا من الشيوعيين . وانهم من اللواء العشرين الذي الذي احتل بغداد صباح يوم الثورة . وليسوا من جنود الدبابات .

ولكن .. ما هو املنا .. وعلى شيء يرتكز .. ؟؟

فعلا .. اظهر لنا بعضهم احترامهم واسفهم بمناسبات مختلفة .

كنا على الاقل .. نريد ان نعرف ماذا يعد سلاح الدبابات .. ؟؟

وقررنا ان نغامر ..

قام احدنا .. وطرق باب الزنزانة من الداخل .. وجاء احد جنود الحراسة .. صاح .. (دكيتو الباب) ..

قلنا .. نعم ..

ثم سألناه عن الجلبة .. لماذا ؟

واجاب ببساطة .. سمعت ان كتيبة الدبابات الثانية تستعد للقيام بمناورة بالسلاح الخفيف في (الحصوة) ..

والحصوة .. منطقة خالية شمال بغداد ..

وادركنا كل شيء ..

ادركنا ان كتيبة كاملة اي نحو اربعين دبابة (سنتوريون) و(تشرشل) وروسية .. ستكون في حالة استعداد عسكري تام للقتال ..

اذن .. هذه نهايتنا ..

أن دبابة واحدة تكفي لنسف المعتقل كله في لحظات .. ويا لضيعة الحياة .

× × ×

السلام عليكم ..!

وفجأة .. ارتفع ضجيج محرك دبابة .. بل اكثر .

وقفز احدنا على كتفي رفيقه بسرعة ليستطلع الخبر .
قال .. دبابتان لا واحدة .. انهما تستعدان للحركة ..
كنا وقوفا .. وكانت انظارنا تتجه نحو الزميل المستطلع ..
اضاف .. ها هي دبابة (سنتوريون) تتحرك .. لقد اتجهت نحو القاطع الثاني .. من المعتقل .. الاخرى تحركت باتجاهنا . توقفتا الان.
انهما فى وضع يوحي بالاستعداد للرمي ..
وبدا صوته يتهدج ..
كنا نستوعب كل كلمة يقولها .. وكانت لحظات مرعبة حقا .
قلنا .. اهبط . ودعونا نبحث الموقف ..
ولما هبط .. كان املنا الوحيد ان يغيروا خطتهم فى اللحظة الاخيرة ..
وبدأنا نتساءل ..
انهم حتى هذه اللحظة لم يبعدوا جنود الحراسة عن المعتقل .. هل قرروا نسفهم معنا . ام ان لديهم خطة ثانية ؟
بعث هذا السؤال شيئا من الامل فى نفوسنا .. وبدأت افكارنا تتجه نحو جنود الحراسة الذين ما زالوا فى اماكنهم . ان بعضهم يدندن باغنيات ريفية شائعة ..
انه حتى الان .. لم يشعر بشيء غير طبيعي ..
وجلس بعضنا بينما استمر البعض الاخر واقفا .. وبدأنا ندخن مرة واحدة .
هكذا بقينا .. نمضغ القلق والتبغ معا .. حتى الثالثة صباحا .
وفى الثالثة .. بدأت المفاتيح تعالج اقفال الغرف تصحبها طرقعة احذية الجنود والضباط .. ولغط .. وكلام ..
ماذا ايضا ..؟
ووقف بعض الجنود عند باب زنزانتنا . وفتح الباب . واطل جماعة من الضباط .. ودخل ضابطان كبيران ..
ولاول مرة .. بعد كل هذه الايام التعسة . سمعنا كلمة لطيفة .
السلام عليكم ..
ايه .. هل هذا معقول ..؟

واين يعيش السلام ؟.. افي هذه المدفنة العفنة . التي تهدر فيها كرامة الانسان بلا حساب وبلا مبالاة ..؟؟

كنا قبل لحظة نستنشق رائحة الموت من فوهات مدافع الدبابات.

ننتظر ان تطلق حممها لننعم بالسلام الحقيقي ... لا (سلام)الرفاق من الشيوعيين الذين يذبحون السلم كل لحظة فى شخص حر يحمل رأيا، تعيش فيه مفاهيم الانسانية الواسعة غير المحدودة .

ولا ادري لماذا .. خطرت فى بالي تلك اللحظة هذه الكلمات من الشعر الحر .

« وينتصف الليل .. حتى ننام ..
وتغمرنا .. وشوشات الظلام ..
ويمنع الهمس عنا
ويمنع حتى الكلام ..
ضحايا .. لاجل بطون (الرفاق) ..
ستؤكل .. فى الصبح او فى الظلام ..
ضحايا .. لاجل السلام .
لاجل .. خرافة هذا السلام ...
وباقي الكلام ...

× × ×

لم نكن لنعرف ماذا نجيب .. فمنذ اشهر ونحن لا نسمع سوى السباب . والشتائم والكلام التافه ..

منذ اشهر ونحن لا نعرف انفسنا سوى جماعة من المتآمرين . الخونة . القذرين . اعداء الجمهورية واعداء الزعيم الاوحد .

وبعد كل هذه الاشهر .. وفى هذه اللحظة الرهيبة . يأتي من يقول السلام عليكم ..؟

ولم نقل (عليكم السلام) كما هي العادة .

قلنا كلاما مبهما .. وخرجت من شفاهنا تمتمات . غير واضحة بعضها لم تتم ..

بدأ (احدهم) يسأل عن احوالنا .. كيف المعاملة ؟..
وكيف الطعام ؟

وهل تواجهون عوائلكم جيدا .. وهل .. وهل ..؟؟
كانت هذه الاسئلة غريبة ومن حقنا ان نضعها فى موضع الغرابة ..
فهل كان هذا الرجل لاهيا .. ليوجه الينا اسئلة عن المعاملة .. والطعام .. والعوائل وغيرها .. ام انه على قدر من الجد ليسأل عن اشياء يجهلها ؟
واحترنا ماذا نقول ..
لئن تحدثنا عن المعاملة بصراحة . فاننا نعرف ماذا ينتظرنا بعد ذلك على ايدي ضباط البياتي) ..
ولئن قلنا اننا لا نرى عوائلنا الا عشر دقائق فى الاسبوع . تحت الرقابة الشديدة . الغى (البياتي) حتى هذه الدقائق العشر ..
بعد ذلك .. اننا نعرف لماذا جاءا فى مثل هذه الليلة . وفى مثل هذا الوقت ؟.
انهما ما جاءا ابدا ليستفسرا عن المعاملة وعن الطعام . وعن مواجهة عوائلنا ..
ان لمجيئهما .. علاقة بهذه الدبابات التي استعدت للحركة ..
وبهذه المدافع التي شحنت بالقنابل وبالصواريخ ..
اذن .. الامر صحيح .. ولكن هل يعرف به عبد الكريم قاسم .. ام لا .. ثم كيف تطورت الامور .. وكيف عرف هؤلاء ..
وماذا جاءا يفعلان هنا ؟..
اختصرنا الامر وقلنا للضابطين :
حسنا .. اننا بخير ..
قالا .. اذن .. ليكتب كل واحد منكم ما لقيه من تعذيب وما شاهده من تعذيب الآخرين .. وليوجه تقريره الى الحاكم العسكري .. ويسرنا ان نبلغكم بان قضاياكم سيبت فيها قريبا .. وباذن الله يكون خير ..
وخرجا ..
اننا الان .. غارقون فى الحيرة حتى اذاننا ..
ماذا يعني كل هذا بحق الشيطان .. وكيف نفسر هذا الكلام الذي قاله هؤلاء الضباط وهم مكلفون من قبل عبد الكريم قاسم نفسه ..

ثم .. كيف حصل ..؟

اننا .. لو كتبنا كل شيء لوجب على عبد الكريم قاسم . ان يعدم كافة ضباط كتيبة الدبابات الثانية . ومعظم ضباط اللواء المدرع . بما فيهم آمرهم (سلمان الحصان) ..

لقد اهانوا الجيش .. وتجاوزوا سلطاتهم . واذلوا الرتب العسكرية والتي تمثل كرامة الجيش كله وهيبته ..

ولم نكن لنقبل لهم جزاء غير الاعدام ..

كانت هناك اشياء مبهمة كثيرة تتطلب ايضاحا .. ولم يكن امامنا الا انتظار الغد لعله يكشف ما شهدته تلك الليلة الرهيبة ..

وفجأة .. يرتفع صوت محرك دبابة .. ليقفز احدنا على كتف زميله مستطلعا .. ونقف جميعا فى حركة لا شعورية ثم نتجمهر خلف الباب لعلنا نسمع ايضاحا من جنود الحراسة ..

ويلتفت الى اسفل ضابط (الاستطلاع) كما اسميناه بعد ذلك . ليخبرنا ان (الدبابتين) تعودان الى مكانهما . وان بعض الجنود يفرغون الدبابات من ذخيرتها . والبعض الاخر يرفعون لوحات الدروع منها ..

ولاول مرة .. بعد كل هذه الساعات من القلق .. نشعر بالامان ..

ولم نذق لذة الامان كما ذقناها فى تلك اللحظة ..

وهدأ الضجيج بعد زمن قصير . ورحنا نشعر بان المعسكر بدأ يهدأ ..

ونمنا .. همدنا كالاموات ..

قبل ان ننام قال احدنا يوجه الكلام الي : اولاد الـ .. لن يتركوننا بسلام يوم الغد ..

× × ×

.. وبقيت الفكرة

وفى الصباح .. ادركنا كل شيء ..

عرفنا اننا لم نكن لوحدنا نقوم بعمليات استطلاع .. كان المعتقل كله .. كل جماعة فى مكانها .. تحاول شيئا .

لقد عرف الجميع ماذا ينتظرهم ..

وبعد جهد واستماتة .. استطاعت احدى الجماعات ان تثير شهامة بعض جنود الحراســة من اللواء العشرين . فقبل بعض الجنود الذهاب الى وزارة الدفاع وابلاغ المسؤولين ان حركة غير اعتيادية تجري الان فى معتقل الدبابات .. وان المعتقلين يخشون ان تكون هذه الحركة موجهــة ضدهم .. والمعتقل كله يضج ..

الان .. ادركنا فقط . لماذا جاء هؤلاء الضباط فى مثل ذلك الوقت المتأخر ..

وتوالت المفاجئات ..

فى نفس الليلة اعتقل العقيد (سلمان الحصان) آمر اللواء المدرع.

وفى نفس الليلة اعتقل جماعة من ضباط الدروع فى وحدات اخرى غير معسكر الرشيد .

وفى صبيحة اليوم التالي .. امتلأت بغداد بمناشير سرية اصدرها حزب (البعث العربي الاشتراكي)

وتسرب الينا احد المناشير .. فاذا به يفضح عملية انقــلاب كان المفروض ان تتم فىنفس الليلة لتشــترك فيها كافــة الدروع من دبابات ومصفحات . وعجلات مدرعة . فى معسكر الرشيد وفى معسكر الوشاش . وفى معسكر (ابي غريب) ..

لم يعجبهم تمهل عبدالكريم قاســم .. ولم يعجبهم عــدم اطلاق يدهم مرة واحدة للاجهاز على القوميين .. فقرروا القيام بحركة تصفية رضي قاسم او لم يرضى . ولكن قاسم استطاع فى اللحظة الاخيرة احباط هذه العملية عندما وعد بتصفية الضباط القوميين الكبار .. واعدامهم..

فعلا .. اعدمهم ..

اعدم الطبقجلي . واعدم رفعت . واعدم بقية القافلة .

نسي قاسم ان اعدام الافراد لا يميت فكرة .

ومات الافراد .. وبقيت الفكرة ..

× × ×

رجال فى المحنة

يبدو ان (فاضل البياتي) وضباطه اكتفو تلك الليلــة باســتقبال

(عبد الرحمن البزاز) وبقية الضيوف .. فقرروا تأجيل حمامي الساخن الى اليوم التالي .

مر الليل دون حادث .. وعند الفجر دبت الحركة فى المعتقل .

عندما ارتفع صوت احد المعتقلين بالاذان داعيا الى الصلاة .

حي علي الصلاة ..

ونهض المصلون . كل جماعة فى زنزانتها يؤدون الفريضة. يواجهون ربهم ويشكون لعدالته ظلم الانسان على اخيه الانسان ..

.. « وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون » ..

كانت هذه الكلمات الطيبة قد سطرت على لوح من ورق المقوى وعلقت على جدار الغرفة .

ربما كتبها احد فى ساعة ضيق ..

وبدأ وقت الاغتسال . وهنا فقط يمكن لبعضنا ان نتبادل تحيات عابرة . او ان يزف بعضنا للبعض خبرا هاما . مفرحا او مؤلما . لافرق.

واخذت اتطلع الى الوجوه .. انني اعرفها جيدا ..

امامي الان العقيد الركن (عبد الكريم فرحان) كان حتى تاريخ قريب آمرا للواء المدرع الذي يعيش فى معتقله الان

اتهم بالتآمر ضد عبد الكريم قاسم واعتقله ضباطه وجنوده . وبعد ساعة من اعتقاله استدعى للتحقيق . وما ان اصبح خارج غرفة المعتقل حتى كان بانتظاره جماعة من جنوده يقودهم الملازم (خالد عيسى) والملازم (مثنى الراوي) والملازم (سالم الفارس)

وصاح احد الملازمين .. تناوشوه ..

كانت هذه الصيحة كافية لان ينقض الجنود على آمرهم ..

واستعملت حتى الاحزمة فى ضربه . ولما انتهوا من تحيتهم لآمر اللواء المدرع .. ادخلوه غرفة المعتقل محمولا تنضح الدماء من رأسه ومن فمه ..

ويطل علي وجه احد الضباط الشبان . فاذا به (عبدالمجيد عبدالله) الملازم الاول . مرافق العقيد (عبد السلام عارف) ..

لم يكن قد تغير كثيرا . لولا انحناءة غير طبيعية تبدو في مشيته ..
واستفسر عن الامر .. فيتضح لي انهم (تناوشوه) اكثر من مرة. وانهم يحاولون اذلاله عبثا منذ زمن ..

لقد زينوا له المستقبل الذي ينتظره لو قال شيئا ضد (عبدالسلام عارف) ورفض (عبد المجيد عبدالله) ان ينطق بكلمة واحدة ..

ورفضوا هم ان - يترك بسلام - وكان ما كان .. مما اعرفه ومما لست اعرفه ..

زار بهو الضباط عدة مرات . وكان يعود في كل مرة محمولا على اكتاف الجنود او على نقالة .. يترك حتى يشفى . وحتى يجدونه قادرا على تحمل حمام ساخن جديد ..

فينتزع من فراشه ليلا .. ويعاد صباحا متهرىء الجسم من قسوة الضرب

وهكذا .. مرة بعد مرة .. ولم يلن ولم يهن . ولم يتنازل فيطلب منهم رحمة او اي قدر من عطف .

☒ ☒ ☒

كان الزعيم الركن (ناظم الطبقجلي) رحمة الله عليه . يقضي ايام اعتقاله في غرفة مجاورة مع عشر ضباط اخرين ..

ولم يكن الزعيم (الطبقجلي) حتى ذلك اليوم على يقين من انه سيقدم الى المحاكمة امام المهداوي ..

كان يستبعد ذلك لاعتقاده ان عبد الكريم قاسم لم يجن بعد ليدفع به امام ابن خالته المهداوي السليط اللسان غير المهذب حتى وهو يتربع على كرسي القضاء ..

وكنا نعتقد الى حد بعيد .. فعلا .. ما يظنه الزعيم (ناظم)هو الصحيح .

والزعيم ناظم بعد ذلك . يتمتع بشعبية في اوساط الضباط والجنود والجماهير ايضا .

ولعل شخصية الطبقجلي المحبوبة كانت سببا مباشرا في تمتعه بهذه الشعبية .. فلقد اشيع بعد اعتقاله بايام انه انتحر ..واستطاع عبدالكريم

قاسم ان يدرك خلال الفترة التي عاشت فيها هذه الشائعة الى أي مدى يعيش الضباط والجنود مع ناظم الطبقجلي ..

لقد بدا واضحا بعد ذلك .. اننا . وناظم معنا . كنا على خطأ فى تقدير نوايا وفهم عبد الكريم قاسم . وكنا على خطأ فى تقدير موقفنا بالضبط ..

كان عبد الكريم قاسم . لاسباب سياسية صرفة .. ينوي اعدام الطبقجلي ويعد العدة لتهيئة الجو الذي يبدو فيه اعدام الطبقجلي وجماعته شيئا عاديا تقتضيه مصلحة الجمهورية العراقية .

وشائعة انتحار الطبقجلي على اية حال كانت شائعة تستند الى الحقيقة ..

لقد انتحر الطبقجلي فعلا . ولكن القدر شاء ان لا يموت منتحرا بل ان يموت تحت وابل من رصاص عبد الكريم قاسم فى ساحة (ام الطبول) .

بدا جليا لنا بعد ذلك ان اعدام ناظم كان افضل من موته منتحرا وان تنفيذ حكم الاعدام فيه اعطى نتيجة خطيرة عززت الاندفاع القومي فى العراق وهبطت بعبد الكريم قاسم الى مستوى الجلاد الذي يرتجف هلعا من ضحيته .

لقد وضع ذلك اليوم . يوم اعدام الطبقجلي حدا فاصلا بين اتجاهين مختلفين اختار عبد الكريم قاسم واحدا منهما . واختارت جموع بغداد الطريق الاخر ..

لتحتدم بعد ذلك معركة تقرير المصير ضد قاسم ..

× × ×

انتحر الطبقجلي

حدثني الزعيم الطبقجلي عن قصة انتحاره التي هي فى الواقع قصة قصيرة وبسيطة تدور حول انسان اهينت كرامته فلم يحتمل وانتحر .

احيل الطبقجلي على التقاعد وهو ما يزال فى مقر قيادته (بكركوك) بعد مقتل العقيد (عبدالوهاب الشواف) مباشرة .

جيء به تحت حراسة قوية الى بغداد واعتقل منفردا فى غرفة احد ضباط اللواء المدرع ..

وفى مساء اليوم نفسه استدعي للتحقيق امام هيئة تحقيقية خاصة شكلت لاجل ان تعطي محكمة المهداوي وقودا مستمرا .

وكان مقر الهيئة التحقيقية فى بناية محكمة المهداوي نفسها . وهي نفس بناية البرلمان السابق . وتتألف من ثلاث ضباط كانوا دائما فى صف الضباط التافهين الذي يخجلون جيشنا بانتسابهم اليه .

رئيس الهيئة يطلق الشيوعيون عليه لقب (كاسترو جلولاء) اسمه (هاشم عبد الجبار) وهو يحمل رتبة زعيم وقد وضع عبد الكريم قاسم تحت امرته موقع جلولاء .

اما اعضاء الهيئة التحقيقية فهم العقيد (جلال بلطة)

كان ضابطا تحت امرة الزعيم الطبقجلي فى كركوك فاختاره عبد الكريم قاسم جاسوسا راح بكل امانة ينقل لزعيمه الاوحد تحركات قائد فرقته واي ضابط يرفض ان يخضع لنزوات قاسم ولتصرفاته الفردية الانفصالية ..

الثاني . الرئيس الاول سعيد مطر . وهذا الضابط ينتمي الى عائلة دينية فى مدينة النجف الاشرف ولكنه خرج على تقاليد عائلته وذهب بعيدا مع الحزب الشيوعي .

وهناك جماعة من الضباط الصغار المنساقين مع التيار الجديد بلا وعي وبلا ادراك . ثم جماعة من حكام التحقيق .

لقد احتلت الهيئة التحقيقية هذه صالون اللجنة المالية فى مجلس الاعيان السابق وراحت تجرب (وسائل الايضاح) ايضا مع المعتقلين الذين يسوقهم سوء الطالع الى هنا .

ففي وسط الصالون اقيمت مائدة كبير مستطيلة الشكل صففت

عليها انواع العصي والكرابيج . ووسائل التعذيب الاخرى من قالعات الاضافر الى الخوازيق المدببة ..

وما اكثر المعتقلين الذين سيقوا ليلا من جحيم معتقل الدبابات الى جحيم الهيئة التحقيقية لنتلقفهم صباحا من ايدي الجنود وهم فى حالة يرثى لها يتقلبون من شدة الالم . وتنزف الدماء من اجسامهم .. شفاهم متورمة . وعيونهم كلها كدمات .. فاذا .. اخذت الشفقة (هاشم عبد الجبار) او (جلال بلطة) او (سعيد مطر) اكتفوا باجبارك على الوقوف ساعات بقدم واحدة . واياك ان تعيد قدمك الى الارض لان الجندي الحارس عليك سيغمزك بحربة البندقية فى بطنك او ظهرك .. كيفما اتفق ..

× × ×

انكم تهينون الجيش

فى هذا المكان العنيف المليء بالحقد والتصميم على اهدار كرامات الضباط الاحرار .. جلس ناظم الطبقجلي ينتظر كلمة من هاشم عبد الجبار ..

وكبرت على ناظم .. كبرت عليه هذه المعاملة السيئة وهو ضابط كبير له شخصيته وله كلمته .

ولما استدعي الى غرفة التحقيق لم يكن يتوقع ابدا ان يبلغ الجنون بعبد الكريم حدا يطلق فيه يد هؤلاء الضباط التافهين ليهينوا كرامة الجيش وليعبثوا بالقيم التي يعتز بها الكثير من الضباط .

ولم يحتمل الطبقجلي اول كلمة من العقيد هاشم عبد الجبار ..

واحتدمت فى اعماقه معركة تخصه هو ..

طلب هاشم عبد الجبار من الطبقجلي ان يدلي باعتراف كامل عن دوره فى ثورة الشواف ..

قال الطبقجلي .. انه لن يفعل ذلك .. ولكنه سيجيب على اي سؤال .

وثار هاشم عبد الجبار .. وهدد الطبقجلي باستعمال العنف ..!
ـ ان صلاحيات الهيئة التحقيقية تتخطى الرتب العسكرية مهما كانت .

وتتخطى اهمية اية شخصية ـ

قال هاشم عبد الجبار ذلك .. واشار بيده الى العصي والكرابيج والخوازيق المعروضة على المائدة ..

ولم يتراجع الطبقجلي . قال .. انكم تهينون الجيش ..

وانا ارفض الادلاء بكلمة واحدة تفرض علي فرضا بالتهديد ..

وطال النقاش .. وامر هاشم عبد الجبار باخراج ناظم من الغرفة. ولكنه اعيد بعد ربع ساعة ..

قال .. هاشم عبد الجبار ..

حسنا سنعطيك وقتا للتفكير .. وأمر ان يعاد الى المعتقل .

الواضح جدا هنا .. ان هاشم عبد الجبار اتصل بعبد الكريم قاسم شخصيا . وتلقى منه التعليمات ..

ولما اعيد الطبقجلي الى المعتقل . تعمد الضباط الذين تولوا حراسته خلال العودة ومنهم الرئيس فاضل البياتي نفسه .. تعمدوا اهانته خلال الطريق .

وضعوه فى سيارة عسكرية مكشوفة بينما كان الجو ممطرا . واسمعوه كلمات عنيفة مهينة . واستعملوا جامعات اليد (الكلبشات) معه فى عودتهم .

وهكذا .. صغرت الدنيا فى عين الطبقجلي . وكبرت نفسه على هذه الحياة التي لا ترحم ..

وفى غرفته فى المعتقل قرر ان ينتحر .. ادرك ان قاسم لن يتركه . سيحاول ان يدفع معه الى الموت قافلة من الضباط الاحرار ..

اذن . ليمت هو وحده .. وليقطع على قاسم ارغامه بالتعذيب على اعطاء اعترافات تدين مجموعة من الضباط القوميين . فتكون حجة بيد قاسم لاعدامهم .

وتناول شفرة للحلاقة .. وبحركة خاطفة اجتز رسغ يده اليسرى فتقطعت الشرايين وبدات الدماء تتدفق بغزارة ..

وتمتم الطبقجلي بالشهادة ..

اشهد ان لا اله الا الله . واشهد ان محمدا رسول الله .

ومات الطبقجلي .. او هكذا هو ظن ..

لقد اغمي عليه . ولم يدرك شيئا بعد ذلك .

وعند الفجر .. افاق الطبقجلي ليجد معجزة حدثت فى غرفته ..

انه ما يزال حيا ..

وبنظرة خاطفة الى رسغه المنقطع .. وجد ان الدم قد تخثر وسد مجاريه ..

وكرجل مؤمن .. يؤدي كل فروض الطاعة لربه . ادرك ان ساعة موته لم تحن بعد .

وبهدوء اخرج منديلا وضمد به الرسغ .. وعندما اخرج الى الاغتسال اراد ان يمحو آثار الدم من رسغه . وما كاد الماء يغطي الرسغ حتى انفجرت الشرايين وراحت الدماء تتدفق منها بسرعة .

وانتبه الحرس .. وهرول بعضهم الى الضباط ..

وجاء (البياتي) مسرعا .. ونقل الطبقجلي الى المستشفى حالا .. ونجا ...

كأن الله سبحانه اراد له ان يموت شهيدا .. ليدق بعد ذلك مسمارا ضخما فى نعش عبد الكريم قاسم ..

× × ×

ايها الخونة .. هذا مصيركم

مر النهار بطيئا .. يجر نفسه بتثاقل ممل ..

وقضينا بعض الوقت نلعب (الدومنة) التي صنعناها من ورق علب السجاير .

وكنا نلعبها سرا لان البياتي منع العاب التسلية . فاذا احسسنا هزة فى قفل الباب اسرعنا باخفائها وعدنا الى اماكننا نتظاهر بالنوم .. او بالتكاسل .

وفى اللحظات الاولى من النهار يبدأ . تعداد المعتقل .. ويدخل احد ضباط الدبابات يحمل قائمة باسماء المعتقلين ويأخذ بترديد اسمائنا واحدا واحدا وعلى كل واحد منا ان يجيب بـ (نعم) ..

بعد ذلك .. يسمح لكل جماعة على حدة بالخروج للاغتسال او التوضيء استعدادا للصلاة ..

وفى كل صباح يوم تواجهنا مفاجأة .. يعدها جنود اللواء المدرع بتحريض من ضباطهم ..

مرة .. جاؤا بصورة مكبرة للمرحوم العقيد (عبد الوهاب الشواف) وهو قتيل فعلقوها على جدار التواليت . ثم كتبوا عليها بالخط العريض .. « ايها الخونة هذا مصيركم » ..

وكان علينا ان نواجه هذه الصورة المؤلمة كل يوم . دون ان يكون فى مقدورنا انتزاعها من جدار التواليت ..

ومرة فوجئنا بلوحة كبيرة الصقت على جدار حضيرة للدبابات يواجه غرفنا كتبت عليها هذه العبارة ..

« ايها الخونة .. رؤوسكم حان قطافها » ..

« اليوم ننفذ فيكم حكم الاعدام » ..

فاذا جاء دور احدنا للذهاب الى الحنفية بااباريق ماء الشرب الفارغة تجمهر الجنود على الحنفية وراحوا يسمعونك الوان السباب وانواع الشتائم ..

فى كل يوم يبتكرون شيئا جديدا .. الواقع اننا اعتدنا على هذه المفاجآت فلم تعد تخيفنا او تهد من عزائمنا ومعنوياتنا ..

كان (البياتي) يدفع جنوده وضباطه الى المعتقل كل يوم بتعليمات جديدة مبتكرة يقصد من ورائها افزاعنا وادخال اليأس الى قلوبنا لندلى

باعترافات كاذبة تتماشى ومخطط الحزب الشيوعي الذي كان يوهم قاسم بانه هو وحده (أي الحزب) القادر على اكتشاف مؤامرات القوميين ضد نظامه وضد زعامته ..

ولم يترك البياتي وسيلة واحدة الا وجربها للتضييق علينا ولاضعاف معنوياتنا .

حتى النوم .. كان يحرمنا منه فيبعث بجنوده عندما يهدأ المعتقل قبيل الفجر ليصعد بعضهم فوق السطوح ثم يأخذون بالهرولة العنيفة المستمرة .

او ان يركل الجنود ابواب الغرف باقدامهم وبعصيهم وهم ينادون (خونة) استيقظوا حان اعدامكم ... هكذا بجلبة عنيفة فنستيقظ فعلا . على ضجيج هذه المظاهرة.. فاذا عاودنا النوم عادوا الى فعلتهم بصورة اشد ..

وعندما تعقد محكمة المهداوي يضع (البياتي) آلة راديو فوق احدى الدبابات القريبة من المعتقل ثم يرفع صوت الراديو عاليا - يريد البياتي من وراء ذلك ان نستمع الى المهداوي وهو يرعد ويزبد ويهدد ..

فاذا حمل المهداوي على الرئيس عبد الناصر او ثار على القوميين او هاجم حزب البعث العربي الاشتراكي او الوحدة العربية كان علينا اردنا ام لم نرد أن نسمع هذا الكلام ..

كانت هذه العملية هي احدى ابتكارات (البياتي) لتخويفنا وافزاعنا . وكأنه يقول (سيكون دوركم أمام المهداوي) ..

الواقع الذي لا شك فيه . ان فكرة وقوف احدنا امام المهداوي تحيط بمحكمته كل هذه الغوغائية الشيوعية السافلة . كانت حقا .. مخيفة ومرعبة .. ومهينة معا ..

فقد كنا على يقين بان محكمة المهداوي لم يقصد من وجودها سوى توجيه الغوغاء نحو الانفصالية التي جاء بها عبد الكريم قاسم وسوى تشويه الاتجاهات الوحدوية العربية المرتكزة على واقع المجتمع العربي الذي ينشد الوحدة والاشتراكية

لقد شوهت محكمة المهداوي وجه العراق الحقيقي . ولم تكن سوى محكمة (بروليتاريا) شيوعية اختاروا لها ضابطا تافها كغطاء (رسمي) يتماشى مع ادعاءات عبد الكريم قاسم .

وكان مرد تخوفنا من الوقوف امام المهداوي يعود الى اننا سنحرم من حق الدفاع عن انفسنا . ثم لاننا سنتعرض لاهانات لا تنتهي. وبالتالي لان وقوفنا امام ابن خالة قاسم لايعني سوى ان الحكم قد صدر علينا سلفا . . .

اثبتت التجارب ان كل تخميناتنا كانت واردة وصحيحة . وان الضباط الذين اراد عبد الكريم قاسم التخلص منهم اعدموا بالفعل عن طريق هذه المحكمة التي هي من وجه آخر محكمة (عائلية) مهمتها تصفية خصوم العائلة القاسمية الجديدة التي جاء دورها لتحكم العراق ..

× × ×

شهامة ..

وعندما يحين موعد الغداء . تنشط الحركة داخل المعتقل .

ان اطعام هذا الحشد الكبير من المعتقلين ليس هيناً .. خصوصا فى معتقل تنحو ادارته نحو ايذاء المعتقلين والتضييق عليهم باصرار عجيب .

ولم يكن وصول الطعام ليتم قبيل الساعة الرابعة بعد الظهر .. وكان الطعام يأتي عن طريق متعهد لا ضمير له يتماشى مع رغبة البياتي وضباطه فى اطعامنا السم الزعاف والميكروبات .. وحتى الزبالة .

لاجل ذلك .. لا حاجة بنا لوصف نوعية الطعام الذي كنا ندفعه الى بطوننا لكي لا نموت .

الواقع .. كنا نعتمد على تهريب المأكولات المجففة ومختلف المعلبات عن طريق بعض الجنود الذين لم يفقدوا شهامتهم نحو

ضباطهم بعد .. كان الجنود قد عملوا فی وحدات عسكرية مختلفة .. ولم يكن اي ضابط من زملائنا ليعدم وجود جندي شهم من هؤلاء .

والحقيقة .. ان بعض الجنود والعرفاء كانوا لا يخفون تألمهم عندما يعاد أحدنا محمولا من شدة الضرب والتعذيب .. فيتجهون نحو خيمهم بصمت وهناك يطلقون لدموعهم العنان ..

حتى الضباط .. لم يكن المعتقل ليعدم وجود من تدفعهم شهامتهم والعروبة الراسخة فی أعماقهم الى المعارضة او الاحتجاج على هذه التصرفات .

لقد اضطر البياتي مرة الى رفع شكوى ضد ملازم اسمه .. عبد الكريم مجيد . رفض مشاركة ضباط الدبابات فی تعذيب زملائه الضباط .

فعلا .. ابعد هذا الضابط الشهم الى وحدة اخرى ..

تحياتنا .. للشهامة

× × ×

ولكي نروح عن انفسنا .. كنا نحيل تناول طعام الغداء او العشاء وحتى الفطور الى حفلة لطيفة لاتخلو من تنكيت .. وتعتمد أكثر ما تعتمد على المفاجأة التي يعدها كل واحد منا بتقديم علبة من المأكولات او الحلوى او الفاكهة المجففة ..

اما حفلات الكوكتيل فقد اعتدنا على اقامتها فی موعد تناول الشاي .. والشاي بعد ذلك هو المشروب الوحيد المتوفر .. وكنا نحفظه فی « ترموس » كبير لهذه الغاية ..

فاذا انتهينا من الطعام .. بدأنا بتمثيل رواية صغيرة .. هامسة .. يمثل احدنا فيها دور « المهداوي » .. بينما توزع أدوار المدعي العام العسكري ماجد امين وبقية هيئة المحكمة على الباقين ..

اما عبد الكريم قاسم .. فقد برع فی تقليده بعض المعتقلين الى درجة عجيبة ..!

وكنا فى بعض الاحايين نستغل اصواتنا فى أغنية شعبية شائعة او نشيد وطني حماسي ما زال يعيش فى ذاكرتنا منذ ايام الدراسة .

ولعل النشيد الوحيد الذي لا تخلو جماعة من ترديده فى المعتقل هو نشيد « الله اكبر » الشهير .

الا ان هذه الحفلات الهامسة التي كنا نقاوم بها الضجر والمحنة . كانت فى اغلب الاحايين تتعرض لهزة قاسية مفاجأة تفتت شملها ..

عندما نفاجيء بالمفتاح يسكسك فى قفل الباب الحديدي .

هنا .. يخيم الصمت .. ويقفز كل واحد منا الى مكانه متظاهرا بتلاوة القرآن الكريم او الصمت .. او النوم .

لقد اعتاد ضباط الدبابات على المباغتة .. وهم يقصدون من وراء ذلك ادخال الرعب فى قلوبنا .. وافزاعنا .. او على الاقل مضايقتنا ..

وعندما تفتح ابواب غرفنا لهم . نكون على يقين بان حادثا ما سيقع ..

فعلا .. يقع الحادث ..

يتجمهر الضباط فى مدخل الغرفة .. وتبدأ تعليقاتهم .. ثم السخرية والاستهزاء بعد ذلك يأتي دور الشتائم والسباب .. فاذا احتج احدنا . او أجاب على تعليق تبدأ عملية غزو جماعية ..

يشهرون عصيهم ويقتحمون علينا أفرشتنا .. ويبدأ الضرب كيفما اتفق .. وتمرق فى اذهاننا صورة خاطفة من تلك العصور التي عاش فيها الانسان « عبدا » للسيد ..!

فاذا تعبوا من الضرب .. ساقوا امامهم احدنا حيث تقام لاجله حفلة حمام ساخن فى بهو الضباط . فتتناول جسده كل وسائط الايضاح القاسمية .

وبعد ساعات .. يعاد الينا محمولا مهشما لا حياة فيه ..
ومرحى .. عبد الكريم قاسم

× × ×

حتى القرآن الكريم ..!

جاؤا مرة .. وبدأوا يقتحمون غرف المعتقلين لتمثيل دور كـل يـوم ..

ودخلوا واحدة من الغرف ليجدوا الرئيس « امين كوركجي » وهو ضابط صيدلي من اهالي الموصل يتلو آي الذكر الحكيم ..

تقدم منه الرئيس « سعدي علي » من ضباط الدبابات وطلب اليه الكف عن قراءة القرآن . فاحتقره الرئيس امين ولم يلتفت اليه ولـم يكف عن تلاوة كلمات الله ..

ولم يطق الضابط الشيوعي هذه الاهانة .. فرفع عصاه واهوى بها على رأس الرئيس المؤمن بالله . ثم ركل القــرآن بقدمــه فتطايرت صفحاته الشريفة فى الغرفة ..

ولكنه لم يقف عند هذا الحد بل اتبع ذلك معلقا بقوله :

ـ هذا معتقل .. لا مسجد

وصعق الضباط الذين كانوا مع الرئيس امين وكادوا يفتكـــون بهذا الشيوعي الملحد وليكن بعد ذلك الطوفان .. ولكنه انســحب مـن الغرفة بجبن عندما ادرك مغزى الشرر الذي راح يتطايــر من عيــون المعتقلين ..

وشاعت الحادثة فى المعتقل . فقرر بعضنا ارسال تقرير بالحادث الى عبد الكريم قاسم . ثم كففنا عن ذلك عندما هدات الخواطر .

.. فلم يكن عبد الكريم قاسم قطعا افضل من ضباطه ..

اما الرئيس امين كوركجي فقد نزفت الدماء من رأســه بســبب الشج الذي احدثته الضربة . فضمده زملاءه وبقيت العصابة البيضاء تلوح فى رأسه نحو اسبوعين ..

لقد احيل هذا الضابط الى محكمة المهداوي وحوكم مع وجبة العقيد الركن جميل الخشالي ثم اصدر المهداوي حكمه عليه بالسجن عشر سنوات .

أما التهمة .. فلم تكن سوى الاشتراك مع العقيد الشواف فى ثورته . وأما الدليل .. فلم يكن سوى شهادة من جندي قال فيها انه شاهد الرئيس امين كوركجي فى اليوم الاول من اعلان الثورة فى الموصل يتجه نحو مكتبه فى الثكنة ويدندن باغنية .. ـ وحده ميغلبها غلاب ـ !

× × ×

تجمهر ضباط المعتقل مرة على ابواب غرفنا .. كانوا كلهم برتبة ملازم ثان . لم يتموا دراستهم العسكرية الا قبيل نصف عام فقط ..

فتحوا باب احدى الغرف وصاح الملازم مثنى الراوي باحد الضباط المعتقلين : .. اخرج

ونهض الضابط المعتقل من مكانه مستغربا واتجه نحو الباب .. وعند الباب تلقفته ايدي بعض الضباط وسحبته سحبا الى خارج الغرفة .. ثم سمع صوت احدهم يقول .

ـ جنود .. هذا هو الخائن .. ارموه

وجمدت الدماء فى عروقنا .. فلم يكن من المستغرب ابدا ان تسول لهم انفسهم اعدام الرجل بهذه الكيفية ..!

من يدري ؟ .. ربما حدثت امور مهدت لهذا الاجراء ..!

وسمعنا قرقعة بنادق اتوماتيكية .. فهالنا الامر وايقنا ان زميلنا سيموت امامنا فعلا ..

ولكن الضابط المعتقل كان رجلا يحمل اعصابه بكف من حديد .. فلم يرتعب ولم يرتجف ..

ارتفع صوته يقول :

اذا كنتم رجالا فاطلقوا النار ..

وتوقعنا ان يحدث اي شيء .. فلم يحدث ..

كانت عملية ارهاب دفعتهم نزوة طارئة للقيام بها .. فلم تكن هناك مسؤولية . ولم يكن هناك ضبط . وهذا ماكنا نخافه ونخشاه .

فى البصرة .. قبل ايام فقط قتل « العقيد جلال » وسحلت جثته داخل المعسكر .. وعلقت عدة ساعات فى مدخل المعسكر ..

قتله جنوده بايديهم .. بتحريض من احد ضباطه

اتهمه الجنود بتدبير مؤامرة ضد الزعيم . وعبثا حاول اقناعهم .

ولما احس انهم قرروا الاجهاز عليه دخل غرفة مكتبه واعتصم بها. فحاصروا المكتب وراحوا يقذفون قائدهم بلفائف من نار لاجباره على مغادرة الغرفة . ولما غادرها يائسا اجهزوا عليه .. ز

ثم سحل .. وعلق فى مدخل معسكر الكتيبة التي كانت تحت قيادته ..

ثبت بعد ذلك ان ضابطا مساعدا له دبر هذه العملية .. اما المدبر الاول فهو الحزب الشيوعي ..

ايقن الحزب ان العقيد جلال لا يخضع لسياسته . وانه يحول دون سيطرة الحزب على هذا المعسكر .. فحكم عليه بالقتل وبالسحل .. واوعز لاحد اعضائه البارزين فى البصرة ان يدبر تنفيذ الحكم ..

واستطاع « حميد بخش » عضو الحزب الشيوعي وهو هندي الاصل ان يقتل عقيدا عربيا بيد جنوده ..

مرة ثانية .. مرحى عبد الكريم قاسم ..

× × ×

عبد الرحمن البزاز

اتجه ضباط المعتقل صباح احد الايام السوداء الى احدى الزنزانات ..

واخرجوا « عبد الرحمن البزاز » عميد كلية الحقوق السابق وعضو اعلى هيئة قضائية فى العراق .. واهانوه ثم .. ضربوه

تناوله بالضرب .. الملازمون - سالم الفارس ومثنى الراوي . وناظم الراوي . واسامة عبد الحميد وضابط طيار لا نعرف اسمه ولا ندري كيف جاء الى هنا ..

قالوا للبزاز - انك عميل انكليزي .. وربيب للاميركان .. ورجعي .. وضد الفلاحين . وخصم للعمال .

كان البزاز فى العهد الملكي السابق .. معارضا .. ومبعدا . ومن المغضوب عليهم .. ويحتل جانب المثقفين المتطرفين على الصعيد العربي الواسع ..

لكن الحادث لم يقف عند هذا الحد ..

فى مساء اليوم نفسه .. وبعد العاشرة بقليل . اقتحم المعتقل بعض الضباط وساقوا أمامهم « عبد الرحمن البزاز . والدكتور سليم النعيمي . والمحامي غربي الحاج احمد . والمحامي محسن الدوري » .. !

ولم نكن .. طبعا . لنجهل ماذا يجري انذاك فى بهو الضباط ونحن فى غرفنا يأكلنا القلق وتلعب بنا الحيرة . .

فقد كان بهو الضباط مسرحا واسعا لرواية متسلسلة لا تنتهي .. ابطالها البياتي وضباطه وضيوفه .. وضحاياها .. أنا .. وغيري من الهامدين فى هذه المقبرة ..

ومر الليل .. حتى اذا أصبح اليوم التالي ادركنا ما حدث لزملائنا المعتقلين ..

استجوب البزاز من قبل اثنين من غلاة الشيوعيين المدنيين احدهما يدعى « عطشان ضيئول » ..

ولم يكن استجواب عميد كلية الحقوق السابق استجوابا بالمعنى الصحيح بل كانت مناقشة فى الاراء والمذاهب السياسية اوضح خلالها الرجل رأيه بصراحة وشجاعة .. فتناوله الشيوعيون بالسخرية وبذيء الكلام .. ثم التفتوا الى الدكتور سليم النعيمي الاستاذ الجامعي فأشبعوه تهديدا ومسخا للمفاهيم التي يعتقدها .

وبالتالي اهانوا المحامي محسن الدوري ..

ولما اعيد البزاز والنعيمي الى غرفتهم احتجزوا « غربي الحاج

احمد » الذي اعيد صباحا فى موكب حزين .. وقد تهشمت عظام ظهره وتورم وجهه وقلعت احدى اضافر القدمين بوحشية خسيسة ..

وخلال اسبوعين .. عجز المسكين عن حمل نفسه الى مكان الغسيل .. فكان يحمله الى هناك بعض زملائه بالتناوب ..

اغلب الظن .. انه ما يزال يحمل وساما رفيعا صنعته عصي البياتي وجلاوزته ..

× × ×

ليلة الموت ..

وجاءت ليلتي ..!

جاءت ثقيلة كالهم ..

وما ان انتهت .. وانتهى معها حمامي الساخن . حتى كنت على يقين بان الضحايا الذين شهدوا بهو الضباط . اشفقوا على زملائهم فلم يذكروا الا جانبا متعثرا من عملية تعذيبهم ..

كانت الساعة قد تجاوزت العاشرة عندما فتح باب غرفتنا واطل أحد الضباط ..

ناداني باسمي .. وطلب الي ان ارتدي ملابسي ..

ــ ستذهب الى التحقيق .. هكذا قال .!

وتجمعت انظار زملائي فى .. مشفقة حزينة . مشجعة . فى وقت واحد .

لقد ادركوا ان الامر سيان .. لئن كذبوا وذهبوا بي الى بهو الضباط .. أو صدقوا وذهبوا بي الى الهيئة التحقيقية فى محكمة المهداوي .

انها ليلتي .. وحمامي قد جهز وسخن .. ولن افلت ابدا ..

وتركت أمري الى الله .. وبدات ارتدي ملابسي بلا مبالاة ..

وعندما كنت على استعداد تمتم احد زملائي وهو يشير باصبعه الى اللوحة المعلقة على جدار الغرفة ..

ــ « وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون ..

وبدون ان التفت الى الوراء .. خطوت الى الخارج لاجد نفسي بين جنديين يحملون البنادق الروسية الجديدة ..!

وانا ابتعد .. والضابط يتقدمني . كنت احمل شعورا غريبا بالاستسلام للامر الواقع ..

كنت اشعر ان شجاعتي غير محدودة .. وبدات اخشى ان يدفعني هذا الشعور دفعا للقيام بتصرف يزيد الحال سوءا ..

وبالتالي قررت ان اكون واقعيا .. وان اتحمل المأساة بكل صورها وكل وحشيتها ..

هناك مخلوقات عزيزة علي ما زالت تعتقد انني فى رحلة .. وان « بابا » سيعود فى اية لحظة ..!!

ولم يكن ليهمني ابدا ان تكون ليلتي .. فى بهو الضباط هنا على بعد خطوات .. او امام الزعيم هاشم عبد الجبار وهيئته التحقيقية التي اوكل لها قاسم تدبير الوقود لمحكمة ابن خالته المهداوي ..

وعندما انحرف الضابط نحو الطريق المؤدية الى البهو .. عرفت مكاني .

وفى داخل البهو .. بدات ليلة جديدة ..

كان هناك .. فاضل البياتي بشاربيه الكاملتين .. وكان هناك نحو عشرين ضابطا اعرف بعضهم . واجهل البعض الاخر ..

وامامي فى صدر البهو جلس المقدم عدنان الخيال . آمر كتيبة الدبابات الثانية وصديق عبدالاله واحد ضباط حرسه .. تلوح على قسماته بقايا جمال غابر .

وطالعتني رتب الضباط المعتقلين حزينة معلقة على شكل صف طويل فى الجدار ..

واقتحمت انفي رائحة « العرق » .. ودخان السجاير الافرنجية ..

اذن .. فهم مستعدون لاحياء حفلة من دم .. سأكون انا قتيلها الوحيد ..

وتقع عيني على ضابط اعرفه .. بدأ يتجاهل معرفتي به . ويزوغ عن نظراتي ..

وكان يقف خلفي برشاشته الروسية الجرذ الذي يعرفه كل المعتقل .. العريف « دحام » .. يا ويله من غضب الله غدا ..

وتتلقفني نظرات الضباط .. فحصا .. وودت من كل قلبي لو انعكست الآية .. وعلى المائدة المستطيلة التي تتوسط البهو تكدست بلا انتظام وسائل الايضاح .. عصي وكرابيج .. وخيزران . وارجل كراسي وموائد خشبية .. وخوازيق مدببة . وحبـال .. وفى الصالون الصغير الملحق بالبهو والذي جعل مطعما للضباط تجمهر بعض الجنود يحملون العصي والهراوات ..

يا آلهى .. كلها لي ..؟..

وافتتحت الحفلة ...

افتتحها البياتي عندما قال :

ـ انك امام امرين .. أما ان تملأ هذه الوريقات ـ واشار الـى أوراق على المائدة ـ .. فتكتب اعترافا كاملا يتضمن دورك فى المؤامرة على الزعيم وعلى الجمهورية .. وعلاقتك بناظم الطبقجلـي ورفعت سري .. وأما أن نستعمل معك .. وسائل الايضاح ..

استطرد ضاحكا :

ـ هل سمعت بوسائل الايضاح ؟ .. هاهي .. انظر جيـدا واشار الى ادوات التعذيب المكدسة على المائدة ..

قلت :

ـ عندما يتجمع علي اكثر من عشرين ضابطا مسـلحا . وانا الاعزل .. لاقيمة للرجولة هنا .. فلا تحاول تخويفي ..

ـ اجاب البياتي بشيء من السخرية :

ـ لا يعيش الفلاسفة هنا .. اننا لا نريد ان نبدأ معك بدايـة صعبة عليك .. تستطيع ان تجلس وان تفكر قليلا ولا تتسرع .. وثق انك آذا تجاوبت معنا فان الزعيم سيطلق سراحك ..

كنت اعرف انه يداهنني .. وكنت اعرف انـه وعد الكثيرين باطلاق سراحهم .. لقد افزع بعضهم التعذيب فلم يصمدوا .. فصدقوا وعوده وارادوا انقاذ رقابهم من المشنقة او الرمي بالرصاص . وكتبوا اعترافات غير صحيحة ولم تحدث ابدا . ثم لم يطلق سراحهم . بل زادت معاملتهم سوءا .

أردف البياتي :

ان الزعيم يعد باعتبار كل معتقل يدلي بأقوال تفيد التحقيق شاهدا لا متهما .. صدقني واستفد من هذه الفرصة ..

قلت موجها كلامي للمقدم عدنان الخيال :

ـ مقدم عدنان .. انني ارفض التحدث مع غيرك .. فأنت اكبر الموجودين رتبة ..

وقبل أن اتم كلامي .. صاح البياتي !

ـ ابن الل ... سأحطم رأسك ..

وجاءتني الاولى ..

ضربة من الخلف جاءتني على يد أحد الضباط الذين لاأعرفهم..

وهكذا .. بدأت رجولتهم تقول .. أنا هنا

امتدت ايدي بعض الضباط وانتزعتني من فوق الكرسي .. لتطرحني ارضا . ثم انهالت علي العصي والكرابيج من كل جانب .. وكيفما اتفق ..

سمعت صوتا يقول :

ـ كفوا الان .. سوف يتكلم ..

كان صوت المقدم عدنان الخيال .. الذي اقترب ووقف عند رأسي وانا مطروح ارضا والدماء تنزف من أنفي وفمي معا .

قال :

ـ اسمع .. ليكن بعلمك اننا لسنا بتاركيك ابدا .. ستضرب حتى الصباح .. وحتى تموت ..

ثم غير لهجته وابتسم وقال :

ـ لا نريد بك شرا .. ثم لماذا تضطرنا الى تعذيبك وانت رب عائلة .. قل شيئا ضد هذا الطبقجلي وانقذ نفسك ..

هززت رأسي سلبا .. فابتسم ثانية وقال : ـ لا عليك .. هل تريد ان تعود الى غرفتك لتكتب هناك ماتشاء دون ضغط او خوف ؟.. ثق انك ستعود الى بيتك والى اطفالك اذا تعاونت معنا ..

واردف !.. وخدمت الجمهورية والزعيم ..

وفيما انا استعيد انفاسي بصعوبة .. وأمر يدي على رأسي وجبيني لاعيدها مبتلة بالدم ..

لم اشعر .. والحبل يلتف تحت ابطي من الجانبين .. ثم يرتفع صوت الملازم خالد عيسى يقلد صافرة القطار بين ضحكات الضباط وتعليقاتهم ..

وهكذا .. سار قطار الدم ..

والقطار هنا .. عبارة عن جثة نصف ميته تسحل فوق بلاط البهو وتدور حول المائدة . بينما راح الضباط يوجهون عصيهم نحوها كيفما كان وبلا تعيين .. والجثة التي هي .. انا .. تتقلب فى محاولات فاشلة لتتفادى الضربات الموجعة ..

انني هنا .. لا اتمنى لانسان قطعا .. اي انسان كان .. ان يسحل حيا ..

الحقيقة .. انك وانت تسحل حيا تشهد نصف الموت بأم عينيك وبكل احساسك ..

والحمد لله .. ان ضباط البياتي لم يضعوا الحبل فى عنقي .. والا لكنت شهدت النصف الآخر .. وانتهيت ..

× × ×

طلب المقدم عدنان الخيال بعد ذلك ان يكفوا عني قليلا لعلي غيرت رأيي . ولعل ما شهدته حتى الآن يدفعني لان اختصر .. واكتب ما يريدون .

الحقيقة .. انني بعد ان مررت بالمرحلة الاولى من التعذيب .. وخدر جسمي من كثرة وقسوة الضرب . لم اعد اهتم بما ينتظرني بعد ذلك .. وصممت ان أصمد وان اجعلهم يوغلون فى سفاهتهم وفى رذالتهم .. ومهما كانت النتيجة .. فأنا هو المنتصر . وهم الخاسرون ..

اللهم شيئا واحدا لم يخطر ببالي .. ولست ادرك كيف ..!

المشنقة .. هذا الحبل المفتول المتدلي من سقف البهو . والذي شد الى مسمار كبير اعد لمروحة سقفية ..

ولما كفوا عني ونزعوا الحبل من تحت ابطي .. اسندني بعض الجنود الى الجدار وقدموا لي قدحا من الماء ..

كانت الدماء تنزف من شفتي وجبيني ورأسي . بينما تسلخت ساقي وانا اسحل على ارض مكشوفة .. وراحت أذني تطن طنينا مزعجا.
قال البياتي :
ـ والآن .. ماذا تقول ؟.. فما زلنا فى البداية ـ اشحت بوجهى عنه ولم اجب ...
قال :
ـ عليك ان تعرف شيئا ربما تجهله .. وهو ان العراق أصبح شيوعيا . ولا امل لكم .. وان الحزب الشيوعي حكم العراق .. وخلاص .. ولامكان للفلسفات التي تعيشون فيها لاجل عروبتكم .. المقدسة ..

قالها بسخرية .. أثارتني ..

ثم رفع صوته مهددا :

ـ سنجعلكم امواتا على اية حال .. قاذورات يجب ان يتخلص منها العراق ..

× × ×

لست ادري كيف تركوني دون ان يتموا فصول الرواية .. لقد انتهت الليلة بوضع « الفلقة » فى رجلي ثم استعمال العصا بالضرب بقسوة شديدة . بعد ذلك اعادوني الى زنزانتي يسندني بعض الجنود وهم يتوعدون بان ليلتي القادمة ستكون اشد سخونة واكثر حرارة .. وكنت اخشى ماأخشاه ان تذهب بهم نزواتهم الى حد استعمال المشنقة المؤقتة .. فى تعذيبي . ولكن الله سلم فلم يفعلوها معي كما فعلوها مع احد الضباط الاحرار ..
لقد روى لي احد المعتقلين كيف علقوه فى هذه المشنقة البشعة .. ودعوني انقل لكم حديث هذا الرجل الذي بقي مشنوقا على حافة الموت فترة من الزمن : قال :

مشانق الحرية :

.. « ساقوني الى المائدة التي ارتقيتها وانا أتخيل الصور التي شاهدتها فى حياتي عن اناس ساقتهم الجريمة .. الى المشنقة ..

ولكن .. أنا .. هذا الضابط الذي اقتيد من بيته الوادع الى هذا المكان .. بأية جريمة اساق الى .. مشنقة عبد الكريم قاسم ؟.. ؛

ولم يكن ليتملكني فى تلك اللحظة سوى الشعور بانني اجتزت المرحلة الصعبة من ليلتي السوداء هذه .. وان كل ضربة من عصا .. وكل لحظة تمر وانا تحت سياط التعذيب .. انما تزيد من ضخامة الوسام الذي يضعني فى صف الاحرار الصامدين لاجل عروبة العراق ..

اذن .. لا المشنقة تخيفني .. ولا يرعبني حبلها المفتول المتدلي من السقف كافعوان بشع المنظر ..

وكنت اعرف .. ان عملية الشنق هذه جربت مع غيري ..

جربت مع اللواء حسين العمري .. فصمد .. وجربت مع المرحوم « فاضل الشقرا » الذي اعدم بعد ذلك متهما باذاعة بيانات الثورة من اذاعة الموصل .. المدينة الحرة الواعية

فصمد ايضا ..

ومرت على ضباط آخرين .. فلم يطلبوا عفوا ولا عطفا .. ولم تصدر منهم استغاثة .. وكنا نعرف بعد ذلك كله .. ان عملية الشنق هذه انما هي عملية شنق مؤقت ..

اما من الرقبة وهذه يتفادونها لخطورتها .. او بالتعليق من اليدين او اليد الواحدة او ان يعلق بالمقلوب من القدمين .. وهي على العموم عملية تعذيب متوحشة وحقيرة .. وواحدة من ابتكارات الضباط الشيوعيين . او من مخططات خاصة وصلت اليهم من وراء الحدود عن طريق الحزب الشيوعي .

.. وعلى حافة الموت تماما .. يعيدون الضحية الى مكانها .. ثم يبدأون باعطائها بعض المنعشات ..

× × ×

ولست ادري كيف ..

عندما وجدتني معلقا فى الهواء بيد واحدة .. بينما ازيحت المائدة من تحتي .. هكذا كما تجري عملية الشنق العادية .. تماما

مع فارق واحد .. وهي ان الحبل المخيف . لحسن الحظ .. لم يطوق رقبتي بل طوق رسـغ يدي اليمنى وراح يجتز اللحم الذي تسلخ وبدأ يلسعني بحدة ..

ووقف البياتي تحتي قائلا بسخرية :

– .. علو .. فى الحياة وفى الممات .. الان ستتكلم ..

ولم اتكلم .. قررت ان أصمد .. وان اتركهم يتمون لعبتهم كما يريدون .. فاذا شبعوا سنرى ماهم صانعون بعد ذلك ..؟؟

وتركوني معلقا .. بينما راحوا .. هؤلاء الوحوش .. ينصرفون عني الى التحدث بأشياء اخرى .. بتعمد . وعن قصد . وغرضهم من ذلك ان يوحون لي بأني سأترك هكذا الى موعد مجهول ..

لقد استعملوا هذه الاساليب مع زملائي .. انني اعرفها جيـدا وسأصمد ...

لم تكن آلامي تطاق قطعا ..

جسمي متسلخ ..!

ورأسي متورمة ..!

وشفتاي تحرقاني ..!

ولساني جف ..!

ورسغي يدميها الحبل ..!

أما كتفي اليمنى .. فقد بدأ يضعف صمودها تحت ثقل جسمي المتدلي .

الشيء الوحيد الذي صمد ولم يتغير هو حسي ..

لقد بقيت حتى هذه اللحظة مسيطرا على اعصابي . فلم تضعف وقدة ذهني ولم يتبلبل تفكيري ابدا ..

وراحت أسئلة كثيرة تتراقص امامي وتشكل علامات اسـتفهام ضخمة .. ؟؟

رحت اتساءل عن هؤلاء الضباط غير الشيوعيين اصلا .. هؤلاء الذين لم يتموا دراستهم ولم يتخرجوا من الكلية العسـكرية الا منذ اشهر معدودات ..

لماذا قبلوا ان يهينوا المهنة التي ارتضوها لحاضرهم ولمستقبلهم.؟

ولماذا قبلوا ان يدفنوا العراق العزيز .. بكل عروبته العريقة .. بكل امانيه الواسعة غير المحددة . بمسحاة غير نظيفة استلموها من يد عبد الكريم قاسم ..؟

ثم متى سيطر هذا الحقد العجيب على قلوبهم . فأعمى ابصارهم وبصائرهم وراحوا يتناسون القيم الشريفة التي يتمسك بها العسكريون .. ثم يوغلون مع حقدهم هذا فيتصرفون هذا التصرف الواطيء .. ويهينون الجيش .. ويساعدون على حرق بلادهم بنار الشيوعية من جانب .. ونار الانفصالية القاسمية من جانب آخر ..؟

بعد ذلك .. ان ثورة الرابع عشر من تموز قامت لاجل ان تضع العراق فى مكان افضل .. ولاجل ان ترفع مستوى الفرد العراقي من كل الجوانب .. ولم تقم لاجل عبد الكريم قاسم الذي نسي كل شيء الا زعامته . والا استمرار هذه الزعامة ولو بالنار والحديد .. ولو على جماجم الابرياء من الناس .

.. لقد انقلب جنود الجيش العراقي .. جيشنا الحبيب هذا .. من حراس للوطن .. للارض الغالية .. للمبادىء النظيفة .. الى حراس تافهين لعبد الكريم قاسم ولاخيه « حامد » ولابن خالته المهداوي ولبقية ضباطه الانتهازيين والشيوعيين المرتجفين من هول جرائمهم ..

وتحول العراق بفضل الزعيم الاوحد وعائلته وضباطه والتيارات الواردة من خارج الحدود الى حمام للدماء تسيح فيه دماء الضحايا لاجل اهداف هي غير الاهداف التي قامت لاجلها ثورتنا ..

اذن ماذا ؟

ماذا دهى هؤلاء الضباط فانصاعوا هذا الانصياع الاعمى لقاسم .. وخضعوا هذا الخضوع المهين للشيوعيين الغرباء عن هذه التربة الغالية .. وخانوا عروبتهم .. وارتضوا لانفسهم ان يكونوا اداة مسخرة بيد امثال « حميد بخش » الشيوعي الهندي . و«عبدالقادر اسماعيل» الشيوعي الافغاني و «عزيز الحاج قولي» الشيوعي المجهول الاصل..؟؟

انها المصيبة الكبرى .. حقا

× × ×

سباحة .. حتى الموت

مرت الدقائق .. ثقيلة تجر نفسها جرا ..

وانا معلق .. وجسمي يتأرجح فى الهواء ..

والخيال والبياتي وبقية القبيلة المتوحشة الهائمة مع نزواتها .. ينصرفون عني بتعمد الى أحاديث أخرى . بينما اقتنصهم يختلسون النظر الي بين حين وآخر باطراف عيونهم . المتورمة بالحقد ..!

لست أدري .. كم مر من الوقت علي وانا معلق هكذا .. والعرق يتصبب مني فيختلط بالدم ويسيح على الجلد المتسلخ فيلسعني لسعات غير مشفقة ..

آخر ما شعرت به ..

ان البياتي نهض من مكانه واتجه نحوي ... وقال شيئا ..

ثم .. غامت الدنيا فى عيني ..

و .... مت

شعرت انني بلغت حافة الموت .. ولم اعد اميز شيئا ..

كنت على يقين بانني مائت ..

وفعلا .. مت مؤقتا ..

أغمي علي .. وانا متأرجح فى الهواء

لا أدري .. ماذا صنعوا حتى هبطوا بجسمي المنهوك الى الارض ..

فعندما افقت .. كنت ممدا على بلاط البهو .. وحولي حلقة من اناس متوحشين يحملون على اكتافهم علامات تسمى .. رتبا عسكرية ..

وكان وجهي مبتلا بالماء .. ويدي اليمنى متشجنة عاجزة عن الحركة .. وآلام جسمي لا تطاق ولا تحتمل .. ولم اكن اعرف ماذا

افعل .. حتى بدد المقدم الخيال حيرتي .. عندما امسكني من يدي وساعدني على الجلوس وهو يقول :

– لم نكن نرغب فى ذلك .. لقد اضطرتنا اليه . والآن عليك باختصار الباقي ..

اذن .. هناك بقية .. وماذا تكون ياالهي ..؟.

اجبت الخيال . وانا الهث .. وصوتي يبدو ضعيفا واهنا ..!

– لقد صنعتم بي ما اردتم .. وماذا تتوقعون مني بعد ذلك ؟..

قال البياتي الذي كان يقف منتفخا الى جانب الخيال :

– نتوقع ان ترحم نفسك واطفالك ومستقبلك .. لماذا تحمي هذا الطبقجلي ؟.. انه انتهى ولن يفيدكم ابدا ..

اجبت بلا مبالاة ..!

– اصنعوا ما شئتم .. ولكن ستحاسبون ..

زمجر البياتي والتفت الى ضباطه :

– ابن الـ ... يهددنا .. خذوه الى المسبح ..

وكانت مفاجأة .. لم اسمع بالمسبح هذا ابدا ؟ .. وما يكون هذا المسبح ؟.. وماذا هم فاعلون بي هناك ؟..

توقعت اسوأ الامور .. وخطر ببالي انهم قد يغرقوني فيه ..

حسنا .. وما الفرق ..؟ .. سيان عندي . ان اموت غرقا .. أو اموت شنقا .. او سحلا او تحت وابل من الرصاص ..

اذن لاتوكل على الله .. وليكن ما يكون ..

يقينا انهم لن يذهبوا معي حتى الموت الحقيقي .. سأواجه حافة الموت عدة مرات.. لاتوكل على الله .. وليكن ما يكون ..

ورفعوني من الارض .. وبدأ الموكب الحزين ..

انا .. الوحيد الاعزل .. بكل جروحي ...

بكل الآلام التي مرت علي فى ليلتي السوداء هذه ..

بكل صبري وصمودي .. وايماني بالله وببلادي وبعروبتي .. وهم ..

بكل قسوتهم ووحشيتهم ..

بكل خروجهم على .. الانسان ..

بكل المفاهيم الواطية التي ارتموا فى احضانها ..

وبالتالي .. بكل مسدساتهم . ومدافعهم الرشاشة ..

كنت اسير بصعوبة .. اترنح واكاد ارتمـي على الارض مـن من شدة الاعياء ..

ولم اكن لاتمنى شيئا فى تلك اللحظة سوى ان انام .. او اموت .

المهم .. ان اهمد .. ولا يهم بعد ذلك ان اهمد مؤقتـا .. او اهمد حتى الابد .. وتراكض بعض الجنود من هنا وهناك .. والتحقوا بالموكب ..

وخرج بعض الجنود بملابس النوم من عنابرهم .. واقتربوا منا بصمت ..

وكان يسير فى المقدمة ملازمان هما « قاسم جراد واسـامة عبد الحميد » .. بينما توسطت انا المقدم عدنان الخيال والرئيس فاضـل البياتي الذي كان يسير الى جانبه الرئيس الاول سعدي علي.

وخلفنا كان جحفلا من الضباط الذين تحولوا الى جلادين . ثـم الجنود . ولم يخل الموكب من العريف « دحام » الـذى كان يستلمنـا ويعيدنا من والى بهو التعذيب بتلذذ عجيب وبفخر وتباهى ..

وعند المسبح توقف موكب الموت ..

التفت الي عدنان الخيال ورمقنى بنظرة فاحصة ثم قال :

ــ والان .. لماذا تعرض نفسك لكل هـذا .. تأكـد انـك ستغرق هنا حتى المـوت ..

لم اجب ..

قال : هل تعد بكتابة اعتراف كامل لو اعدناك الان الى غرفتك ..

لم اجب ..

قال : وقد رفع صوته قليلا :

ــ احترنا بكم والله .. تحمون الطبقجلي . وتحمون رفعت سري . وبقية المتآمرين . بينما هم اعترفوا بالتفصيل . وكشفوكم تماما .

كنت اعرف انه يكذب .. فلم اجب

استطرد :

ــ ارجوك ارحم نفسك .. ان الزعيم طيب القلـب ومتسامـح .

وسيعفو عنكم وتعادون الى وحداتكم ايضا .. لم اجب .. فقد كان يكذب ..

الزعيم خدع الشعب العراقى كله .. خدعنا . وخدع الثورة . وهو اليوم يحاول ان يخدع التأريخ .. والزعيم لاهو بطيب القلب ولا هو بمتسامح .. الطيبون لايقتلون الابرياء ولا يتسببون بالشر ..

وماذا ترك لنا الزعيم لكي نصدقه . ولكي نثق فيه . ولكي نعطبه ما اعطيناه فى الايام الاولى ..

هنا نطق البياتي ..

قال بحنق ـ دعه لافائدة منه .. سنبدأ معه ..

وفجأة .. وجدت نفسى طائراً فى الهواء .. فقد رفعنى بعضهم من الخلف بغتة وقذفوا بي داخل حوض السباحة ..

كان الوقت شتاء .. ولسعنى الماء البارد فانعشنى فى الوهلة الاولى . ولكنه سرعان مابدأ يفعل مفعوله فى جلدى المتسلخ وجروحي..

وغطست أول الامر .. ثم اخرجت راسى من الماء لاتلقى ضربة موجعة من عصا على أم راسي .. تماما فى «يافوخى»

اذن .. الامر واضح ..

سأتلقى ضربة كلما اخرجت راسي من الماء .. فاذا بقيت غاطسا مت غرقا ..

صاح البياتى :

ـ ابطال .. تدعون البطولة .. سنرى الان كيف انتم ؟!!

كانوا يحيطون بالحوض .. وكانت بايديهم عصى طويلة ..

صاح احد الضباط :

ـ يبدو انه يجهل الحمام البارد .. كان عليه ان يسأل « علي زين العابدين » . . .

وضحك بعض الضباط ..

علي زين العابدين ؟..

نعم .. تذكرت هذا الاسم .. انه ضابط اشتغل فى السجون فى العهد السابق . وكان مديرا لعدة سجون خاصة بالشيوعيين ..

قطعا .. انه لم يذقهم ما اذاقونا فى يومهم هذا .. ولكنهم قبضوا عليه وانتقموا ممنه انتقاما شنيعا ..

انه معتقل معنا فى نفس المعتقل .. ويبدوا ان المسكين زار حوض السباحة وذاق مرارته .. واصبح امثولة

ودفعت راسى تحت الماء .. ثم اندفعت يائسا الى وسط الحوض لعلى اكون بعيدا عن ضرباتهم ..

ولكن كيف ..؟.. ان عصيهم كعصا ابليس اعدت لكل غرض ..
انهم حسبوا حساب ذلك .. فجاؤا بعصى طويلة تصل الى كل مكان فى الحوض ..

وفى بعض الاحوال يكون فى مكاني هذا اكثر من واحد ..
اثنان .. اربعة .. نصف درزينة ..

يضربون هكذا بالجملة .. وتختلط الدماء بالماء .. ويغمى على بعضهم وتكاد جثثهم تغوص ولكنها تنتشل فى اللحظة الاخيرة ..
كان البعض من المعتقلين يربطون من رقابهم بالحبال .. هكذا كالكلاب .. ويدفعون الى الماء ليواجهوا نفس المصير ..

وجاءتنى واحدة .. عصا .. وثانية .. ورابعة .. ثم تكاثرت .
وهم يضحكون .. ويعلقون .. ويشتمون
ثم خارت قواي .. ولم اعد احتمل شيئا ..
لم يكن الالم هو السبب ..
ولكنه الاعياء ..
لقد تعبت .. بكل معنى التعب ..
وبدات .. اغوص فى الماء بدون ارادتي ..
اخر صوت سمعته ، كان صوت عدنان الخيال .
يقول :
ـ .. اخرجوه ..

× × ×

التافهـون ..

لم اكن اعرف ماذا تم بعد ذلك ؟..

كيف اخرجوني ؟.. كيف حملوني ؟.. ومتى عادوا بي الى المعتقل ؟..

الذى عرفته صبيحة اليوم التالي .. انهم كالعادة .. جاؤا بي محمولا على نقالة وقذفوا بي داخل الغرفة ..

وفى داخل الغرفة .. وقف الملازم خالد عيسى يقول بصوت مرتفع :

ـ هذه نتيجة السكر .. قلنا مرارا ان الخمر ممنوعة داخل المعتقل ..

ومن الثقوب والنوافذ الصغيرة العالية .. كانت عيون المعتقلين ترقب المشهد بقلق وبحزن واشفاق ..

وبأسف واحتقار .. تلقى المعتقلون التعليق التافه الذي فاه به الملازم خالد عيسى ..

لقد قطع هؤلاء الضباط .. حتى الشعرة التي تربطهم ببقية من اخلاق .

فى تلك الليلة .. لم ينم زملائي فى الغرفة . فقد كانوا يدركون ماذا يجرى فى ذلك الوقت داخل بهو الضباط ..

كلهم سيقوا الى البهو .. وكلهم شهدوا مرارة التعذيب فيه .. وكانت عادة مصدرها التحسس بشعور الغير . والاشتراك فى المصير . فلم تذق اجفانهم النوم حتى الصباح بانتظار عودة الصديق المنكود الطالع ..

وعندما جيء بي محمولا على نقالة . وقذف بي داخل الغرفة اسرعوا الي يخلعون عني ثيابي المبتلة المزقة التي التصقت على الجلد.. واختلط فيها الدم والماء

ولم استفق قبيل الظهر .. فقد قضيت ذلك الوقت فى اغماء متقطع تتخلله هزات هستيرية .. اتقلب واتأوه وتصدر مني كلمات مبهمة .. ويرتفع صوتي صارخا تحت تأثير الالم والجهد والتعب والتعذيب ..

وعندما خلعوا عني ثيابى .. هالهم منظر جسمي الذي تحول الى لون ازرق قاتم مخيف .. بينما تحول رأسى الى مجموعة كدمات مختلفة الحجم ..

ثم راحوا بهمة .. ينظفون جراحي بقطعة قماش نظيفة . وبالتالي جاء دور الدهان الصديق . فدهنوا جسمي والبسوني بيجاما نظيفة . وتركوني انام .. واستولى الوجوم على جو الغرفة .. وخيم الصمت فلم ينطقوا بكلمة واحدة . سوى دخان سجايرهم يشكل سحبا حزينة فى جو المكان

وكانت الساعة قد تجاوزت الواحدة عندما افقت .. وبدأت اجول بعيني فى الغرفة وادقق النظر فى الوجوه الحزينة المشفقة التى تحيط بي ..

واسرع الي بعضهم بابتسامة مشجعة .. بينما اسرع البعض الاخر بتحضير فنجان الشاي من (ترموس) اعد لهذا الغرض ..

وبدون كلام رحت ارشف الشاي بهدوء من يد احد زملائي الذي تمتم لاول مرة بكلمات مشجعة ..

وبعد ساعة .. كنت قد استكنت لنوم عميق

× × ×

هذه هي مشنقة البياتي ..!!

الحقيقة .. ان القليل من المعتقلين عرفوا تفاصيل ماحدث لهذا الضابط فى الليلة الماضية .. الا ان المعتقل كله سرعان ما عرف القصة عندما بدأ وقت التمشى واختلطت الجماعات ببعضها ..

وكان من حسن الطالع ..ان ضباط البياتي لم يطلوا علينا بوجوههم الكالحة ذلك اليوم . فاستفاد معظم المعتقلين من خلو دقائق التمشى منهم فدخلوا الغرفة وراحوا يواسون زميلهم ..

ولم نكن لنخاف من شيء قدر خوفنا ان يكون قد اصيب بعاهة .. فقد لاحظنا عندما حاول الكلام ان لسانه غير طبيعي . وانه لم ينطق الكلمات بسهولة ..

بيد ان هذا الخطر زال فى اليوم التالي عندما بدأ يستعيد قواه .. بينما كان احد الزملاء يحمله حملا الى الاغتسال ..

كل هذا وعائلته لاتعرف سوى انه معتقل .. وسوى شائعات عن التضييق على المعتقلين والتهجم عليهم ثم التطاول بالضرب ..

لما جاء اليوم التالى المعين للمقابلات . وقد استعدت العائلة كلها حتى الاطفال لهذه المقابلة . وهى اول مقابلة لنا بعد اعتقالنا ..

فوجئوا .. بالضابط المختص يبلغهم بان مقابلتى ممنوعة ..

ولم يكن هذا الاجراء الذى اتخذ ضدي وضد عائلتي معا غريبا على تقاليد هذا المعتقل . فقد جرت العادة ان يمنع اي معتقل تعرض للضرب او تبدو عليه اثار التعذيب عن مقابلة ذويه ..

كانت مجرد محاولة فاشلة لوضع ستار على عمليات التعذيب ..

فقد كان عبد الكريم قاسم يؤكد فى كل مناسبة ان المعتقلين بخير ..

وكان المهداوى يؤكد فى محكمته اننا لم نعذب . وان مايقال عن تعذيبنا يراد به تشويه وجه الجمهورية .. الحلو ..

ولكن عائلتي لم تغادر المعتقل .. واصرت زوجتى على ان لاتبارح قبل ان تعرف اين انا .. وهل انا ميت ؟. او انا حي ؟..

استطاع بعض زملائى الذين قابلوا عوائلهم ان ينقلوا اليهم تفاصيل ما يحدث لنا . وطلبوا اليهم ابلاغ عائلتي انني على اية حال بخير ..

× × ×

استعرضوا .. عوائلنا

وكان يوم المقابلات .. من الايام الشديدة الوقاحة التى نتمنى لو الغيت .. وكنا فعلا نتوق الى الغائها مع انها ستحرمنا لقاء عوائلنا واطفالنا . اما الرجال فلم يكن يسمح لهم بمقابلتنا ابدا ..

ولم يكن يوم المقابلة ليمر سليما دون حادث تنتقل ادوار البطولة فيه بين ضباط البياتي وبين المقاومة الشعبية التى كانت مسيطرة على الشارع فى تلك الايام ..

فى صباح ذلك اليوم ينتظم ضباط البياتي على كراسيهم فى مدخل بهو الضباط نفسه حيث تتم المقابلات .. وعندما يسمح لعوائلنا بالدخول الى البهو يكون من الطبيعى مرورهم امام هؤلاء الضباط

وهنا فقط .. يبدا الاستعراض ..

ان ضباط عبد الكريم قاسم يستعرضون عوائلنا .. زوجاتنا ..

واخواتنا وبناتنا وامهاتنا باسلوب بعيد عن الشرف وبشكل يدل على انحطاط غريب يعيش هؤلاء فى دوامته ..

ثم تبدأ التعليقات بدون حياء ..

ـ هذه زوجة فلان .. هذه شقيقة فلان ..

بعد ذلك يسمح لنا بالخروج من غرفنا والتوجه الى البهو .. ويبدأ الاستعراض الثاني ..

نمر على كره منا امام هؤلاء الذين هبطوا الى مستوى الحيوان .. لتطرق اذاننا مختلف التعليقات . والتهديدات .. والوعيد ..

ـ هذا سيعدم صباح غد ..

ـ هذا امر الزعيم بسحله الليلة ..

وهكـذا ..

اما الاستعراض الاكبر .. فهو الذى تقوم به المقاومة الشعبية امام عوائلنا عند تجمهرها فى مدخل معسكر اللواء المدرع صباح يوم المقابلة بانتظار الاذن بالدخول .. تنتظم المقاومة الشعبية نفسها فى لوريات مكشوفة تتراصف على شكل نصف دائرة فتحاصر عوائلنا فى اماكنها .. ويبدأ الاستفزاز ..

وكنا .. ونحن فى غرفنا نسمع اهازيج المقاومة الشعبية ضدنا . والتي هي عبارة عن اتهام بالخيانة والتآمر ضد الزعيم والجمهورية ثم التهديد بالقتل والسحل والاعدام بالرصاص .

ويأخذ عوائلنا الرعب .. فهم يخشون نتائج هذا التجمع على انفسهم وعلينا معا ..

وهم يخشون ايضا ان تهاجمهم المقاومة الشعبية التي هي عبارة عن منظمات غوغائية يسيطر عليها ويوجهها الحزب الشيوعي. باعتبارهم عوائل الخونة .. وبالتالي يخافون ان تلجأ المقاومة الشعبية الى مهاجمتنا باعتبارنا .. الخونة انفسهم ..

ويحتد بعض المقاومين الشعبيين .. فيتركون السيارات ويواجهون زوجاتنا واخواتنا بالشتائم والكلام البذيء مباشرة ..

وكنا نسمع ذلك .. فتفور الدماء في عروقنا .. بل ان بعضنا

اضطر الى البكاء عندما وجد نفسه عاجزا عن الدفاع حتى عن شرفه وعن عرضه ..

كانت هذه الفعاليات الغريبة تنحو بالبلد يوما بعد يوم الى اسفل.. حتى بدأ العراق يواجه ازمة خلقية عنيفة .. لاندرى كم من الزمن يجب ان يمر قبل ان يهيىء الله حلولا لهذه الازمة ..!!

× × ×

فى تلك الليلة .. كانت هناك استعدادات لاقامة مهرجان فى معسكراللواء المدرع قيل ان المهداوي واعضاء محكمته سيشاركون فيه.. فعلا .. سمعنا هتافات الجنود « باسمك ياشعب يحكم المهداوي » .. تتردد فى الساحة ..واعتقدنا خطأ .. ان تلك الليلة ستمر بسلام لان الضباط جميعا ستشغلهم حفلة اخرى ..

ومرت الساعات بطيئة ونحن فى غرفنا لانسمع سوى التصفيق وهتافات الجنود . وفجأة .. دبت الحركة فى المعتقل .

لما انصتنا جيدا .. تبين لنا ان بعض غرف المعتقلين فتحت فعلا.. وقبل ان نفيق من ذهولنا .. بدأ المفتاح يسكسك فى قفل باب غرفتنا.. وتوقعنا شرا ..

وما ان فتح باب الغرفة .. حتى اطل علينا العقيد « جلال بلطه » عضو الهيئة التحقيقية وجاسوس عبد الكريم قاسم على ضباط الفرقة الثانية ..

أطل علينا بوجهه الاصفر العابس .. وباسنانه السوداء البشعة . وبقامته القصيرة التافهة ..

كان يصحبه عدد من ضباط الدبابات باسلحتهم الرشاشة ..

وبدأ الملازم خالد عيسى يقدمنا للعقيد الجاسوس تقديما غريبا ..

ـ فلان .. متآمر قذر .. قضيته كما يلي ..

ويبدأ هذا الملازم الشيوعي بسرد اشياء غريبة لم تحدث ولم نسمع بها ابدا ..

كان واضحا .. ان العقيد بلطه اصر على زيارة المعتقل تحت تأثير الخمرة التي قدمت بسخاء فى الحفلة ..

قال بلطه كما سمعنا بعد ذلك :

ـ انه يريد .. مداعبة .. بعض القوميين القذرين ..

كان يقصدنا طبعا ...

ونفذت رغبته وفتحت للسيد ابواب سجن العبيد .. ليهين من يشاء وليضرب من يشاء .. وليبصق على وجوه اكفأ ضباط الجيش العراقى ..

وطاف بلطه فى المعتقل .. ثم تركه بعد ان اهان بعض الضباط وضرب بعض المدنيين . وهدد وتوعد . وطلب ان يجلب البعض الى بناية المحكمة ليريهم بنفسه كيف يعترفون . وكيف يواجهون الموت ..

.. ومرحى .. عبد الكريم قاسم ..

× × ×

بعد اسبوعين .. ولاول مرة .. سمح لي بمقابلة عائلتي ..

ربما اعجز عن وصف المقابلة .. ولكنني اختصر فاقول .. كانت مؤثرة .. ولم تكن جراحي قد اندملت بعد . ولكنني استطعت ان امشي فقط . اما وضعى الصحي العام فقد كان مرضيا ويميل الى التحسن .

وعندما عدنا من مقابلة عوائلنا كانت تنتظرنا مفاجأة .. وما اكثر المفاجئات فى حكم عبد الكريم قاسم ..

قيل لنا .. ان معظم المعتقلين سينقلون الى معتقلات اخرى . وان قائمة ستصدر صباح الغد بهذا المعنى ..

وعقدنا جلسة ورحنا نضرب اخماسا باسداس . ومن منا سينقل ؟ ومن منا سيبقى ؟..

ولماذا ينقل فلان ..؟ . ولماذا يبقى فلان ..؟

ثم اي المعقلات افضل .. وبدأنا نستعرض المعتقلات . ولما انتهينا كنا على اتفاق فى شيء واحد ..

ان معتقل الدبابات أسوأ . وابشع .. المعتقلات .

وكانت هناك معتقلات آخرى ..

ـ ابو غريب ..

ـ مدرسة الهندسة ..

ـ سرية الخيالـة ..

ـ مدارس الشرطة ..

كان معتقل « ابو غريب » الذى وضع داخل مدرسـة العجلات المصفحة آسوأ البقية .. وضع تحت امرة ضابط برتبة رئيـس اول وضع نفسه تحت تصرف الحزب الشيوعي وراح يحقق ما يريده الحزب بلا تفكير ..

لقد احال معتقله الى مقبرة آخرى لدفن احرار الضباط ..

وتفنن فى تعذيب المعتقلين . وساهم فى الضرب والتعذيب مع الهيئة التحقيقية الخاصة فى محكمة المهداوي ..

وفى هذا المعتقل سمعنا بالتعذيب الرهيب الذى تعرض له الزعيم «محمود شيت خطاب» مدير مدفعية الفرقة الاولى. والعقيدمنيرفهمي الجراح احد امراء الوية الفرقة الثانية .

اما معتقل الهندسة .. فقد اقيم فى معسكر مدرسة الهندسة . ولم تكن سمعته لتقل كثيرا عن سمعة المعتقل السابق .

وفى سرية الخيالة التي كانت فى يوم ما سرية الحرس الملكي اقيم احد المعتقلات الذى يضم اكثرية من المدنيين ..

بقي معتقل مدارس الشرطة . وقد كان معتقلا مدنيا صرفا

ولم نكن لنعتقد ابدا ان احدنا سينقل رأسا من معتقل الدبابات الى معتقل مدارس الشرطة المدني ..

اغلب الظن .. كان انتقالنا يدور بين معتقل الهندسة . وابو غريب .. او البقاء فى معتقل الدبابات

× × ×

فكاهات .. دامعة

كنا نعلم .. ان معتقل الهندسة سيبتلع الكثير منا لانه يكاد يكون .. بلا زبائن.

اعتقل فيه قبل ذلك فيمن آعتقل .. الطيارون الاربع الذين تعاونوا مع المرحوم العقيد الشواف . وقصفوا مرسلات الاذاعة قرب بغداد .

هنا اعتقلوا .. وهنا عذبوا عندما قال المهداوي حانقا انهم لايحترمونه كثيراً خلال وقوفهم فى قفص الاتهام ..

ادخلهم جماعة من الضباط والجنود الشيوعيين الى احواض الاستحمام واغرقوهم بالماء الذى حلت فيه كميات كبيرة من « التايد » مسحوق الغسيل المعروف .

ثم اخرجوا بعد ان شبعوا غسيلا وغرقا وشدوا الى اشجار الكالبتوس الضخمة المنتشرة فى حديقة مدرسة الهندسة .. وصعد الملازم الشيوعى « طارق محمد علي » الى واحدة من الاشجار واقتطع اغصانا غليظة استعملت فى ضربهم ضربا مبرحا استمر عدة ساعات ..!

ولما سيقوا بعد ذلك الى ساحة « ام الطبول » حيث نفذ فيهم حكم الاعدام فى شهر رمضان بقي فى المعتقل جماعة من المدنيين والقليل من العسكريين .واطلق سراح البعض من هؤلاء فبقي المعتقل يضم ثلاثة من العسكريين لكل واحد منهم اقصوصة مبكية ومضحكة معا ..

× × ×

كيف دفن الشواف ؟

كان اكبرهم رتبة المقدم « محمود ابراهيم » مساعد مستشفى الرشيد العسكري ..

اعتقل بتهمة تعكس تماما .. والى حد بعيد .. طبيعة الاوضاع الساخرة التي تسود العراق فى ظل الحكم القاسمي .

عندما جرح المرحوم العقيد عبد الوهاب الشواف بشظايا الصاروخ الذي اطلقته احدى طائرات عبد الكريم قاسم على مقر قيادته فى الموصل . وانتقل للمعالجة فى مستشفى الميدان قرب محطة الموصل .. ثم انطلقت تلك الرصاصة الغادرة لترديه قتيلا .. نقل الى بغداد واودعت جثته فى مستشفى الرشيد العسكري ..

قال عبدالكريم قاسم :

– انني سأذهب بنفسي لتشخيص الجثة ..

ولم يكن عبد الكريم قاسم ليثق بأحد ابدا .. فقد اراد ان يطمئن شخصيا ويتأكد بأن خصمه الشواف قتل بالفعل . وهذه الجثة هي جثته بالضبط ..

قبل ذلك .. لم يصدق عبد الكريم قاسم ان نوري السعيد قتل حتى شاهد جثته بنفسه واطمأن الى ان نوري السعيد هو القتيل .. نوري السعيد

وخلال يومين بقيت جثة الشواف تنتظر الزعيم الاوحد المنتصر .. ولم يصل .. ربما كان مشغولا بمتابعة انباء مذبحة الموصل التي كانت تجري انذاك وتسجل للزعيم البطل نصرا حاسما على خصومه..

بعد يومين .. اتصل مدير مستشفى الرشيد العسكري بمرافق عبد الكريم قاسم وطلب ابلاغ الزعيم ان الجثة لن تحتمل الانتظار وان موعد دفنها قد ازف ..

وجاء الرد .. بأن الزعيم سيكتفي بارسال لجنة تشخص الجثة وترفع اليه تقريرها .. جاءت اللجنة وهي مكونة من عدة ضباط قاسميين جدا .. وشخصت الجثة ورفعت تقريرا تقول فيه « ان هذه الجثة هي – والله العظيم – جثة العقيد الخائن المتمرد عبد الوهاب الشواف قائد العصيان فى الموصل ..!»

بعد ساعتين ..وصلت رسالة مختومة بالشمع الاحمر كتب عليها « سرى جدا » الى مدير مستشفى الرشيد العسكرى تحتوى على اوامر سرية تختص بكيفية دفن جثة الشهيد الشواف .

ولما فتحت الرسالة .. كانت تحدد مكان الدفن . وطريقته . والاشخاص الذين يتولون هذه المهمة ..

حمل الرسالة احد ضباط دائرة الاستخبارات العسكرية الذى اختير ليكون الشخص الثاني فى عملية الدفن السرية ..

على ان يختار مدير مستشفى الرشيد احد ضباطه للاشتراك فى المهمة ..

وهكذا حملت جثة العقيد الشواف فى الساعة الثانية بعد منتصف الليل تمشيا مع الاوامر ..

حملت فى سيارة عسكرية مغلقة يحيط بها اربعة جنود ويرافقها الضابط المنتدب من الاستخبارات العسكرية . ثم المقدم « محمود

ابراهيم » مساعد مستشفى الرشيد العسكرى الذي انتدب للمشاركة فى تنفيذ الامر ..

وهناك .. شرقي بغداد .. وفى شارع الشيخ عمر .. حيث تمتد رهيبة المقبرة الشهيرة باسم مقبرة « الغزالي » .. والتي تحنو اليوم على أجداث عزيز غالية هي أجداث القافلة الراحلة .. الطبقجلي ورفاقه ...

هناك . توقفت السيارة .. وحمل النعش الحزين اليتيم .. حيث أعد للجثة الهامدة فيه . الممزقة الصدر .. قبراً مسح مع الارض .. بلا علامة يستدل بها الى الموضع الحبيب ...

وبصمت .. والرهبة تخيم على المقبرة ... والا من فانوس باهت النور .. وضعت جثة الشواف فى مرقدها الاخير بينما دفنت معها قنينة فارغة وضعت بداخلها وريقة بيضاء صغيرة تحمل اسم المتوفي وتاريخ الوفاة ..

وسويت الارض .. وكأن لم يكن .. وكأن لم تطمر فى اعماقها جثة هزت الواقع .. العربي هزة عنيفة .. ودقت ناقوساً ارتجف لصدى دقاته .. عبد الكريم قاسم « لولا القدر » ..

وعادت السيارة فارغة الا من رائحة الموت .. يخيم عليها الصمت .. صمت المقبرة ..

والصمت الذي فرضته الاوامر السرية ..

وما ان اصبح اليوم التالي .. وبينما المقدم محمود فى مكتبه بالمستشفى يقتحم عليه المكتب بعض الضباط المسلحين ..

قالوا : .. انت معتقل .. خائن ..

وبهت الرجل .. فلم يدر بخاطره ابدا ان يعتقل بسبب الخيانة .. واية خيانة .. ولمن خان ؟..

سيق الى معتقل مدرسة الهندسة ليقضى بين جدرانه ثلاثة اشهر .. وليواجه قضية من اسخف قضايا الاعتقالات ..

قيل له :

ـ انك عندما دفنت الشواف .. قرات الفاتحة .. احد الجنود الذين قاموا بالدفن . قال ذلك ..

وجاء الضابط الاخر المنتدب من الاستخبارات العسكرية ونفى « التهمة » عن زميله المقدم ..

قال ـ انه لم ينطق بحرف وحد .. وانا واثق من ذلك ..

كان الجواب :

ـ يمكن .. ولكنه قرأ الفاتحة فى .. سره

× × ×

عويضه .. وزهير

الضابط الاخر ..

كان طيارا اردنيا برتبة ملازم اسمه « حسين عويضه » ..

عندما قامت الثورة فى بغداد كان عويضه يتلقى دروسا فى الطيران النفاث بدورة فى احدى القواعد شمال بريطانيا ..

ولاسباب ما .. التجأ عويضه الى العراق وعين طياراً فى قاعدة الحبانية .. وبعد ثورة العقيد الشواف وطغيان المد الشيوعي فشل عويضه في التجاوب مع الضباط الشيوعيين فى القاعدة .. فاعتقل ..

نام بين جدران معتقل الهندسة نحو خمس شهور تعرض خلالها لانواع الاستفزازات والمضايقة والتنكيل ..

سمعنا موءخرا انه قد افرج عنه وغادر العراق الى لبنان ..

اما الضابط الثالث ..

فهو ملازم اسمه « زهير محمود » والده مايزال عقيدا فى القوات المسلحة ايضا ..

اتهم بابداء نشاط لحساب حزب البعث العربي الاشتراكي في صفوف الجيش. هذا الضابط البطل واجه وسائل الايضاح فى الهيئة التحقيقية الخاصة بمحكمة المهداوى وقد شارك فى ضربه والاعتداء عليه بعض الشيوعيين المدنيين ومنهم « عزيز الحاج قولي » احد اقطاب الحزب الشيوعي العراقي وهو شعوبي وغير عربي .

وكان الزعيم هاشم عبد الجبار رئيس الهيئة التحقيقية يسمح لعدد من غلاة الشيوعيين بحضور التحقيق الذي كان يجري مع الضباط

ويتيح لهم ايضا الاشتراك فى هذا التحقيق وحتى بالاعتداء على الضباط ...

× × ×

التهمة الخطرة ..!

كانت اخطر التهم التى توجه الى الضباط هي الاتصال بحركة الشواف ..

ولا يهم ان تتحدد التهمة بكونك رحلت الى الموصل وشاركت فى الثورة .. او انك ضابط فى اللواء الذي يقوده الشواف ..

حتى عواطفك ...

فاذا قال احد الضباط الشيوعيين ان عواطفك مع ثورة الموصل. كانت كافية لدفعك نحو البياتي او بقية المعتقلات ..

اللهم ان يجدوا لك تهمة ..

فاذا قيل انك زرت العقيد رفعت سرى .. هذه تهمة .

واذا قيل انك تعرف ناظم الطبقجلي .. هذه تهمة

وتهمة خطيرة ..

اذا وصفت افكارك بانها عربية اتحادية او وحدوية اشتراكية

وفى المعتقل .. تجد عددا كبيرا من الضباط سيقوا لمجرد الشك فى افكارهم ..

.. او لمجرد انهم غير شيوعيين .. او غير قاسميين .. او غير ماشين مع التيار .. فقد اختلطت المقاييس فى الجيش ..

اما نتيجة هذا الخلط .. فقد كانت واضحة عندما اضطر عبد الكريم قاسم بعد ذلك الى اطلاق سراح معظم الضباط بل اعادتهم الى الخدمة .. لانه فعلا لم يجد تهمة مقنعة يواجه بها العالم للدفع بهؤلاء كلهم الى قفص ابن خالته المهداوي ..

× × ×

مع الفسيل ..

عندما انتهى الشهر الاول علي وما زلت فى هذه المقبرة .. كنت قد عزمت على ان اكتب مذكراتى عن هذه الفترة السوداء من حياتنا ..

وبدات فعلا بتدوين بعض الملاحظات ثم اخراجها من المعتقل بواسطة ملابس الغسيل التى يسمح لنا بارسالها الى بيوتنا كل اسبوع ..

ولم تكن ملابسنا لتمر هكذا .. سلامات .. وبدون حادث ..

الا اننا وقد أعتدنا على مواجهة الحوادث .. لم تكن لنأبه لكل مايحدث صغيرا كان او كبيرا ..

كانت ملابسنا تمر على ضابط يفتشها ويفحصها قبل ان يسلمها الى ذوينـــا ..

الا ان الضابط الذي لم يكن يؤمن فى اعماقه بالمســؤولية وبكل مايفعله وما يقوم به .. كان على الاكثر يترك هذه المهمة للعريف الخفر .. بينما يكلف العريف احد الجنود بالتفتيش ...

والتفتيش على اية حال .. حتى لو قام به الضابط نفسه .. كان ينتهى الى نتيجة عادية . وهى عدم وجود مايريب فى ملابس وسخة مرسلة الى الغسيل..

كنا « نفتل » وريقات السجاير الشفافة وندسها فى حواشــى الاكمام عن طريق فتحة صغيرة جدا ..

وكان من الطبيعي ان تعرف عوائلنا موضع الوريقة فتأخذها مــن الفتحة .. وهكذا كنا نوصل اخبارنا وتصلنا اخبار ذوينا .. وبهــذه الطريقة رحت ابعث ملاحظاتي الى الخارج .. وكان غرضى ان لاتنسيني المحنة التي تمر بنا شديدة عنيفة بعض الوقائع وبعض لاسماء ..

وقد اضطررنا الى استعمال هذا الاسلوب لانهم منعـوا خــلال مقابلاتنا مع عوائلنا التحدث بهمس او حتى الاقتراب من بعضنا ..

كانت زوجتي تزورني يوم الجمعة .. وعندما نتقابل يجلس احـد الضباط بيننا طيلة الدقائق العشر المسموح بها ..

فاذا التفت وغافلناه بكلمة خاصة صاح غاضبا :

ــ ارفعوا اصواتكم ..

× × ×

حفلات الليــل..!

ومرت الايام ..

مرت .. ولم تصل القائمة المنتظرة لنقل المعتقلين الى معتقــلات

اخرى .. ولكن انباء غير مؤكدة.. كانت تصلنا عن طريق بعض الجنود.. تقول هذه المرة ان المعتقل كله تقرر اغلاقه ..

اما عمليات التعذيب ؟.. فلم تتوقف يوما ..

استمر البياتي فى تنظيم حفلاته الليلة .. وكثر اشتراك المدنيين والمقاومين الشعبيين فى هذه المحفلات ..

فاذا كان ضيوف البياتي من شيوعيي الموصل .. التقط لهم احد الضباط الموصليين ليواجه الموت تحت اقدام اقطاب محاكم «البروليتاريا» التى ازهقت ارواح الناس بالجملة بعد ثورة الشواف ..

واذا كان ضيوفه من الشيوعيين الاكراد.. التقط لهم احد الضباط العرب الذين عملوا فى معسكرات المناطق الكردية .. - اربيل السليمانية - .. وفى احدى الليالى دعيت جماعة هائلة من المقاومة الشعبية لزيارة المعتقل .. ودفع بهم البياتى الى غرفنا .. وفتحت لهم الابواب ..

وتوتر الموقف ..

توقعنا شرا من هذه الجموع التى لاتعرف المسوءولية . والتى هي عبارة عن غوغاء تخضع لنزواتها وتصدق كل ما يقال لها ..

وقررنا ان نواجه الموقف ..

اذا اعتدوا علينا سندافع عن انفسنا بالايدى .. وبالاحذية .. وليحدث بعد ذلك الطوفان ..

وكأن البياتي احس بنتائج هذا التصرف .. فابلغهم ان لاينطقوا بكلام او تعليق .. وان لايهينوا احدا ..

عليهم ان يتفرجوا فقط ..

وجاؤا .. وتفرجوا علينا .. فاحتقرناهم ولم نلتفت اليهم .. الا واحدة ..

تقول عنها الصحف الشيوعية انها شاعرة .. ومثقفة ..

وكنت اعتقد دائما ان المثقف لايستحق هذا اللقب اذا لم يكن خلوقا ..

وعندى أن الثقافة هي الاخلاق ..

وانت بلا اخلاق .. لست بمثقف ..

هذه الشاعرة .. المقاومة الشعبية .. والتى تدعى «وفيه ابواقلام» كانت مع المقاومين الشعبيين ..

كانت تقود جماعة من المقاومات اللواتي سودن وجه الفضيلة .. وملأت فضائحهن بيوت بغداد عويلا وحرقة ..

جاءت هذه الشاعرة التى يعرفها الناس مهرجة فى محكمة المهداوى .. مساهمة فى دفع الغوغاء الى التصفيق لسفه المهداوى .

جاءت لتقف فى مدخل الغرفة التي اعتقل فيها .. منفـردا .. الشهيد العقيد رفعت الحاج سرى ..

.. ولتوجه اليه لفظة « حيوان »

وكان العقيد رفعت قد احتجز لوحده فى غرفـة صغيرة جـــدا تجاور غرفة الرئيس فاضل البياتي ..وكان وجوده فى هذه الغرفة التي تجاور من ناحية اخـرى بهو الضبـــاط .. او بهو التعذيب يسبب له تعذيبا مستمرا لانه كان يعيش مع المعذبين كل ليلة حتى الصباح ..

كان يسمع صراخهم . وكان يسمع العصا وهى تهبــط علـــى اجسامهم . وكان يسمع ضحكات البياتي وضباطه ..

حتى ان البياتى كان لايتورع فى بعض الاحايين عن فتح باب غرفة العقيد رفعت ليدفع الى داخلها احد المعذبين وهو يصرخ من الالم والدماء تنـزف منه ..

او كان يدعو العقيد رفعت بل يرغمه على الخروج من غرفتـــه لمشاهدة احد المعتقلين يهان او يضرب او يعذب ..

كلنا .. مررنا على مسامع العقيد رفعت ونحن نصرخ فى بهـــو الضباط .. وفى تلك الليلة .. ليلة الزوار الاعزاء من المقاومة الشعبية .. فتح لهم البياتى غرفة العقيد رفعت ..

— و .. تعالوا تفرجوا ..

وتدافعوا فى باب الغرفة ليلقوا نظرة على الاسير القابع فى سجنه .. واحتدمت الشاعرة النبيلة « وفيه ابو قلام » مع وجدانها .. ودفعت تلك البصقة من فمها الى وجه الرجل المهيب الجالس بهدوء ينظر اليهم باحتقار .. واسف

ربما كانت هذه البصقة اشبه بالبصقة التى لفظتها الحياة عندما اخرجت الى الدنيا امرأة اسمها .. وفيه ابو قلام ..

× × ×

حافة الموت

كان البياتى بارعا فى تنظيم حفلاته .. وفى اختيار ضيوفه .. ولا تكاد ليلة لتخلو من ضيوف جدد ..

ولم ننس بعد تلك الليلة الرهيبة التي راح ضحيتها الملازم «مخلف عبد العزيز »

التقط من فراشه بعد العاشرة وسيق الى يهو الضباط ليجدامامه جماعة من غلاة الشيوعيين الموصليين

ولما اعيد بعد ثلاث ساعات كان المسكين كتلة واحدة من الدم .. ليس بمقدورك تمييز وجهه عن ظهره ابدا ..

قلعت احدى اظافره ببشاعة . وكسر له اكثر من اصبع واحد ..

ان قصة الملازم مخلف عبد العزيز تعكس صورة حقيقية لما كنا عليه كلنا .. ومعظم المشتغلين فى السياسة من المدنيين .

فى العهد الملكي السابق .. تعاونا مع الشيوعيين غاية التعاون يجمعنا الهدف الواحد ..

كنا نحمي اي شيوعي يقع فى متاعب مع السلطات الرسمية . وكنا نساعدهم ونتستر عليهم . وندافع عنهم ..

ربما كنا ايضا .. وبدون قصد .. نروج مبادءهم

وكان الملازم مخلف مندفعا وهو طالب فى الكلية العسكرية الى جانب المنظمات السياسية التي كانت تعمل ضد العهد السبق ..

بيد انه مع اندفاعه هذا . لم يكن ليؤمن ايمانا عميقا بنوايا الشيوعيين فقد عاش فى عائلة محافظة تصوم رمضان وتوءدى الفرائض الخمس كل يوم .. وفى مرة من المرات .. احتدمت مناقشة بينه وبين بعض الشيوعيين .. وقال احد الشيوعيين كلاما فوجىء به مخلف وقلب مفاهيمه تماما ..

قال الشيوعي :

ـ ان رســالة ماركس اعظم من .. رسالة محمد ..

وبهت الملازم مخلف ..

وبدون وعي .. نهض من مكانه ورفع اقرب كرسي . وهبط به على رأس هذا الشيوعي

وراح بعد ذلك ينشط ضد الشيوعيين الملحدين .. الذين يعتبرون رسالة ماركس اعظم من رسالة النبي العربي الكريم .. محمد ..

وضمرها الشيوعيون له .. فلما طغى المد الاحمر على العراق بعد ثورة الشواف ..

خطفوا مخلف من معسكره فى « اربيل » .. وسيق الى معتقــل الدبابات .. وهنا .. وصل المسكين حافة الموت عدة مرات ..

× × ×

سيكون من الصعب علي ان اكتب هنا كل ايامي فى المعتقــل .. ان الشهور التي كنت سجين قسوتها وشدتها وجبروتها لها فى كل يوم قصة . وفى كل ليل فاجعة ..

ولو استعرضت هنا مالقيه هذا الحشد الهائل من المعتقلين لاقتضى ذلك الى اكتب عن كل معتقل منا كتابا خاصا ..

مرت ايام الاعتقال كما يمر الموت بطيئا على المحتضر .. ولم نكن لنعرف ونحن ننام هنا كل هذا الزمن متى يقول قاســم كلمتــه فيفرج عنا . ومتى يقول كلمة اخرى .. فنعدم ..

كانت زوجتى المسكينة تخبرنى فى كل مقابلة ان الافــراج عنــي اصبح وشيكا وان اوراقى ارسلت الى الحاكم العسكرى ليصدر امــره واغادر هذا المكان ..

وكنت اعرف ان هذه الزوجة المجاهدة كانت تصدق مايقول لهــا رجال العائلة لاجل تطمينها ولاجل ان لايموت الامل فى قلبها ..

والواقع .. انه لا اوراق هناك لكى ترسل الى الحاكم العسكــرى صاحب الكلمة .. ان المئات كانوا يقيمون فى هذا المعتقل بلا تحقيق . وبلا اوراق .. هذه هى الحقيقة

ارجو بعد ذلك ان تصبروا علي قليلا .. فما كنت بقادر على كبح جماح عواطفي . والحد من تدفق هذا الحماس . وانا اتحدث بغيظ عن هوءلاء الذين خانوا عروبتنا . وخانوا كل القيم الانسانية والمفاهيم التى يعتز بها هذا المخلوق العجيب الذى يدب على قائمتين .. والذى اسمه .. انسان

ان الوقائع التي اوردها هنا والتي اواصل بها كشف الحقائق البشعة التي شهدتها هذه المعتقلات انما هي وقائع يعرفهـا ويدركها جيـدا ذلك الطاغية الحقود الذي يتحكم فى رقـاب الناس فى بغداد .. وئ ارض العراق الممتدة الواسعة ..

ان الطاغية يحتفظ بصور من هذه الحقائق فى درج مكتبه المدرع هناك فى قلعته المسلحة . حيث يقيم فى وزارة الدفاع .

انه لايعرفها ولا يدركها فقط .. بل يتلذذ فى كونها وقعت لخصومه من الاحرار العرب .. ومنهم من تلقى رصاصات عبد الكريم قاسم فـى ميدان « ام الطبول » هاتفا للعروبة .. مضحيا من اجل العروبة ..

قيل يوما للضباط المعتقلين « ان لجنة عسكرية تشكلت للتحقيق فى حقيقة التعذيب الذى تعرضتم له .. اكتبوا ماوقع لكم واكتبوا ايضـا ما شاهدتموه باعينكم » ..!!

كانت اكذوبة من سلسلة الاكاذيب التى تزف كل يوم ..

ومن ناحية اخرى .. كانت فرصة لتدوين وقائع تاريخية ..

. وكتبوا ..

. كتبوا كل شىء بالتواريخ .. بالاسماء .. بادق التفصيلات ..

. وماذا كانت النتيجة ..؟

. كانت ان ارسلت هذه التقارير الى عبد الكريم قاسم .. الـى الرجل الذى يأكله الحقد الاسود .. الى المجنون الذى لم يتعقل فـى عملية واحدة خلال حكمه الجائر فى العراق ..

. واذا به .. بدل ان يعاقب الضباط الذين عملـوا لاجل تركيـز التيار الاحمر .. يضربهم هم .. يضرب الضباط الذين تلقوا كل هذه الاعتداءات . والذين قاسوا من كل هذه النذالات

سيقوا الى ميدان ام الطبول لكى تتم المأساة .. واذا بالرصـاص يتدفق الى صدورهم ..

واذا بفقاعة الصابون المسماة .. فاضل المهداوى .. يرقص من الفرح .. ويهتز جسمه المترهل .. ثم يختلط صوتـه المبحوح بـدوى الرصاص وهو يرفع عقيرته صارخا : حتى الموت .. حتى الموت ..

واذا به يحتضن ماجد امين .. الضابط الذى عكس اتعس امثولة للضابط العراقي .. ويتبادلان القبلات .. تهنئات لاجل العروبة القتيلة في ميدان ام الطبول

× × ×

خرافـة ..

دعونى بعد كل هذا انقل لكم مأسى اخرى من الحياة فى معتقلات عبد الكريم قاسـم ..

. وانا ارفض الخرافة التي تقول ان عبد الكريم قاسم لم يكن يعرف حقيقة مايجرى فى هذه المعتقلات

. هناك مغفلون صدقوا هذه الخرافة ..

. ان الطاغية .. وهذا هو الواقع .. كان يعـرف بالتفصيـل مايجرى فى معتقلاته ..

. كان يدرك تماما ان هذه المعتقلات يشرف عليها ضباط شيوعيون او من الضباط الانتهازيين التافهين الذين قبلوا لانفسهم ان يكونوا الات مسخرة بيد الشيوعيين فيذيقون اخوانهم فى المسلك والخوانهم فى الدين وحتى اخوانهم فى القومية . ذلك الذل العجيب الذى شهدتـه تلك المعتقـلات .

. ان الطاغية قاسم اقام هذه المعتقلات داخل معسكرات الجيش العراقى الذى جعل من نفسه قائدا عاما له :.

. قطعا ان الشيوعيين من الضباط او من الصنف التافه الاخر كانوا يقدمون لزعيمهم الاوحد ..وهم فخورون .. كل المعلومات عما يلقـاه خصومه على ايديهم من تعذيب .. ومن اهانات .. ومن الاذلال .

ونتساءل .. ويتساءل معنا كل الاحرار الذين شهدوا . وعرفوا . وادركوا حقيقة ماتعرض له اخوانهم الضباط في معتقلات قاسم ..

. ترى .. كيف لايعرف قاسم ماتعرض له ضابط كبير.. حر .. مثل الزعيم ناظم الطبقجلي ..

. ألم يعرف هذا المجنون لماذا حاول ناظم الطبقجلي..الانتحار.؟.

. كل المعتقل يعرف أن الطبقجلي انتحر تخلصا .. من الذل ..

..من الاهانة .. من السفالة التى كان يواجهه بها ضباط المعتقل..

.. كيف لايعرف قاسم .. هذا الارعن ماتعرض له ضابط صامد مثل العقيد رفعت الحاج سري ..؟

. كيف لايعرف هذا الطاغية ماتعرض له ضابط يحمل رتبة كبيرة مثل اللواء الركن حسين العمرى ..؟

. كيف لايعرف .. هذا البلاء الذى نزل على رأس العراق .. ماتعرض له ضابط كبير مثل الزعيم الركن عبد العزيز العقيلي ..؟

. وبالتالي .. كيف يجهل قاسم .. الذل الذى تعرض له بقية ضباط ١٤ تموز .. وغيرهم من الضباط والمدنيين الذين حشروا فى المعتقلات كسمك السردين ..

. اذن .. ماذا كان يعرف ؟..

اذن ماذا كان يخبره الزعيم الشيوعي طه الشيخ احمد مدير الخطط العسكرية الذي كان يتردد على المعتقلات معظم أيام الاسبوع .. ومتى ؟.. فى أواخر الليل .. عند الفجر .. عندما تكون حفلة تعذيب احد الضباط قد اوشكت .. او بالكاد .. ان تنتهي ..

هذا الرجل .. قاسم العراق .. كان يعرف كل شيء .. كان يدرك كل شيء .. كان يوجه وكان يدبر كل شيء .. اما اذا تجاهل ..

.. أما اذا أدعى انه لا يعرف . ولم يعرف .. فانه كذاب .. وكذاب .. وكذاب

كلنا نعرف . وكل العرب لا تجهل . ان حكام العراق يحترفون الكذب ..

انهم بالكذب يحكمون شعب العراق .. بالكذب يزفون الخرافات الى الشعب البسيط .. الذي خدع بهم اولا . ثم ادرك الحقيقة .

انهم مازالوا يمارسون مهنتهم .. بينما تنتصب لهم فى الشاطىء

المقابل حقيقة ثابتة .. مخيفة .. وهي ان حبل الكذب قصير ..وانهم غير قادرين على الارتفاع اكثر من طولهم الحقيقي

ان خرافة واحدة من اهدافهم لم تتحقق ..

انهم لم يحققوا للشعب العراقي سوى الجوع .. الفزع .. الفوضى .. البطالة ثم .. القتل . والسحل ومستنقعات الدم ..

لقد جمعوا للشعب .. كل أسباب الهبوط الى تحت .. كل اسباب الموت ..

ان شعب العراق يحتضر .. بينما يطبق على خوانقه عبدالكريم قاسم وابن خالته فاضل المهداوي وزمرة الضباط الغوغائيين الذين يحيطون بقاسم ويزينون له استمرار زعامته التافهة على جماجم الاحرار ..

ان شعب العراق يدرك اليوم جيدا .. انهم يسرقونه .. انهم لصوص يسرقون المال والعقائد معا .

لقد سرقوا العراق بأكمله ..

ان « حامد شقيق « شقيق عبدالكريم قاسم يثرى على حساب الشعب .. انه يهرب اموال الاثرياء لقاء ١٠٪ عمولة ..

انه يستولي على اجازات الاستيراد .. انه يجمع عصابة من كبار الاثرياء حول شقيقه عبد الكريم .

انه يهرب الاموال الى خارج العراق .. ليضمن مستقبل الزعيم الاوحد .. انه يتقاضى آلاف الدنانير لقاء وساطات وانجاز اعمال للاقطاعيين وللاحتكاريين ..

ان شعب العراق يدرك ايضا . ويعرف ايضا .. ان المهداوي ابن خالة الزعيم يطلق اخوانه ينهشون الناس .. كرامتهم ومحافظهم معا ..

ان نوادي المهداوي تسرق الناس باسم حفلات هز البطن ..

ان اخوان المهداوي يقتحمون مكاتب اصحاب الاعمال ويحرجونهم ..

عشرات الدنانير لقاء بطاقات وتذاكر دخول .. وهمية ...

ان اصدقاء الزعيم يفتتحون مكاتب سرية .. للوساطات ..

حتى الجواهري .. شاعر الشيوعيين الكبير .. يقف في قمة التفاهة .. انه يعيد « بلاسم الياسين » من منفاه في « بنجوين » الى بغداد بيومين ..

انه يتقاضى ١٠ آلاف دينار لقاء هذه العملية

بعض الصحف نشرت هذه الفضيحة بارقام وبتواريخ الصكوك .. والجواهري .. شاعر الشيوعيين الكبير .. يهتز من الرعب ومن الغضب .. ثم يعترف ..

لقد ذهب الجواهري .. الى صديقه الزعيم الاوحد

وقال : ان بلاسم الياسين صديقي وانا اعرفه جيدا .. ارجعه الى بغداد بكفالتي ..

ويعود بلاسم الياسين .. بينما الجواهري .. يهاجم الاقطاع . يهاجم الانتهازية .. في جريدته « الرأي العام » ..

بينما يقبض صكوك هذه العملية على مصرف الرافدين من « مهدي بلاسم الياسين » نجل الثري الكبير .

تفاهة .. في قمة التفاهة ..

ترى .. كم تدوم هذه الحال ؟..

كم يمكن للهرم ان يقف على قمته .. لا على قاعدته .؟

.. كم ؟ ..

× × ×

دموع أخرى ..

انني اترك الكلام لواحد من المعتقلين الاحرار الذين شهدوا الرعب والذل على يد ضباط طاغية العراق من الشيوعيين ومن المتشيعين جبنا .. او نذالة .. او تبعية وراء تبعية ..

ان واحدا من الاحرار يحدثنا الان ..

يقول :

« دق جرس الباب دقا عنيفا متواصلا عند الفجر ..

وكان من تحصيل الحاصل أن يفزع سكان البيت من افرشتهم على هذا الطارق غير المتوقع ..

لقد كان احساسي بالشر واضحا جدا .. فما من بيت يطرق بابه فى بغداد هذه الايام وفى مثل هذا الوقت الا ويكون الطارق قد ارسل بمهمة لاعتقال احد المتمسكين بعروبتهم ..

لقد كنا نتمسك بعروبتنا ببساطة وبلا تكليف .. بينما كان عبد الكريم قاسم يحتدم مع نفسه فى معركة ضارية تنتهي دائما بتغلب عقدته الكبرى .. عقدة كونه ليس عربيا . ولا يمكن ان يساير الركب العربي بمركب نقص ياكل فى اعماقه . ويحيله الى كيان حاقد مسلول ..

كانت بغداد كلها تعرف متى تتم عمليات القنص .. كانت تعرف متى تتم .. وكيف تتم .. ولمصلحة من ؟..

ولم يكن بمستغرب ابدا ان يزداد عدد المعتقلين كل يوم . بل كل ساعة .. ولم يكن بمستغرب ايضا ان يخرج رب عائلة او اي واحدمن ابناء العائلة الى عمله صباحا فاذا به يتناول طعام الغداء فى معتقل من المعتقلات الكثيرة المنتشرة فى جوانب بغداد . او ان يتصل احدهم بعائلته :

ـ حسنا .. ابعثوا بملابس داخلية وفراش ..

كانت بغداد .. فضلا عن المدن العراقية الاخرى تعج كل يوم بعدد من ابنائها الضباط او غير الضباط يساقون الى المعتقلات لمصير مجهول وبتهم مجهولة او مختلقة ..

وكل الطرق كانت تؤدي الى .. معتقل ..

الى سياط ومشانق واحواض ماء الرئيس الشيوعي فاضل البياتي فى معتقل كتيبة الدبابات الثانية ..

او لمواجهة لكمات الضباط الشيوعيين فى معتقل « ابو غريب » .. العريق النسب ..

او للحجز فى معتقلات مدارس الشرطة ..

او فى كتيبة الخيالة ..

او فى احدى المدن المجاورة او البعيدة ..

احتلوا بيتي

كانت هناك فى مدخل البيت سيارة جيب عسكرية .. بينما وقعت عيني على فوهة مدفع رشاش روسي الصنع تطل على الباب من سور الحديقة الخارجي ..

كانوا .. فعلا .. زمرة من المجانين حتى فى عمليات الاعتقال .. فضلا من كونها غير قانونية فقد كانت تتم بإسلوب سافل يدل على رعب الحاكمين وخوفهم ..

لم يكن فينا من يفكر بالمقاومة او العصيان او حتى الهرب .. ان ضباطا كبارا من المعتقلين تهيأت لهم اسباب الفرار فرفضوا بإباء ..

اننا نعرف ذلك .. ويعرفه معظم المعتقلين ..

قال لي ضابط شاب تسلح بمسدس : سنفتش البيت وعليك ان ترتدي ملابسك ..

قالها بجفوة .. ثم اشار للجنود بدخول الحديقة وكنت قد فتحت لهم الباب ..

الآن تحولت الحديقة الى موقع حربي .. الجنود انتشروا فى كل جانب ..

.. احدهم احتل المدخل..

الآخر .. احتل مدخل البيت الداخلي

الثالث .. اخذ موقعه فى المؤخرة ..

أما الرابع . واما الخامس .. السادس .. ثم السابع وكان « عريفا » .

فقد دخلوا معي يتقدمهم الضابط الى صالون الدار ..

من هنا بدأت عملية التفتيش ..

كانت العملية مضحكة .. كأي عملية فى نظام عبدالكريم قاسم .

وجد العريف مجلة المصور المصرية .. كانت مجلة قديمة تباع فى شوارع ومكتبات بغداد .. تصفحها بسرعة ثم توقف فجأة ..

لقد وجد التهمة .. انبسطت أساريره ولاحت على فمه تكشيرة بشعة . واذا به يهرع الى الضابط ..

– سيدي .. وأشار الى صورة نشرت فى المجلة .

– عجيب .. قال الضابط ذلك وهو يزم على شفتيه بعصبية ثم تقدم مني .

– هه .. كنا نعرف انكم متآمرون .. ماذا يعني احتفاظك بهذه الصورة ..؟

هل تعرفون صورة من ؟..

كانت صورة لجمال عبد الناصر ..

قلت للضابط : المجلة قديمة .. ووجود صورة لاي شخص فيها لا يعني شيئا ابدا

– وتدافعون بصلافة ايضا .. طيب .. دافع عن نفسك فى التحقيق

× × ×

العميان ..!

وانا فى السيارة .. والسيارة تتدحرج بنا فى شوارع بغداد الخالية .. خطرت امامي مجموعة من علامات الاستفهام ..
؟.. ؟.. ؟.. ؟..

ترى .. كيف هبط هذا العمى على أفكار . وعلى عيون هؤلاء الضباط ؟..

لماذا يحاربون الحقائق بهذا الاصرار ؟.. لماذا يتجاهلون الواقع المنتصب الذي لا تغيره الاوهام ولا تلعب بصموده الاخيلة ؟..

وتطلعت الى وجه الضابط فاذا به صارم لا يوحي بالخير .. انه لما يزل ملازما صغيرا . ربما لم يتخرج من كليته العسكرية الا منذ اشهر ..

اذن كيف وقع فى الطين ؟.. اذن كيف تمرغ فى الوحل ؟.

اكاد اجزم انه فى قرارة نفسه يدرك الحقيقة .. انه يعرف اني لا استحق ان انتزع من فراشي عند الفجر ليقذف بي فى معتقل رهيب.. لا رحمة فيه ولاشفقة ..

ثم .. ثم هناك هذا السؤال ..

.؟.. أصحيح ان هذا الملازم الصغير السن مقتنـع تمامـا بان وجود صورة لجمـال عبد الناصر فى بيتـي يكفـي لان تروع عائلتـي واطفالي وان تنقلني نصف درزينه من حملة الرشاشات والشمس لم تشرق بعد الى معتقل من المعتقلات ..؟؟

. بالتالي .. على اي قياس يمكن اعتبار وجود صورة لعبدالناصر فى بيتي . وفى بيت اي عربي آخر سببا لاعتقالنـا .. لتعذيبنـا .. لاذلالنا .. ولقتل روح التمسك بالعروبة فينا ؟

. على أي قياس ..؟ .

. وماذا كان يفعل هذا الضابط فى كليته العسكرية وهو طالب .

. الم يكن يخفي صـورة عبد الناصـر فى دولاب ملابسه كبقيـة الطـلاب ..؟.

. الم يكن يستمع تلصلصا الى خطابات عبد الناصر مع جماعة من زملائـه ..؟.

. كان الشعب العراقي كله . من الشمال الى الجنوب يفعل ذلك..

. اذن .. ماذا حدث ؟.. ما حصل ؟..

لماذا تغير هؤلاء ؟..

. لماذا يفعلون ذلك .. وما هو السر . وما هو العامل الصحيح ؟.

. محير .. هذا السؤال حقا ..!!

وطن حر .. وشعب سعيد

. لم يكن واضحا الى اين تتجه السيارة .. كل الذي اعرفه انها كانت تسير نحو جنوب بغداد بسرعة فائقة .. بينما بدأ الضابط يشن علي حرب اعصاب .. او هكذا هيأت له مخيلته الصغيرة ..

قال .. يحدث جنوده : الزعيم امر باعدام الخونة داخل المعتقل فجر اليوم ..

. التفت الي ليعرف مدى تأثير هذا الكلام على اعصابي ..

. استطرد : سنتركهم لكم .. هل الحبال جاهزة ..؟ ان سحلهم سيكون بالجملة .

. نظر الي ثانيا .. قال : هه .. نسينا ان نتركك تكتب وصيتك..

. ضحك واستطرد : لابأس سنسمح لك بكتابتها عندما نصل

. ! شكرا .. قلتها بلطف .

. لم يرق له هذا الجواب . فقال بخشونة : تتظاهر بالشجاعة..؟
حسنا .. ستكو ناول من يسحل ..

والتفت الى العريف .. هز العريف راسه موافقا ثم قال بينما تلوح على شفتيه الضامرتين ابتسامة ساخرة .

ـ سيدي .. سيصدقون عندما يرون الحبال ..

وضجت السيارة بالضحك .. وفجأة بدأ الضابط ينشد

ـ « سنمضي سنمضي الى ما نريد وطن حر وشعب سعيد .

وتبعه الجنود ..

. انه النشيد الشيوعي ..

× × ×

. كنت اعجب لهؤلاء الضباط .. كيف هبط خلقهم الى هذا المستوى ؟

.. ولماذا انصاعوا كالعبيد لهذه التأثيرات الخاطئة ؟. فاذا بهم يقتلون باصرار كل النبل والخير والخلق الرفيع والفروسية وما يقترن دائما باخلاق الضباط ..

. لقد كنا دائما نؤمن بالضابط كرجل ممتاز يرفض الهبوط الى مستوى الاناس العاديين ..

. انه العجب حقا ..

الان .. عرفت اين سيكون معتقلي .. ان السيارة تتجه نحو معسكر الرشيد .. اذن فأنا امام أمرين .. اما ان يزج بي فى معتقل الهندسة لالقى ما يلقاه غيري من الاحرار . ولاغرق فى أحواض المياه المليئة بالاوساخ او برغوة المساحيق التي تستعمل لغسل الملابس .

ولاتلقى ضربات العصي الغليظة المنتزعة من الاشجار الضخمة المعروفة فى حديقة مدرسة الهندسة ..

. واما ان يلقى بي فى معتقل الدبابات الرهيب لاستلم نصيبي من التعذيب ومن الضرب ومن الذل ..

. فى الحالين .. الامر لن يمر بسلام .. وفى الحالين النتيجة بيد الله ..

. وطرقت ذهني الآية الكريمة

« وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالـوا انا لله وانا اليه راجعون »

. صدق الله العظيم

× × ×

فى المعتقل الرهيب

. كانت الساعة قد اوشكت على الخامسة عندما وصلنا معتقل الدبابات ..

. انزلوني من السيارة وقادوني الى صالون واسـع بدا لي انـه اعد للضباط فقط ..

. تناثرت فى جوانبه بعض الكراسي وامتدت فى وسطه مائـــدة مستطيلة كبيرة تكومت فوقها انواع العصي الخشبية والخيزران وبعض الحبال .. بينما شد الى سقف الغرفة حبل على شكل مشنقة ..

. اما جدران الصالون فقد علقت فيها مختلف الرتب العسـكرية التي انتزعت من اكتاف الضباط المعتقلين ..

. اتـدرون لمن ؟ ..

. كانت للضباط الاحرار الذين غدر بهم عبد الكريم قاسم ..

. كانت .. لناظم الطبقجلي .. لرفعت سري .. لعبد اللطيـف الدراجي .. لشاكر محمود شكري .. لعزيز احمد شهاب .. لداود سيد خليل .. لنافع داود .. ولبقية الابطـال الذين يواجهـون الذل والتعذيب فى هذا المعتقل بصبر عجيب وبايمان .. وبشجاعة ..

. لقد تلقوا رصاص عبد الكريم قاسم بعد ذلك فى ميدان ام الطبول بهذا الصبر .. وبهذا الايمان .. وبتلك الشجاعة ..

. الصلاة لاجلهم ..

× × ×

. بينما تسرح بي مخيلتي فى هذا العالم الضيق .. يفتح البـاب بعنف واذا بي أمام جمع من الضباط ..

. كانوا ثمانية .. كلهم يحملون رتبا صغيرة .. ملازمـون .. قطعا .. لم يكملوا تعليمهم فى الكلية العسكرية الا منذ شهور ..

. وقفوا يحدقون بي بصمت .. بعضهم يخفي ابتسامة ساخرة .. وبعضهم يحاول جاهدا التظاهر باللامبالاة .. وآخرون باوضـاع مختلفـة .

. كانوا شبانا صغارا تقاربت اعمارهم .. بدا لي جيدا ان يبذلون جهدا كبيرا للظهور بمظهر الرجال ..

. شدوا بزاتهم العسكرية الى اجسامهم شـدا .. وتمنطقوا بمسدسات محشوة بالرصاص .. وامسكوا بأيديهم العصـي القصيرة .. بينما اكثروا من انحناءة « البيرية » وهي شعار صنفهم العسكري الى اسـفل الجبهة ..

. كان منظرهم جميلا .. ولم اشك فى هذا اطلاقا .

. وقفت أرقبهم .. بينما قررت .. غير مختار طبعـا .. ان اترك لهم وسيلة التعارف

. قلت لنفسي : ترى .. كيف يبداون ؟..

. جاءني الجواب حالا ..

. رفع أقربهم الي عصاه واهوى بها على راسي ..

.. خائن : .. قالها بغضب .. واتبعها بضربة ثانية استطعت ان اتفاداها

. لست ادري لماذا لم يواصل رياضته .. فقد توقف وقال يحدث جماعتـه

ــ اين الرئيس فاضل ؟..

اجاب احدهم : ان العقيد طه على التلفون معه ..

. حسنا .. كان يتحدث مع العقيد طه الشيـخ احمـد مدير الخطط العسكرية واحد غلاة الشيوعيين الذين يشرفون على بلشـفة جيشنا العربي ..

. ربما كان الرئيس فاضل البياتي وهو آمر المعتقل ينقل للقائد الاحمر آخر تقاريره عن عمليات اذلال القوميين فى المعتقل ..

. يبدو الامر بعد ذلك فى غاية الوضوح ..

. ان الضابط الشيوعي طه الشيخ احمد سينقل التقرير الى زعيمه

الاوحد عبد الكريم قاسم .. بينما يتناول الزعيم الاوحد فطوره ويمسح الخبز المحمص بالعسل والزبدة يكون طه الشيخ احمد قد القى على مسامع زعيمه آخر مبتكرات التعذيب التي ابدع فى خلقها او تطبيقها الرئيس فاضل البياتي وضباط معتقله ..

. ويكون من الطبيعي بعد ذلك ان يرفع الزعيم الاوحد راسه .. ويبتسم .. ثم يقول :

ـ طه .. انا ممنون منك ..

. ويقف الضابط الشيوعي .. ويؤدي التحية العسكرية .

× × ×

ستالين ؟

. تركنى الضباط بمفردى فى الصالون ثانية ..

. الفترة لم تطل كثيرا .. سرعان مافتح الباب ووقف امامي ضابط اسمر يحمل رتبة رئيس .. يرتدى بنطلونا قصيرا ويشد حزامه على بطنه بشدة ..

. افزعتني لحظة نظرات الغضب التي يوجهها نحوي بينما تهتز بيده عصاه القصيرة .. تماما كبقية ضباطه

. اما « البيريه » فقد انتكست الى اسفل الجبهة ايضا .. واما وجهه الاسمر فقد ضاع نصفه فى شاربين كثيفين غرقت فيها تماما شفته العليا .. ذكراني بشوارب طيب الذكر الرفيق ستالين ..!!

. راحت عصا المارشالية تهتز بيد امر المعتقل .. بينما تهتز ايضا ساقه اليمنى تحت ضغط اضطراب نفسي يحاول ان يخفيه ..

. قال وصوته عنيف : اذن .. فقد جاءوا بك ..

. لم اجب ..

. قال مشيرا الى احد الضباط : ملازم سالم .. ضعوه مع جماعته ..

. ثم استطرد ضاحكا : سيكون ضيفا عزيزا ..

. غادر الصالون هو وضباطه بينما اشار الي الملازم الذي اسماه « سالما » .. ان احمل حوائجي .. ثم تقدم مني الى خارج الصالون..

. كان الوقت فجرا .. عندما القيت ترحالي فى احدى غـرف المعتقل ..

. هنا سأقضى فترة لست ادري كم ستطول .. ولست ادري كم ستقصر .؟

. هنا .. لاادري .. هل اعود بعدهـا الى بيتي واطفالي .. ام سيكون مصيري الشد الى عمود خشبي فى ميدان .. ام الطبول

. من يدري .. ؟؟؟

× × ×

. استقبلني زملائي فى الزنزانة بابتسامات مشجعة .. وكانوا قد نهضوا وهم فزعون من نومهم على « سكسكة » المفاتيح وهي تعالج قفل الباب الحديدي ..

. انهم هنا منذ زمن .. لم تطرق اذانهم انباء سارة ..

. منذ زمن .. وهم هنا يتهددهم الموت .. والسحل بالحبـال كل الليلـة ..

منذ زمن .. وهم فى هذه المقبرة يتهددهم فاضل البياتي وزمرته بالدفن احياء .. باطلاق قذائف من الدبابات لنسـف المعتقل كلـه .. باستعمال القنابل اليدوية لابادتهم بـ .. كل شيء يدل على الحقد المرير الذي يعيش فى اعماق هؤلاء المنزلقين العملاء ..

. رحبوا بي .. ونهض بعضهم فاستلم مني متاعي ثم افسحوا لي مكانا بينهم ..

كانت الزنزانة عبارة عن مخزن صغير للسلاح ذات كوتين صغيرتين فى السقف .. وكان زملائي ينامون على الارض جنب بعضهـم بينمـا افسحوا لحقائبهم مكانا ضيقا ولاباريق الماء والحاجيـات الضروريـة الاخرى . اما الاحذية فقد وضعت فى ذيول الافرشة ..

. قدم لي أحدهم سيجارة قائلا : نحن ندخن سرا .. ان السجاير تصادر ويستعملها الضباط للترفيه عن انفسهم ..

. وبدأ التعارف ..

. انني اعرف بعضهم . واعرف البعض الاخر بالاسماء ..

.. كنت اقرأ مايجول فى خواطرهم وانا اتطلع الى عيونهم والى الانفعالات التى تنعكس على وجوههم وهم يتحدثون .. او يختلسون النظر الي

. ان الاشفاق كان الظاهرة البارزة فى نظراتهم وفى احاديثهم.

. قلت لهم مشجعا : أخواني .. لاتزعجوا انفسكم .. انني اعرفماينتظرني

× × ×

متآمرون .. وخونة

. قيل لي ان فترة الرياضة تبدأ فى الخامسة مساء ..

. ان فترة الرياضة وتنحصر فى المشى فقط لاتتجاوز العشر دقائق .. فاذا كان عريف الحراسة طيبا .. اعطاها خمس دقائق اخرى ..

. ان المعتقلين يتريضون بالتسلسل .. كل زنزانة على حدة .. وعندما بدأت الرياضة كنا ونحن فى زنزانتنا نسمع جلبة الباقين وهم يحاولون اكتساب اكبر قدر ممكن من الحركة لاجسامهم ..

. ولما جاء دورنا .. كانت فرصتي قد حانت لدراسة جو المعتقل ..

. كانت هناك تعليمات كتبت بالالة الكاتبة الصقت فى جدار المعتقل

. حسنا .. لنعرف ماذا يريد فاضل البياتي ..

« تمنع المطالعة .. يمنع ادخال الصحف الى المعتقل .. العاب التسلية ممنوعة .. ممنوع ادخال الادوية حتى اقراص الاسبرو .. التحدث بصوت مرتفع ممنوع » ..

. هذا مايريده فاضل البياتي

. هذا البياتي كان ملازما اولا في الجيش العراقي خلال العهد الملكي السابق .. ثبت انه كان عضوا فعالا في الحزب الشيوعي فطرد من الجيش .. وقبل الثورة بيومين .. يوم ١٢ تموز بالضبط .. قبض على فاضل البياتي فى وكر شيوعي واوقف رهن التحقيق ..

كان حسن الحظ .. جاءت الثورة بعد يومين فقط من اعتقاله فاطلق سراحه واعيد الى الجيش كضابط في كتيبة الدبابات الثانية ثم

رفع الى رتبة رئيس .

وجاءت ثورة العقيد عبد الوهاب الشواف فى الموصل فاستعمل الحزب الشيوعي كل قواه للاستفادة من فشل الثورة ولجمع مكاسب حزبية واسعة ..

نجح الحزب الشيوعي وكان من مكاسبه .. ربما اغلى مكاسبه .. معتقل الدبابات الذى عين فاضل البياتي آمرا له . واقتيد الكثير من الاحرار بين ضابط ومدني الى هذا المعتقل .. واذا بناظم الطبقجلي واذا برفعت حاج سري . واذا بعبد العزيز العقيلي واذا باللواء حسين العمري وغيرهم من الاحرار ينامون على الارض .. ويعذبون .. ويذلون ويغرقون فى مستنقعات الدم ..

. بقيت مفاجأة ..

لقد اختار البياتي لمعتقله اسما خاصا .. صنع له ختم باموال الدولة . واذا تعليماته الرسمية .. واذا برسائل المعتقلين الى ذويهم تختم هكذا

« فاضل البياتي .. آمر معتقل الخونة والمتآمرين فى كتيبة الدبابات الثانية » ..!

. اذن فنحن خونة .. هكذا بدون محاكمة .. وهكذا بدون حكم ..

. قال فاضل اننا خونة .. وانناجماعة من المتآمرين .. وختم تعليماته بختم رسمي قال فيه ان معتقله هو معتقل الخونة والمتآمرين ..

. ترى .. من ابتدع هذا الاسم .. البياتى ام الزعيم الاوحد ؟..

. ومرحى لعبد الكريم قاسم .. لدستوره .. لقوانينه .. ولجمهوريته ..

× × ×

الليلة الاولى

. لم انم فى الليلة الاولى ..

. لقد كانت ليلة حافلة .. حافلة بكل جديد .. بكل مهين ..

. كنت اعرف انها ليلتي .. انني انا الضحية .. ان الستار سترفع علي وانا اقف على قدمي .. اما عندما تسدل .. فسأكون محمولا الى زنزانتي بواحدة من اغطية الجنود ..

. لم انم .. وبقيت انتظر
. الساعة الان هي التاسعة ...
. الساعة الان هي .. العاشرة ..
. .... الحادية عشرة
. النصف قبيل منتصف الليل ..
. ها هم .. لقد جاؤا ..
. بدأت سكسة المفتاح وهو يعالج قفل الباب
. اطل رأس يرتدي « البيرية » .. انها تماما كصاحباتها انتكست الى اسفل الجبهة..
. وصاح صوت : انهض ..
. نظر زملائي الى بعضهم .. ان احدهم يتلو بهمس آية كريمة ..
. انهم يعرفون ما ينتظرني ..
. انني اعرف .. ايضا ..
. نهضت وارتديت ملابسي .. ثم خرجت دون ان التفت .
. كنت اعرف انهم سيسهرون .. سيعدون الدقائق وسيعرفون ماذا يجرى فى كل دقيقة ..
. وعندما اعود .. سيضمدون جراحي . وسيواسونني ويخففون عني ..
. انهم كالكهان .. اعتادوا رؤية الموت ..

× × ×

الرؤوس .. والرتب

. كان الذي يقودني عريفا اسمه « دحام » .. قصيرا يبدو و« البيريه » فوق رأسه كفأر وضعت على رأسه قبعة صغيرة ..
. حمل مدفعه الرشاش وتركني اتقدمه بصمت ..
. انني اعرف هذا المكان.. لقد تلقيت فيه ضربة عصا صباح اليوم.
. انه بهو الضباط الذين قبلوا القيام بدور الوذل رجال البوليس..
. انه الميدان الذى تقطع فيه الرتب العسكرية من اكتاف الضباط.

وتقطع فيه الاصابع .. وربما الرؤوس بعد ذلك ..

. من يدرى ..!..

. ودخلت البهـو ..

. كانوا نحو عشرين ضابطا .. اخذوا مقاعدهم فى ارجاء الصالون.. بينما تركوا مكانا فسيحا لزعيمهم فاضل البياتي فى صدر المكان ..

. انني ارى بينهم ضابطا تبدو على وجهه بقايا جمال غابر .. قطعا .. كان جميلا وهو صبي ..

. قيل لي ان اسمه « عدنان الخيال » ..

. قيل لي ايضا انه آمر كتيبة الدبابات الثانية.. وكان فعلا اكبرهم رتبـة .

. اذن .. فنحن اسرى كتيبة هذا الخيال .. لقد اختار زنزاناتنا فى قلب الكتيبة حيث تتراصف حولنا عشرات الدبابات ..

. انها تنزعنا من نومنا فى كل فجر وهي تدير محركاتها بهدير يصم الاذان

شهامتهم ..

. كان جو الصالون مخمورا .. انني لم اشك فى ذلك ابدا ..

. لقد رفعت قناني البيرة والعرق توا .. ومازالت رائحة الخمر هي الرائحة المتغلبة على المكان ..

. اما دخان السجاير .. فقد كانت غمامة كثيفة منه تحوم فـى سقف الصالون .. بينما تكومت اعقاب السجاير الانكليزية بشكل ملحوظ فى الاماكن المعدة لها ..

. اما المائدة المستطيلة الكبيرة التي تتوسط الصالون .. فقـد كانت كما هي .. مغطاة بالعصى والخيزران والحبال .. بينما يتدلـى حبل المشنقة من مكانه فى السقف مهددا بايصال احدنا الى .. حافـة المـوت ..

الى جانب هذا الصالون كانت هناك فتحة كبيرة توصل الى صالون آخر اعد ليكون مطعما للضباط ..

. فى هذا الصالون تجمهر بعض الجنود .. اعدوا انفسهم لخدمة الضباط .. خدمتهم فى اي مجال .. تقديم الخمر .. او المساعدة فى الضرب والتعذيب...

. كان بعض الجنود يحملون مدافع رشاشة .. والبعض منهم أكتفى بحمل عصا غليظة او حبل مفتول ..

ان الحفلة لم تبدأ بعد .. فمازال بعض الضباط يريدون التعرف علي ..

. نهض ضابط صغير اسمه « مثنى الراوي » ليفتتح الحفلة ..

. تقدم مني مزمجرا .. كلب .. خائن . وتلقيت اول ضربة ..

. اراد المسكين ان يجرب قوة عضلاته بي فأهوى على وجهي بلكمة جاءت كيفما اتفق ..

. جاءت على أنفي ..

. عندما رفعت يدي أتحسس موضع الضربة عادت حمراء يخضبها الدم ..

. سمعت فاضل البياتي يقول ضاحكا : منظره الان جميل ..

. ان البياتي على حق .. فقد كان اللون .. احمرا..

. لقد اختارت الشيوعية اللون الاحمر .. لانه لون الدم .. لانه .. لون القتل ..

. انهم لا يطيقون الحياة بلا لون احمر .. اذن ليأت هذا اللون بالدماء .. دماء .. دائما دماء ..

. لقد ارادها عبد الكريم قاسم لنا .. ارادها باية وسيلة ..

. باعدام الاحرار .. باراقة دماء الابرياء .. بالفوضى .. بالقتل .. بالسحل بالحبال .. بتعليق الجثث عارية مشوهة فى اعمدة النور او فوق اشجار الكالبتوس ..

. اننا لم نشهد سوى الدماء .. سوى الموت .. منذ ذلك اليوم الذي شهدنا فيه وجه عبدالكريم قاسم . حاكما مطلقا فى رقابنا

موكب الموت

. الان .. سرت الحرارة فى الحفلة ..

. بدأ الضباط الشجعان .. يتقاذفونني كالكرة

. لكمات من كل جانب .. العصا تلهب جسمي حيثما اتفق رأسى .. كتفي .. ظهري ..

. كنت اتلقى اللكمات وضربات العصى فى وقت واحد ..

. كانوا كلهم يشاركون فى هذه البطولة .. عشرون ضابطا مرة واحدة ..

. تصوروا .. عشرون شجاعا مرة واحدة .. علي انا الاعزل .. المستسلم لمصيري .

. اشار اليهم المقدم عدنان الخيال بالتوقف ..

. توقفوا ..

. تقدم منى وقد كشر عن اسنان بدالي احداها وقد صيغ من الذهب

. قال : لافائدة .. قل كلاما صحيحا عن الموءامرة .. وبشرفى .. سنعمل على مساعدتك ..

. شرفه .. ان الجمال الغابر يقسم بشرفه .!!!

. ان زعيمه الاوحد عبد الكريم قاسم قال قبل ذلك للناس : بشرفى العسكري لن يعدم ناظم الطبقجلي . ولن يعدم رفعت .

. ان زعيمه الاوحد عبد الكريم قاسم قال قبل ذلك لخطيبة الرئيس الاول نافع داود : اكملي جهاز عرسك وسيعود اليك خطيبك قريبا .

. ثم .. ثم بسفالة لامثيل لها فى تاريخ السفالات .. اعدم ناظم الطبقجلي .. واعدم رفعت الحاج سري ..

. ثم .. ثم بهبوط لم يعرفه تاريخ هبوط الانسانية فى ضمير الانسان .. اعدم نافع داود ..

. وكيف ؟ .. اعدم وهو .. اعمى

. ان عدنان الخيال يقسم بشرفه .. لم يقل أي شرف من الاثنين .. المدني ام العسكري .؟..

. قلت له وانا احاول ان ابدو جلدا .. اية مؤامرة تريدني التحدث عنها ..

. قال : تتساءل ؟.. ها .. كأنك لا تدري شيئا .. اسمع .. اننا سنواصل معك حتى الصباح .. الم يقل لك بقية المعتقلين ماذا يحدث هنا ؟.. هذه المشنقة هل تراها ؟..

. واشار الى فوق ..

. ارتفع صوت فاضل البياتي وهو يقول : دعونا نجرب معه .. هوءلاء لاخير فيهم .. خونة .. كلاب ..

. قال ملازم بشع المنظر اسمه خالد عيسى ترك شاربيه يحتلان نصف وجهه على طريقة ستالين : سيدي دعه لي ..

. كان هذا الضابط غريبا بين الضباط .. انه يبدو في غاية البهجة وهو يكيل اليك الضربات باسلوب خاص .. انه يتفاخر بكونه يقوم بهذه العملية السافلة ..

. كان مبتهجا جدا وهو يضربني مرة بيديه واخرى بالعصا وفى مواضع حساسة موجعة ..

. ولما صاح بالجنود : ضعوا الحبال في رجليه .. هرع العريف الفأر دحام مع جنديين وطرحوني ارضا ثم احكموا وضع الحبال فى قدمي ..

. وبدأ .. موكب الموت ..

. كانت عملية سحلي وانا حي افجع ماواجهت ..

. كانت لاتطاق ..

. الضباط يتضاحكون .. انهم يتناوبون سحلي والدوران بجثتي حول المنضدة الكبيرة.. كان كل واحد منهم يجرب قوةعضلاته فىسحلي..

. ان ضجيج موكب الموت يملأ المكان .. وضحكات الضباط في تسليتهم هذه تزيد الضجيج ايضا ..

. لم اشك ابدا فى كون اسباب السحل وجيهة ..

.. لقد كان منظري مضحكا .. حقا .

. كان خليقا بي ان احتقر الرجولة .. احتقر رجولتهم ورجولتي معا ..

. فما كانوا بقادرين .. ويا للمساكين .. على الارتفاع عن هذا المستوى المشين .. وما كان بمقدوري الاستفادة من رجولتي وانا اعزل بين خصوم فقدوا عقولهم وسقطوا الى مستوى الحيوان ..

. عندما تركوني .. كانوا قد تعبوا ليس الا ..
. قال عدنان الخيال : دعوه ..
. كانت مفاصلي لاتطاق من الالم .. وكان انفي قد تسلخ وغمرته الدماء ..
. وتسلخت رقبتي .. بينما تبعثرت الرضوض والكدمات في رأسى وانحاء جسمي ..
. اما ملابسى .. فقد تمزقت وغمرها التراب ..
. صاح بي فاضل البياتي : انهض .. قذر .. ثم ترك مقعده وتقدم مني آخذا بتلابيبي .. قال : بالرغم منكم .. وانف جمال عبد الناصر فى التراب ستؤسس جمهورية شيوعية في العراق .. مفهوم ؟..
. ثم التفت الى الجنود وصاح : خذوه ..
. وتلقفني الجنود .. كان بعضهم يبدو مكلفا وهو ينفذ امر الضباط
. لقد كان بعض جنودنا اوفياء لعروبتهم ولانسانيتهم ..
. جاء احدهم بغطاء فرشوه على شكل نقالة ..
. قلت هامسا : سأحاول ان امشى ..

من هم القذرون ؟..

. مشيت نحو الباب اترنح .. الا ان ضربة من الخلف جاءت على ام رأسى من عصا غليظة . فتدحرجت على الارض واصبح جسمي نصفه خارج الصالون ونصفه الاخر داخل الصالون .. واذا بضحكة هستيرية تنطلق من فاضل البياتي الذي رفعني من الارض بعنف ثم دفعني مرة ثانية داخل الصالون ..
. استلمني عدنان الخيال واجلسني الى كرسى وقال يحدث ضباطه: يكفي الليلة ..
. اذن فهذا طعام يوم.. اما بقية الايام فالله يعلم ماذا يعدون لي..
. قال لي فاضل البياتي .. مارأيك ..
. قلت وانا ابذل جهدي لكي يبدو صوتي طبيعيا : القضية ليست قضية رأي .. ولكن دعوني اقول لكم شيئا ..
. قال البياتي : هسه عنده كلام .. يالله .. هات ..
. قلت : انني اتساءل عن الرجولة فى تعذيبي وفى ضربي .. اعزل

بين عشرين ضابطا مسلحا .. واسير فى معسكر .. ودباباتكم مرصوفة ..

.. اين الرجولة ؟.. اذا كانت هذه هي رجولتكم . واذا كنتم قد وجدتم فى الجيش لهذا الفرض .. حسنا .. تعالوا واضربوا ما شئتم ..

. اعتقدوا انني سأستعطف .. ولكنهم فوجئوا بهذا الكلام .. واذا باصواتهم كلهم تختلط بالسباب

.. كلب قذر .. قومي متآمر .. لن تنفعكم شجاعتكم ..

.. صلفون .. عبيد جمال عبد الناصر .. الخ ..

. قال عدنان الخيال : سنريك الليلة القادمة ..خذوا هذا القذر ..

. قذر .. نعم قذر .. كلنا قذرون .. كلنا خونة ..

.. ولكن لمن .. ولكن على من ؟..

. هل خنا عروبتنا ..؟.. هل خنا قوميتنا .؟.. هل خنا عراقنا العربى ؟.. هل خنا قضية العروبة كلها ؟..

. خنا من اذن يا كتيبة الفقاعات .. ياكتيبة القرود..؟..

. متى كنا خونة .. ونحن نعيش للعروبة .. نعيش لاجل بيتنا الكبير .. نعيش لاجل قضيتنا المقدسة ..

نعيش لاجل ان ترفع هذه الحدود ..وتعدم هذه السدود .. وتزول هذه الحواجز ...

. نعيش لاجل اخوتنا فى الوطن الكبير الهائل الواسع .. لاجل تأمين الكرامة والمنعة لاولادنا ولاحفادنا ..

اننا لانعيش لاجل موسكو .. ايها الضفادع

. خونة يابياتي ؟.. خونة ياخيال ؟.. خونة لماذا ؟.. خونة لان عبد الكريم قاسم سرق العراق ؟.. سرق الثورة ؟.. سرق كل امانينا واهدافنا ؟..

. هل نحن خونة لاننا لانوءمن بلص.. لانوءمن بعبدالكريم قاسم .. هذا الضابط التافه الذي جعلتهم منه جسرا يوصلكم الى مستنقعاتكم الحمراء ..؟..

. هل نحن خونة لاننا نرفض الخنوع لنظام يبعدنا عن طريقنا الطبيعي فى الحياة والحرية ..؟

× × ×

. ببساطـــة ...

. اننا لانوءمن بعبد الكريم قاسم ..

. لو كان هذا الرجل مثقفا .. ديمقراطيا .. يؤمن بحريـة الرأي والعقيدة كما يدعى .. لوضع .. وببساطة ايضا .. هذه الحقيقة امامه ..

. ليس عارا ان يفشل الانسان فى عمل لاتؤهله كفاءته لتحمـل مسؤولياته ..

. لقد فشل عبد الكريم قاسم فى ان يدفع العراق مع التيار الطبيعى لبلد .. قوميته عربية ولغته عربية ودينه الاسلام .

. فشل فى هذا .. وفشلنا نحن ايضا فى الوثوق بان هذا الرجل يقودنا نحو الاستقرار والرفاه والامان

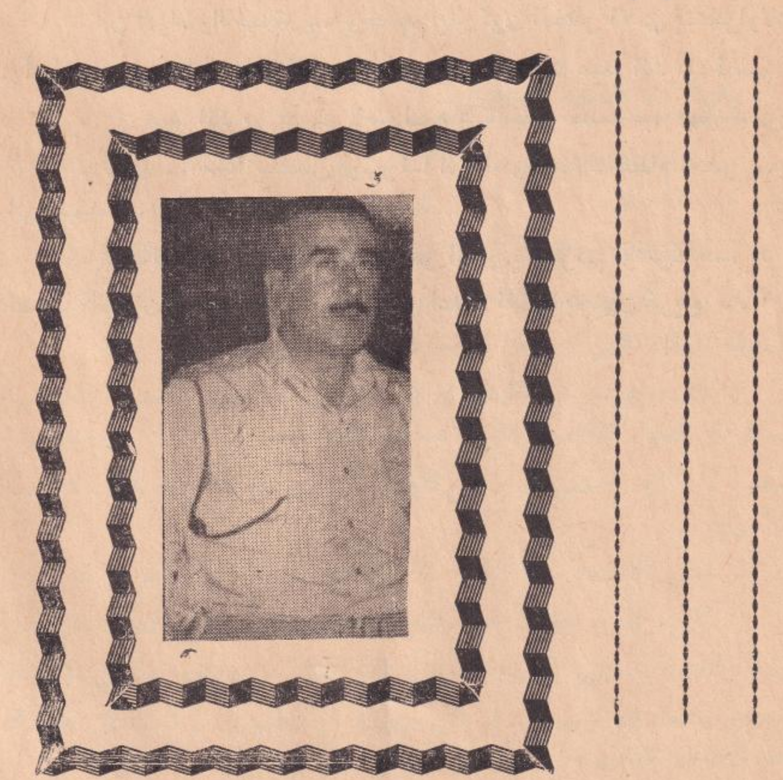
. ان الاباء والامهات .. وحدهم يدركون الخطر الذى ينتظر اولادهم واحفادهم فى نهاية هذه الطريق التي يقودنا اليها عبد الكريم قاسم ..

. ان عبد الكريم قاسم لايدرك هذا الخطر قطعا .. فهو ليس بأب

. ترى .. ماذا يحصل لو تركنا الابناء والاحفاد لنظام احمر يحيلهم الى عبيد .. والى آلات مسخرة ..؟..

. أبالتأكيد .. ان هذا المصير هو الذى ينتظرهم لو ترك هذا الرجل نصف المجنون يلعب بالعراق ويسحق اعداء نظامه بجنون غريب ..!!

تقرير
الزعيم الركن
الشهيد ..
ناظم
الطبقجلي
! !



. الكلام الآن .. للرجل الذي قال لعبد الكريم قاسم : ايها المجنون .. ليس هذا مكانك ..

. للضابط الشهم الذي تهيأت له اسباب الفرار .. فرفض بأباء ..

. لناظم الطبقجلي القائد العربي الذي تلقى رصاص عبد الكريم قاسم فى ميدان أم الطبول .. بابتسامة احتقار ..

. اننا ننقل هنا تقرير الزعيم الراحل حرفيا ..

• التقرير

سجن الموقف العام

٦-٧-١٩٥٩

من الزعيم الركن ناظم الطبقجلي

الموضوع : تقرير عن وقائع التحقيق فى معتقل كتيبة الدبابات الثانية ولجنة التحقيق

– اعتقلت يوم ٢٣-٣-١٩٥٩

– لم اعـذب

– اهنت كثيرا من قبل ضباط كتيبة الدبابات الثانية والزائرين من ضباط او مدنيين استدعتهم الكتيبة لمشاهدتي .

– جرى تحقيق ابتدائي فى كتيبة الدبابات الثانية واجبت على الاسئلة التي نظمت للغرض المذكور ..

– استدعتني لجنة التحقيق الخاصة حسب التواريخ التالية

أ – يوم ٢٤-٣-١٩٥٩ واجهت فيها رئيس اللجنة العقيد الركن هاشم عبد الجبار وبقية اللجنة

ب – يوم ٢١-٤-١٩٥٩ حقق معي المقدم عبد الرزاق الزبيدي شفويا . ووجهت لي اسئلة وبقيت انا والعقيد رفعت حاج سري ستة ساعات .

ج – يوم ٢٢-٤-١٩٥٩ حقق معي العقيد الركن هاشم عبدالجبار وبقية اللجنة . وكذلك مع العقيد رفعت الحاج سري وقد بقينا اربعة

ساعات بانتظار التحقيق ..

• لقد هددت فى تسلسل التحقيق بعرض مواد التعذيب والتهديد بالضرب اذا لم اجب على الاسئلة حسب رغبتهم . فلم اعر تهديدهم بالاً .

• لقد صرح العقيد الركن هاشم عبد الجبار خلال التحقيق بما يلي : ((نحن الشيوعيون قررنا اقامة جمهورية شيوعية فى وطن حر وشعب سعيد . فاما ان نحيا وتحيا جمهوريتنا الشيوعية ونقضي عليكم وأما ان نموت دونها اذا كتب علينا الفشل وهذا محال . ان كل منحرف سيكون مصيره الاعدام حتى الزعيم - ويقصد بذلك عبد الكريم قاسم - اذ باستطاعتنا ان نخرجه مع كرسيه من وزارة الدفاع ونسحله . نحن نعرف ان مجلس السيادة متآمر معك ولابد من استدعاء نجيب الربيعي لينال حظه من الجلد حتى يبوح بنصيبه من مؤامرة الشواف .

الفوز لنا . للحزب الشيوعي . والحكم لنا وسنحققه رغم انوفكم

• ان معركتنا معركة حياة او موت . وسندمركم وندمر قوميتكم الحقيرة .. الخ))

• اعتقلت انفراديا لمدة اسبوعين نقلت بعدها الى غرفة فيها عشرة اشخاص من ضباط ومدنيين عذبوا كلهم عذابا مهينا وكانت آثار الضرب المبرح ظاهرة عليهم وعلى اجسامهم . وكان هؤلاء يستدعون اكثر من مرة وتطبق عليهم ممارسات التعذيب ..

• كانت تنظم مظاهرات من قبل منتسبي المعسكر تطوف حول المعتقل وهي تهتف بحياة الشيوعية وسقوط القومية العربية . ثم يرددون الاهازيج المختلفة ((الحزب الشيوعي بالحكم .. مطلب عظيمي))
.. مقرونة بأهازيج مشحونة بالشتائم توجه للمعتقلين ليل نهار .

استدعي كثير من الزوار اثناء الليل فى فترات مستمرة لزيارة معتقل الدبابات والتفرج على المعتقلين بقصد التشفي وتوجيه الاهانات والسباب والكلمات البذيئة . وكانت توجه الاهانات اما الى المعتقلين

مجتمعا او منفردا . وكان ضباط الدبابات هم ادلاء الزوار لتعريفهم على المعتقلين .

كانت نقاط الحرس فى المعتقل تساهم فى التنكيل بالمعتقلين بالسب والشتم وكانوا يضربون الابواب باقدامهم ليلا او يهرولون على سطوح الغرف ويدبكون عليها لحرمان المعتقلين من النوم . فكان التعذيب النفسي يسير حسب خطة موحدة مع التعذيب البدني

. كان سلوك ضباط الدرع رديئا من حيث المعاملة وكانوا اسوأ مثل ففد خلقه واخلاقه وانسانيته . فقد انهمكوا فى جورهم وتجبرهم ضد المعتقلين . وقد تسابقوا لاظهار انفسهم بانهم متحررون تقدميون وشيوعيون صحيحون . اذ كانوا يقصدون غرف المعتقل على التوالي ليلاً ليظهروا تهكمهم بما يسمى ((الله)) و ((محمد)) . ولم يرتدع احدهم عن القول بان ((لينين)) صاحب رسالة أشرف من رسالة ((محمدكم)) وقرآنكم)) .. وان دينكم الاسلام بات سخيفا لايساير العصر .. وقد تجاوز احد الضباط بضرب احد المعتقلين حين كان يقرأ القرآن الكريم .. وكانوا يجهرون بالكفر بالله والاسلام ..

كان الضباط من المعتقلين يروون نهج التعذيب الذي يتبعه ويطبقه ضباط الدرع وعلى رأسهم آمر المعتقل وكانت تنظم سهرات ليلية مستمرة .. سهرات التعذيب التي كانت تقام فى بهو ضباط كتيبة الدبابات الثانية بعد منتصف الليل لغرض التحقيق والتعذيب .

. وكان يدعى لهذه الحفلات اعضاء من الحزب الشيوعي امثال ((عطشان ضيئول)) و ((فاتح الحياري)) الضابط المطرود من الجيش ليشاهدوا الاساليب الجهنمية فى الضرب والتنكيل بالضباط والمدنيين . وقد اخرج الملازم مخلف عبد العزيز الى احدى السهرات وبدأ بتعذيبه من غرفة الاعتقال حتى بهو الضباط وهو يصرخ من العذاب الذي كان يسلطه عليه الملازم خالد عيسى ويستصرخ الضمائر ولكن دون جدوى. ودام تعذيبه ساعات .

لابد انكم تجدون بين تقارير الضباط ما يفضح هذه الاساليب التي

فقد فيها أبسط التعامل الانساني مع البشر . .

هذا غيض من فيض اقدمه للاطلاع

الزعيم الركن المتقاعد
ناظم الطبقجلي

× × ×

. ليس هذا بتقرير فقط .. بل هو وصية ايضا .

. ان الراحل الطبقجلي يكشف لنا هنا .. نوايا هؤلاء الذين عزموا على نسف كل كيان يقف امام زحفهم الاحمر ..

. ان الزعيم الراحل يكشف هنا الستار عن نوايا الشيوعيين حتى بالنسبة لهذا الطاغية المجنون الذي قبل ان يسلمهم البلد .. وقبل ان يسلطهم على رقاب العراقيين .. يعذبون وينكلون بالناس .. ويملأون البيوت الآمنة فزعا ورعبا ..

. ان هاشم عبد الجبار .. هذا العقيد الشيوعي الذي لايفارق الخمرة ابدا .. والذي يتذكر له اكثر المعتقلين كيف يبدأ معهم بالكلمات القذرة التي لاتخرج الا عن اناس عاشوا فى المواخير وأوغلوا فى تجنب الفضيلة والادب ..

هذا العقيد الذي يغرق عبد الكريم قاسم ببرقيات الولاء والتحريض على قتل القوميين .. هو نفسه يضمر لعبد الكريم قاسم ايضا الموت .. والسحل بالحبال بعد اخراجه مشدودا الى كرسيه من وزارة الدفاع .. !!

هذه هي الشيوعية ..

. ليس غريبا بعد ذلك ان يكشف هاشم عبد الجبار نفسه لضابط كبير حر مثل ناظم الطبقجلي فيذهب الى القول « باننا قررنا اقامة جمهورية شيوعية فى وطن حر وشعب سعيد .. وان معركتنا معركة حياة او موت . وسندمركم وندمر قوميتكم الحقيرة » ..

. لقد كان مخططهم دائما ايصال المد الدموي الى قمة العروبة .. الى القومية التي تعيش فى دمنا وتدفعنا الى الكفاح . والى الصمود لاجل تحقيق اهدافها وتأكيد مثلها العليا .. لاجل حاضرنا الراهن .. ولاجل مستقبلنا القريب الموشك .. ثم مستقبلنا البعيد الموغر ..

. ان قضية سحل عبد الكريم قاسم نفسه هي قضية تعتبرها التعاليم الشيوعية قضية اساسية لا تتحدد بأفراد ولا تتحدد بمجموعات معينة . وانما هي تمتد الى جذور الحركة الشيوعية والى اسسها . والى الغايات التي تقوم عليها تلك الاسس .

. ان الشيوعية لكي تصل الى اهدافها تكتسح امامها وبعنف ضخم .. كافة الحواجز .. حتى الزعماء .. حتى القادة .

. ليس غريبا بعد ذلك ان يفكر هاشم عبد الجبار وحزبه الاحمر بسحل قاسم اذا حاول في يوم من الايام الانحراف عن مماشاة المد الثوري الشيوعي .

. هنا يكون تصميم هاشم عبد الجبار على « استدعاء نجيب الربيعي رئيس مجلس السيادة لينال حظه من الجلد » .. ليس بالغريب ولا هو الشاذ عن المخطط الشيوعي ايضا

. الصلاة .. لناظم الطبقجلي

. الصلاة .. للرجل الشهم الذي قال لقاسم :

– ايها المجنون .. ليس هذا مكانك

× × ×

لجنة التحقيق الخاصة !!

. قبل ان ننتقل الى تقرير آخر من تقارير ابطال العروبة فى العراق .. دعونا نتحدث قليلا عن هذه اللجنة التي وضع عبد الكريم قاسم على رأسها ضابطا شيوعيا مثل هاشم عبدالجبار .. ثم وقف امام جمع من الغوغاء مدعيا .. انه فوق الميول .. وفوق الاتجاهات

. كذاب .. ولعنة الله على الكاذبين ..

. لم يكن عبد الكريم قاسم .. ابدا .. قطعا .. لافى يوم من الايام .. ولافى لحظة من لحظات حكمه وجوره .. فوق الميول وفوق الاتجاهات ..

. كان دائما .. ميالا الى ناحية .. وكان دائما متجها مع ريح معينة ..

. لقد بذل جهدا كبيرا .. وتصبب العرق من جسمه طويلا ..

لكي يقضي على القومية العربية في العراق . ولكي يوهم اهل العراق بان عراقهم لهم وحدهم .. ولكي يحرف هذا الامل الرابض في قلوب سكان وادي الرافدين .

. وبالتالي .. لكي يجعل من العراق دولة قاسمية لا تعترف للعرب الا بالجوار

. ليجب عبدالكريم قاسم .. لماذا اذن كانت معتقلاته تموج بالقوميين ..؟.

لماذا كانت تلك المعتقلات لاتضم سوى الضباط والمدنيين الذين لايحملون مبادىء جريدة « اتحاد الشعب » الحمراء ..

. ثم .. لماذا كانت المعتقلات يتسلط عليها ضباط من الشيوعيين المعروفين ؟..

× × ×

وقود .. لمحكمة المهداوي

. مازلنا نتحدث عن اللجنة التي يراسها الشيوعي العقيد هاشم عبد الجبار

. كانت هذه اللجنة تنام على فراش واحد مع محكمة فاضل المهداوي .. كانت تعيش تحت سقف واحد مع المهداوي . البلية المضحكة المبكية التي ارادها القدر لفترة من عمر العراق ..

. كانت تعيش مع المهداوي في بناية واحدة هي بناية المحكمة العسكرية العليا الخاصة التي اسماها المهداوي .. ظلما .. محكمة الشعب .. كما اسمى الرئيس فاضل البياتي معتقله بمعتقل الخونة والمتآمرين

. حتى الاسماء .. كانوا يختارونها منسابة مع المد الاحمر ..

. كانت لجنة هاشم عبد الجبار تعيش ايضا مع المهداوي في قضية واحدة .. هي قضية القبض على الناس وسوقهم اما الى المشنقة في سجن بغداد المركزي .. او الى ميدان ام الطبول حيث تنتظر هناك فرقة الاعدام الخاصة .. !!

. ان لجنة هاشم عبد الجبار بالنسبة لمحكمة المهداوي ضرورة قصوى .. تماما .. كضرورة وجود عبد القادر اسماعيل وجريدته « اتحاد الشعب » لعبد الكريم قاسم ..

. مصدر ضرورة وجود لجنة هاشم عبد الجبار لمحكمة المهداوي .. ان اللجنة هي التي تقدم الوقود للمحكمة .. انها تعتقل الناس فى ليل مظلم وتسوقهم الى تحقيق لاعدالة فيه وليس فيه اي قدر من الاخلاق .. ثم تقذف بهم امام المهداوي الذي يحرك ذيله زهوا ثم يرفع عقيرته صائحا بطريقة مضحكة : يحيا الوطن ..

ويكون قبل ذلك قد ساقهم الى ميدان .. ام الطبول

. أما فى الميدان الرهيب .. فان المهداوي يقف الى جانب فرقة الاعدام .. ومع دوي الرصاص يمتزج صوته القبيح وهو يهتف : حتى الموت .. حتى الموت ..

. بعد ذلك .. وجثث الشهداء تعوم فى بحر من الدم الطاهر .. يبدأ عناقه مع العقيد ماجد أمين المدعي العام .. تهنئات لاجل العروبة الذبيحة فى ميدان الموت..

× × ×

جماعة الفرسان

ان التفاتة قصيرة الى اعضاء لجنة هاشم عبد الجبار .. تجعلنا ندرك ببساطة اي جمع من النبلاء اختارهم عبدالكريم قاسم لهذه المهمة.. مهمة حزم الوقود لمحكمة ابن خالته سارق الفحم الذي يريد دخول التأريخ من بابه العريض .. الى يمين هاشم عبد الجبار عقيد اسمه جلال بلطه .. قزم .. اسنان سوداء .. وجه اصفر اشبه بوجوه المسلولين .. اللسان في قمة البذاءة والخلق مركبات نقص شكلت حقدا هائلا على الناس .. وعلى كل خير في الدنيا ..

يقول الموصليون . ان جلال بلطة من عائلة لاخير فيها عاشت عالة على بقايا موائد زعماء الطريقة النقشبندية فى شمال الموصل .

. مع ذلك .. لقي اكثر من نقشبندي واحد الذل والتعذيب على

يد هذا البلطة الذي بلغ الانحطاط فى خلقه ان يقبل القيام بدور الجاسوس على قائد فرقته .. ناظم الطبقجلي .

. الاخر .. ضابط من مدينة النجف الاشرف انحرف عن مبادىء عائلته وانزلق الى المستنقع الاحمر . وقبل ان يذل قومه وابناء عمومته واخوانه فى المسلك . وان يكون اداة طيعة بيد الشيوعيين . ثم يفخر لكونه قام بتعذيب اكبر عدد من الضباط القوميين ..

. اسمه : سعيد مطر . ورتبته رئيس أول .

. اما البقية .. ففيهم بعض المدنيين من الحقوقيين الذين وصلوا درجة قضاة ولكنهم فشلوا فى فهم المستوى الذي وصلوا اليه . وفشلوا ايضا فى تفسير عدالة القاضي الذي ينتدب لمهمة حساسة تفصل بين الموت والحياة فيها .. قشرة بصل .

. كمال عمر نظمي عضو الادعاء العام العسكرى الذي يعتقد كما يبدو انه لكي يؤمن بالشيوعيه يجب ان يندفع الى مستنقع الدم .. يضرب .. ويعذب .. ويحرض على السحل بالحبال ..

جماعته الاخرون داود خماس وشهاب الشبيب وغيرهم من الذين لطخوا سمعتهم كقضاة . ودمغوا فى القضاء العراقي اختاما حمراء لمجرد أنهم أرادوا التمسك بشرف الحزب الشيوعي وبمبادئه التي لايجاريها نبل القومية العربية .. أبدا . ! !

. ثم .. جملة ضباط تطوعوا لخدمة الحزب الشيوعي فراحوا يسهرون كل ليلة مع العقيد هاشم عبد الجبار . وبلطته ومطره . يعدون الضحايا .. ويفجرون الدماء من ارجل المعتقلين .. ومن اصابعهم .

. هذه هي لجنة التحقيق الخاصة .. لجنة بلطة ومطر وكمال عمر نظمي وماجد امين .. اللجنة التي كانت تستضيف الشيوعي « عزيز الحاج » كل ليلة .. وليشارك فى كل حفلة شيوعية حمراء .

ثم ليساهم فى ضرب القوميين ..

. وليساهم ايضا فى اهانة العروبة .. فى اهانة الجيش العراقي .. فى اهانة كل ضابط عراقي يعرف ويدرك .. ان العـراق هو جزء من أمة العرب اقتطعه الاستعمار فى ليل مظلم . ووضع حدوده وسدوده ..

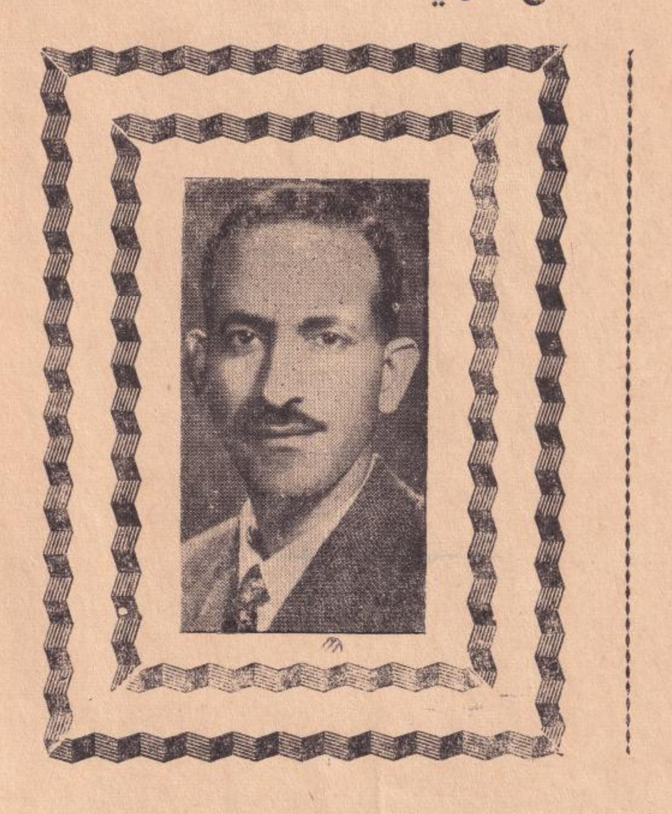
. ليساهم « عزيز الحاج » الذي لاتربطة بالعروبة لا صلة الدم . ولا صلة الحس . فى اهانة كل عراقي عربي يؤمن بعروبة العراق . وبعروبة جيش العراق .. ثم بعروبة ثورة ١٤ تموز ..

تقرير ..

الشهيد ..

العقيد ..

رفعت حاج سري



• التقرير الثاني ••

. هل تعرفون لمن ؟..

. انه للشهيد العقيد رفعت الحاج سري

قال :

ـ عندما كنت في داري ليلة ٢٣ـ٢٤ـ مارت ـ ١٩٥٩ طلب حضوري الى هيئة التحقيق في المحكمة العسكرية العليا الخاصة . فشاهدت هناك العقيد الركن هاشم عبد الجبار والمقدم عبد الرزاق الزبيدي والرئيس الاول سعيد مطر والرئيس الاول شاكر الخطيب والحاكم المدني داود خماس وكان المدعي العام العقيد ماجد محمد أمين أيضا من الحاضرين ..

سألني العقيد هاشم عبد الجبار رأسا وباستفزاز شديد باني اشتركت في مؤامرة الشواف ومن المدبرين لها واني وان لم اذكر ان الزعيم ناظم الطبقجلي والزعيم محمود شيت والرئيس احمد ابو الجبن قد اتصلوا بي بقصد المؤامرة وكنت متفقا معهم فسيقوموا بانتزاع هذه الافادة مني بأساليبهم الخاصة قسرا وبالتعذيب كما هو متبع مع غيري ..

ـ بينت لهاشم عبد الجبار استغرابي من اسلوب التحقيق هذا الذي يبدأ بالتهديد والارهاب . ولما نفيت لهم علاقتي مع أي من هؤلاء اعادوا تكرار انذاري بالتعذيب . فقلت لهم : افعلوا ما شئتم ..

ادخلوني في غرفة صغيرة ثانية لافكر قبل مباشرتهم بالتعذيب ، وفي هذه الاثناء بدأت اسمع صراخا اليما وفضيعا لضحية اخذوا يعذبونها وخلال ذلك كان يأتيني الواحد بعد الاخر ويصور لي التعذيب والاهانات التي سألاقيها ان لم اوافق على طلبهم . ولما وجدوا بعد ذلك انني مصر على عدم الرضوخ لطلبهم ارسلت موقوفا برفقة المقدم عدنان الخيال

والرئيس فاضل البياتي الى معتقل الدبابات وهنا وضعوني فى غرفة لوحدي جوار غرفة الرئيس فاضل البياتي آمر المعتقل .

كانت الشتائم والاهانات توجه الينا بصورة فضيعة واليمة . ولم اكن اصدق ان يصدر مثلها من ضباط المفروض فيهم ان يكون لهم من الخلق مايكفي لضبط لسانهم عن جزء منها .

لقد أخذ الشيوعيون من ضباط ومدنيين يحضرون لمشاهدني والتعرف على ضحيات لائقة بهم وبخلقهم وتدل على سفالتهم وانحطاطهم .

فمن سب وشتم واهانات وكلمات بذيئة جدا . ولم يكتفوا بهذا بل اخذوا يستعملون معي اساليب لتعذيبي نفسيا وتحطيم اعصابي .

اما الضباط فمنهم الرئيس الاول الركن محمود سامي من اللواء التاسع عشر والملازم خالد عيسى من كتيبة الدبابات والملازم قاسم وكان يحضر معهم بعض المدنيين اعرف منهم ((عطشان ضيئول)) . حتى انني رأيت بعد منتصف احدى الليالي جاءتني معهم امرأة اعتقد انها ((وفيه ابو قلام)) كما علمت فى اليوم التالي . وقد قالت لي كلمة واحدة فقط هي ((حيوان ..)) وكنت اسمعهم يشربون الخمر فى غرفة الرئيس فاضل البياتي المجاورة . ثم جاؤا بعد ذلك بكأس خمر وسكبوه علي وانا نائم ..

وكانت اساليبهم التي اتبعوها معي والموعزة لهم منها قيامهم بعد منتصف الليل وبعد نومي بضربي بالطابوق والحجار من الشباك وبسكب الماء والخمر علي وانا نائم . وكانوا يقومون بضرب الشباك بالعصي الغليظة وبشدة وبفترات بعد منتصف الليل حتى الصباح الامر الذي كان منهكا للاعصاب وقد استمروا بهذه الاستفزازات وبالحاح اكثر من شهر ونصف .. وكانوا يوقظونني من نومي ويوجهون لي مسدساتهم وغداراتهم ويأخذون بالمذاكرة فيما بينهم فى أي مكان من جسمي يرمون رصاصهم .

وكثيرا ما كان ضباط الدبابات هؤلاء وضيوفهم من الضباط

والمدنيين يجتمعون امام الشباك وينشدون الاناشيد الشيوعية منها نشيد ((وطن حر وشعب سعيد)) و ((الحزب الشيوعي بالحكم مطلب عظيمي)) ثم يأخذون بالتهكم والاستهزاء مني ((الا تعلم وانت مدير استخبارات ان الحزب الشيوعي هو الحاكم الحقيقي الجمهورية ؟ وانه بعد فترة سيتسلم الحكم علنا وسيقضي على كل الجماعات المعارضة له من قوميين وغيرهم ؟..

لاحاجة للعراق بمليون او مليونين . اذا قضي عليهم سيبقى الشيوعيون المخلصون وحدهم)) ..

وفى احدى المرات اخذت للتحقيق لدى هيئة التحقيق الخاصة صباحا فاجبروني هناك على الوقوف ووجهي الى الحائط حتى المساء ثم اعادوني الى المعتقل بدون اي سؤال او تحقيق وبدون طعام او ماء .

وكانوا يأتون بعد منتصف الليل باشخاص يربطونهم بالنافذة المجاورة لغرفتي او تحت نافذة غرفتي ثم يعذبونهم فيرتفع صراخ هؤلاء وانينهم يصم الاذان .. ويدمي القلوب .. فوالله لقد كانت مشاهد ومناظر لم اشاهداشد منها وحشية وفضاعة ولاحتى بالافلام التي يصورها الغرب عن وحشية زنوج افريقيا .

كانوا يطلبون من بعض المعتقلين بالتهديد والوعيد ان يأتوا لغرفتي واهانتي . وكانوا يأتون بالبعض الاخر بعد منتصف الليل وانا نائم ويطلبون منهم ان يصرخوا بكل ما اوتوا من قوة بعد ادخالهم الغرفة الصغيرة التي انا فيها .. وكانت هذه الاصوات توقظ احيانا جميع مراتب المعسكر والقصد منها معروف . وفى احدى المرات خرج مراتب الكتيبة بشبه مظاهرة الى الشارع العام .. طريق المعسكر - ديالى)) بلافتات وأناشيد شيوعية . ولما عادوا الى الكتيبة اوعز اليهم بعض ضباط الكتيبة كما فهمت فهجموا على غرفتي بطلب سحلي وكسروا لوحة الباب الخشبية ولكن أدركهم الرئيس فاضل البياتي الذي لو تاخر مجيئه بضع دقائق لتم سحلي فعلا ..

وقد اخبروني فى التحقيق وفى الدبابات ان هذه الاساليب التعذيبية ستشتد على وان لديهم جلاوزة لا يرحمون ان لم اكتب كما يريدون

اجبتهم انني اكتب عن نفسي ما تريدون مجرم ومتآمر وغير ذلك حسب رغبتكم اما ان اكتب عن اشخاص ابرياء اشياء لاحقيقة لها فهذا مالا انفذه ولو قطعت اربا اربا .. وفعلا كتبت بعض ما ارادوه فيما يخصني فقط ولا صحة له اطلاقا على ان يقوموا باجراء محاكمتي سريعا وفورا وان يعملوا على اعدامي لاني سئمت تماما هذه الحياة الرذيلة المهينة .

واذكر ايضا من الحوادث الكثيرة انه فى ساعة متأخرة من احدى الليالي فتح باب غرفتي وادخل شخص كان يصرخ ويستغيث واصوات الضرب والعصي مستمرة عليه من ضباط وضباط صف الكتيبة . وقد ترك بعد ذلك فى غرفتي بدون فراش او بطانية . ولما نظرت اليه كانت الدماء تنزف ن رجليه ووجهه وظهره بشكل بشع مؤلم فأعطيته بطانيتي لينام عليها وكان اسمه ((الحاج محمود الصايحه)) . وقد بقي مدة تزيد على اسبوع عاجز عن الوقوف على قدميه وكان يذهب لدورة المياه زحفا . ثم اعادوا ضربه وتعذيبه وبعد اسبوعين ارسلوا عليه ليلا للتعذيب ايضا . وهنا بدأت اسمع صراخا بشعا هز المعسكر جميعه وكان صراخه هو . وعلمت بعد ذلك ان جرحا بليغا حصل فى رقبته وانهم نقلوه الي المستشفى بحالة خطرة وكان كالشاة الذبيحة كما وصف لي.

. وقد علمت ان الملازم خالد عيسى هو الذي كان يضربه ويعذبه كما علمت ان هذا الملازم ذهب اليه فى المستشفى واعتذر منه وطلب ان لايذكر شيئا عن التعذيب بل يدعي انه سقط على الارض واصابه الكرسي فى رقبته ثم اعطاه بعض المال .

ان مثل هذه الحوادث كثيرة جدا واشد . وقد لخصتها فيما بينت .

العقيد المتقاعد
رفعت الحاج سري

. الدنيا كلها .. سمعت فقاعة الصابون المسماة بالمهداوي ترفع عقيرتها فى قاعة المحكمة وتقول لرفعت الحاج سري :

ـ كذبت .. لعنة الله عليك .

. المهداوي .. هذا البالون المنفوخ .. يكذب العقيد الراحل

. ان رفعت لم يعذب .. هكذا يقول ابن خالة عبد الكريم قاسم .. يقولها بصلافته العارية التي لاتعرف معنى الذمة . ولا تدري معنى الحياء .

. وهذا هو تقرير رفعت .. الرجل العربي المسلم . المؤمن بعروبته .. المتمسك بدينه .. الذي لاتفوته صلاة واحدة .. ولايفوته رمضان واحـد ..

. هذا التقرير كتبه بيده .. وقرأه عبد الكريم قاسـم ثم هز رأسه موافقا ..

. كان الطاغية يعـرف بالتفصيل وبالتأكيد .. ما يجري لرفعت فى كتيبة الدبابات .. وكان الطاغية يعرف بالتفصيل وبالتأكيد ايضا ما يلقى الطبقجلي فى كتيبة الجبناء .

. ان الطاغية كان يعلم علم اليقين ما يتعرض له الضباط العرب فى معتقله الرهيب ..

. وليلة اعدام رفعت .. ليلة اعدامه .. قال رفعت لاصدقـاء كانوا يذرفون الدموع .. حيارى لا يدرون ماذا يفعلون ..

قال محتدا : تبكون على من ..؟.. اذهبوا واذرفوا دموعكم بعيدا .. اذا انهال علينا رصاص الموت نكون قد ادينا واجبنا بالتضحيـة .. وعززنا الايمان لقضيتنا الواسعة ..

وصف احد هؤلاء الباكين رفعت ليلة اعدامه .. فقال :

ـ عرفنا رفعت جادا فى كل وقت .. اما فى تلك الليلة . فقد كان ساخرا مرحا وكأنه ذاهب الى زفاف .. بكينا امامه فاحتـد فجأة وراح يصفنا بالجبن ويتحدث بعزم عن الواجب والتضحية ..

. كان رفعت .. وكان ناظم . وكان بقية الشهداء .. يدركون ان اعدامهم سيفيد عروبة العراق . وسيعزز الكفاح لاجل صيانة هـذه العروبة ..

• ترى .. هل يهيء القدر لهذا المسلول عبد الكريم قاسم موتـا كهذا الموت ..؟..

• أبـدا .. ان الخالدين الطيبين وحدهـم هم الذين يموتون فى احضان .. الله ..

× × ×

تقرير ..

الرئيس ..

الركن ..

الشهيد ..

داود سيد خليل



. انني أضع بين يدي العالم المتمدن والمتوحش معا .. تقريرا ثالثا يحدثنا عن مصاصي الدماء الذين فجعوا العراق وحاولوا عزله عن طريقه الطبيعي ومسح قومية اهله ..

. ان الضابط الذي كتب هذا التقرر كان واحدا من الابطال الذين دفع بهم عبد الكريم قاسم الى ميدان .. ام الطبول .. فانتصب امام فرقة الاعدام وتحدى قاسم ..

. هتف بسقوط الطاغية .. وهتف بحياة العروبة ..

. انه الرئيس الركن داود سيد خليل ..

. ٢٨ سنة فقط ..

قال :

بسم الله الرحمن الرحيم ..

١ ـ صدر أمر اعتقالي من قبل هيئة التحقيق الخاصة بتاريخ ١١ـ٣ـ٥٩ على أثر اخبار قدمه بعض الموتورين فى اربيل والذين يأتمرون بأوامر الحزب الشيوعي . والذين لهم علاقة وثيقة مع هيئة التحقيق الخاصة الشيوعية المؤلفة من العقيد هاشم عبدالجبار والرئيس الاول سعيد مطر والمقدم عبد الجبار الزبيدي ومن متطوعين كثيرين من ضباط شيوعيين ثبت انتمائهم الى الحزب الشيوعي وكانوا يعملون لاجل الحزب لا لاجل الوطن . ومن الحاكم داود خماس وعطشان ضيئول سكرتير الحزب الشيوعي حسب ادعائه .

٢ ـ تركت اربيل مساء ١١ـ٣ـ٥٩ . وصلت بغداد صباح ١٢ـ٣ وذهبت مباشرة الى الانضباط العسكري وكان هناك الرئيس الاول سعيد مطر . وبعد الاخذ والرد معه ارسلني الى معتقل الهندسة

٣ ـ وصلت معتقل الهندسة حوالي الساعة ٣٠ر٥ من صباح ١٢ـ٣ وهناك استقبلني الملازم «اديب جورج» حاملا غدارته واخذ يتمتم بكلمات لم أفهمها بالضبط ولكن ما معناه « متآمر .. قذر ..الخ» مع العلم ان اديب جورج هذا هو أحد تلاميذي فى الكلية العسكرية

٤ – بقيت فى معتقل الهندسة مايقارب الستة ايام وكانت المعاملة اعتيادية .

٥ – وفى الساعة ١٤٠٠ من يوم ١٩–٣ اخذوني الى معتقل كتيبة الدبابات وادخلوني غرفة صغيرة علمت انها مصممة « للقهوجي » .. وبعد فترة قصيرة فتح الباب وقالوا .. تفضل .

اخذوني الى مقر اللواء المدرع السادس . وكان هناك المقدم عدنان الخيال والرئيس الاول سعدي علي وضباط من الدروع . وبدأ التحقيق معي شفهيا ولكنهم كانوا يتهددوني دائما بما سألقاه فى الليل .. الخ ..

٦ – وحوالي الساعة ٢٢٠٠ من ليلة ١٩–٢٠–٣ اخذوني الى هيئة التحقيق فى المحكمة العسكرية العليا بصحبة العقيد الركن جميل الخشالي والعقيد خليل سلمان والرئيس محمد رجب وشاهدت فى المحكمة العقيد الركن مجيد سعيد .

٧ – دخلت الى قاعة التحقيق حوالي الساعة ١٢٠٠ وكان حاضرا هناك العقيد هاشم عبد الجبار والعقيد ماجد محمد امين والعقيد سلمان الحصان والمقدم عبد الرزاق الزبيدي والرئيس الاول سعيد مطر والرئيس فاضل البياتي والمدني عطشان ضيئول والحاكم داود خماس .

. وعند دخولي باب قاعة التحقيق هجم علي خمسة اشخاص بايديهم العصي المختلفة الاحجام والسياط المطاطية والهراوات وبدأوا يضربونني لفترة حتى أغمي علي بعد ذلك اجلسوني على كرسي الاعتراف ومزقوا الكتافيات وانتزعوا رتبتي العسكرية وكنت اسمع السب والشتم وكلمات لم اسمعها من احط الناس .

٨ – بدأوا التحقيق معي بالاستفسار عن ميولي .. وعندما أجبت بأني عربي مسلم وغير منتم الى اية جمعية او حزب قاطعوني بقولهم « لماذا لاتصبح شيوعيا » ..؟ ثم بدأوا بالشتم ثانية وبعدها

بدأت الجولة الثانية والثالثة والرابعة .. وكلما كسرت عصا حلت محلها عصا اكبر واثقل

٩ ـ عندما عجزوا من ضربي وشتمي جاؤا بعصا كبيرة وقالوا : هذا خازوق سنستعمله فيك اذا لم تتكلم على مجلس السيادة وقائد الفرقة وآمر الحامية فأقسمت ان ما اعرفه لا يتجاوز الشيء الذي سمعته فى المعتقل من العقيد المتقاعد جميل الخشالي والعقيد الطيار عبد الله ناجي لاني كنت معهم فى غرفة واحدة .

١٠ ـ لم يشترك العقيد ماجد محمد امين بضربي ولكنه شتمني وبصق فى وجهي واسمعني كلمات اترفع عن ذكرها وكان يحرضهم على الاكثار من الضرب ويقول لهم « اضربوه .. عنده معلومات » ..!

١١ ـ أما « عطشان ضيئول » والذي قام بالتحقيق معي . ولست ادري هل هو مسؤول عن التحقيق ام متطوع . فقد قدم نفسه لي بالاسلوب التالي « انا ايضا ضابط مثلك واحمل رتبة عسكرية . وانا سكرتير الحزب الشيوعي وعضو لجنة الدفاع الوطني واطلب منك تقديم معلومات تهم هيئة التحقيق او الحزب .. الخ» .. وقد طلب مني الاعتراف وهددني بقتلي داخل هيئة التحقيق وفعلا امر هيئة التحقيق بضربي ..

١٢ ـ اشترك فى ضربي العقيد هاشم عبد الجبار والمقدم عبد الرزاق الزبيدي والرئيس الاول سعدي علي والرئيس الاول سعيد مطر والرئيس فاضل البياتي

١٣ ـ أخيرا استسلمت مضطرا لهيئة التحقيق فاملوا علي افادة لا ساس لها من الصحة ولا علم لي بها لانجو بحياتي من التعذيب وقد ثبت عدم صحتها بالافراج عن عدد من الذين ذكروهم بافادتي بعد التحقيق معهم وهم الآن بمناصبهم السابقة .

١٤ ـ كنت استنجد اثناء تعذيبي بالله فكان جوابهم شتم الاله والقول بان الزعيم سيسحل اذا لم يصدقنا ..

١٥ ـ من جملة ما ردده الرئيس الاول سعيد مطر والرئيس

فاضل البياتي بالحرف الواحد ((٣٠٠ دبابة كلها شيوعية وسندك بغداد في اي وقت نشاء))

١٦ – استمر تعذيبي من الساعة ١٢٠٠ حتى الساعة ٧٠٠ صباحا حيث حملوني الى السيارة لعجزي عن المشي . وقد نقلت الى كتيبة الدبابات وبقيت نحو عشرة ايام متورم الجسم وحرارتي مرتفعة واتقيء كل ما يدخل معدتي وكنت احمل من قبل شخصين الى دورة المياه .

١٧ – ان تعذيبي ذهب مثلا في معتقل الدبابات لكل شخص ذهب بعدي الى التحقيق ((هل تعرف سيد داود ؟)) اذا لم تعترف سنضربك مثلـه)) ..!!

١٨ – ان العذاب النفسي الذي لقيته داخل معتقل الدبابات والله لاشد وطأة من الليلة التي ذهبت فيها للتحقيق .. كل ليلة كان هناك حفلة . وما كانت لتمر ليلة الا ونحن ساهرون فيها حتى الصباح نستعيذ بالله .. فان لم يكن هناك تحقيق فقد كان هناك التحقيق الخـاص في بهو كتيبة الدبابات من قبل ضباط الكتيبة انفسـهم بزعامـة الرئيس فاضل البياتي . اما السب والشتم والاهانة التي كنا نسمعها من جميع ضباط الدبابات فلا حصر لها .

ففي احدى ليالي رمضان المباركة اخذوا الرئيس احمد ابو الجبن الى التحقيق مساء وجيء به صباحا وهو محمولا ببطانية من قبل اربعـة جنود فاقد الوعي . وبعد فترة اخذ يهذي ويصرخ صرخات هسـتيرية استمرت حتى مساء ذلك اليوم ونحن نبكي .. وبقي ما يقرب من شهر عاجز عن السير وكنا نحمله الى الغسيل .. اما العيادة الطبية فقـد كانت ممنوعة . ولكن الحق يقال . فقد كان الطبيب يزورنا بأوقـات متفاوتة والغاية من زيارته هي التشفي من المعتقلين .

وفي احد الايام تصدى الطبيب الرئيس محمد امين عبد القـادر وكشف عن ساقيه فاذا هما قطعة من سواد بسبب الضرب . ولكـن الطبيب سخر منه وتركنا وانصرف .

كانت الحفلات مستمرة وفى كل ليلة كان يزورنا الكثير من الضباط منهم المقدم عدنان الخيال والرئيس الاول سعدي علي والرئيس فاضل البياتي والملازم سالم الفارس والملازم خالد عيسى والملازم قاسم جراد والملازم يوسف شاكر والملازم مثنى الراوي وغيرهم . وكانت رائحة الخمر تشم من بعيد وكانوا يتفكهون بالمعتقلين فيدخلون الغرف وبأيديهم العصي والسياط فيضربون من يعجبهم ويشتمون من يريدون . مع العلم كانت تزورنا وفود من خارج بغداد منها وفد الموصل برئاسة عبد الرحمن القصاب ووفد آخر برئاسة خالد القصاب من الموصل ايضا ووفد المقاومة الشعبية بصحبة « عطشان ضيئول » وكان يصحبهم دائما احد الضباط . وفى احدى هذه الزيارات جاء الملازم خالد عيسى مع وفد آخر من المقاومة الشعبية وطلب منا الوقوف استعدادا لتحية الوفد قائلا « ان هؤلاء المناضلين أشرف منكم » وبما اني من اهالي الموصل فقد كنت اعرف اعضاء الوفد وغالبيتهم من المنحطين ومنهم من كانوا جنودا عندنا . وقدكان الملازم خالد عيسى يقدمنا لهم واحدا واحدا وهو يقول « اي واحد تختارون لهذه الليلة اخبروني عنه ولاحاجة لتقديم وصل به » .. هكذا كأننا بضاعة او اغنام ..

هذا بعض ما شاهدناه .. اما ما سمعناه فهو كثير وكثير جدا .. ونترك لسيادتكم أخيرا قرار الاخذ بحقنا واعتبار التحقيق باطلا من اساسه .

الرئيس الركن
داود سيد خليل

× × ×

. شيء لا يصدق ..

. من كان يظن ذلك ؟.. من كان يعتقد ان ضباطا فى الجيش العراقي .. فى الجيش العربي انزلقوا الى هذا المستوى وقبلوا القيام

بمهام هي من اختصاص السجانين فى قرون مضت .. وهي بعد ذلك من الختصاص ارذل رجال البوليس ..

. ترى .. ماهو هذا المفعول الذي لعب بعقول هؤلاء الضباط الشبان فدفع بهم الى الطين .. الى الوحل .. الى هذا الدرك من القذارة ..

. أهي الشيوعية ؟.. هل صحيح ان هؤلاء الضباط كلهم اعضاء فى الحزب الشيوعي ؟..

. اهو عبد الكريم قاسم ؟.. هل صحيح انهم يندفعون كل هذا الاندفاع .. بهذه القسوة .. بهذه الصلافة .. بهذه اللامبالاة فى النتائج .. لاجل عبد الكريم قاسم .. لاجل استمرار سيطرة هذا الضابط المسلول ..؟.. ايمانا بزعامته .. وايمانا بانه هو الرجل الموعود الذي سيقود العراق الى الجنة الموعودة .. اعتقاداً منهم بانه هو « المهدي » .. المنتظر ..

. انه .. هذا الضابط نصف المجنون .. هو الامل الذي داعب اخيلة العراقيين خلال حكم نوري السعيد ..؟؟

. انه .. هذا الرجل الذي لايجري فى عروقه الدم العربي .. هو فارس الاحلام الذي سيحقق للعروبة امانيها الطويلة العريضة التي عجز العرب طيلة تاريخهم الحديث عن تحقيق اي جزء منها ..؟؟؟

. الحقيقة .. ان بعض هؤلاء الضباط ادعى الى الشفقه . واحوج الى التريث فى الحكم على شيوعيتهم ..

انهم تحت تأثير عوامل كثيرة دفعت بهم الى هذا المنزلق .. راحوا يلعبون على حبال شيوعية لاجل مصلحة خاصة او تحت ضغط دوافع نفسية مختلفة الاسباب ..

او مجرد اندفاع أعمى مع تيار اعتقدوا .. خطأ .. وعن ضحالة فى الثقافة والادراك . أنه يقودهم الى ما يصبون اليه من سعادة ومن رفاه ومن منعة ..

. انهم .. لا لاجل عيون عبد الكريم قاسم .. ولا تحت دافع الايمان بالمبادىء الشيوعية . قبلوا ان يمسخوا انسانيتهم الى صورة حيوان كاسر لايدرك شريعة سوى شريعة الغاب . ولايؤمن بميزان سوى

ميزان القوة .. يقتلون ضحاياهم ارضاء لحفنة من الشيوعيين ..

ارضاء لجماعة معظم افرادها من غير العرب .. من الشعوبيين .. من الاجناس الاخرى التي استضافها هذا البلد العربي وغرفت من ديمقراطية العرب ومثلهم حتى استوت معهم فى ميزان واحد .. ثم تجاوزتهم فى اقرب فرصة .. ولما وقعت الواقعة راحت تذبح وتقتل وتكيل للعرب الموت بالجملة ..

. ان هؤلاء الضباط العميان .. لا لاجل زعيمهم الاوحد .. ولا لاجل حزب العملاء قبلوا القيام بدور التابع .. بدور المنفذ .. بدور الآلة ..

. لقد قاموا بكل هذه الفواجع لاجل انفسهم هم .. لاجل تحقيق مكاسب شخصية ومنافع ليس الا ..

. ان معظم هؤلاء المنزلقين من الضباط كانوا حتى الامس القريب يهتفون مع الهاتفين : نحن جنودك ياسلام ..

. ان الضابط الحر عبدالسلام عارف ينتظر مصيره فى السجن .. بينما استمروا هم فى هتافاتهم التي اصبحت : نحن جنودك .. يا كريم ..

. عملية بسيطة ..

× × ×

هذه المأساة ..!

. قال الرئيس الركن الراحل داود سيد خليل فى تقريره ان الرئيس « احمد ابو الجبن » استدعي الى التحقيق مساء وارجع صباحا وهو محمول على « بطانية » فاقد الوعي .

. حسنا .. ولكن سلوا عن الرئيس ابو الجبن ؟.. سلوا عن هذا الضابط الذي استدعي الى التحقيق مساء وارجع صباحا فاقد الوعي .

. من هو ؟.. ما هو دوره فى تنظيمات الضباط الاحرار ؟.. ما هو نصيبه فى صباح يوم ١٤ تموز ..

. كلمة صغيرة .. صغيرة جدا . نقولها عن ابو الجبن هذا ؟..

. ان احمد ابو الجبن هو احد ضابطين احتلا معسكر الرشيد الواسع المسلح صباح يوم الثورة ..

. هل تريدون اكثر ؟..

. ان الاكثر الذي تريدون معرفته عن هذا الضابط سيكون على لسانه .

. ان تقريره بين ايديكم .. دققوا فيه جيدا . واعرفوا ماذا قال ... « سنمار » ..

. قال :

- صباح يوم ٢٣-٣-١٩٥٩ تم اعتقالي لاسباب مازلت أجهلها حتى كتابة هذه السطور .. وجي بي الى كتيبة الدبابات الثانية وهناك قوبلت من قبل الجنود بالضرب والاهانات والشتائم التي لايمكن ان يتفوه بها ابناء الشوارع على مسمع من ضباط الكتيبة .

ادخلوني الى غرفة الاعتقال بين الضباط المعتقلين الذين وجدتهم يتقلبون من الالم وقلع الاضافر وهم يستجيرون بلا مجيب . وقد بقيت ساهرا مع الضباط المعتقلين ننتظر وصول ضباط كتيبة الدبابات للقيام باعمالهم التعسفية .. ولم تمر الساعة الثانية عشر ليلا حتى جاء ضباط كتيبة الدبابات وجنودهم يحملون الحبال والعصي وهم يضربون الشبابيك والابواب ويصيحون « عاش الزعيم عبد الكريم » .. و « الحزب الشيوعي بالحكم مطلب عظيمي » .. ثم فتحت الابواب ودخلوا علينا ضربا بالعصي والحجارة والحبال ونحن نستغيث الى الله وليس لنا مجيب الا الضرب واللكم ..

فى اليوم التالي جاء عريف « شعبان » ورئيس عرفاء « عمران » من مدرسة الهندسة والتي كنت مساعدا فيها وقال لي عريف شعبان بصوت مرتفع :

« أمرني آمر المدرسة ان اقول لك انك اخزيت مدرسة الهندسة

وان الشيوعية اشرف منك واشرف من عشيرتك .. وان الحزب الشيوعي سيعدمك » .. ثم اخذ يسب ويشتم ويبصق علي وعلى الضباط الموجودين داخل الغرفة ومنهم العقيد المتقاعد الحاج عبدالرزاق محمود والمقدم نهاد فخري والرئيس الركن حميد جليل والرئيس الركن داود سيد خليل والمحامي رمزي العمري .. ثم قال لي على مسمع من الضباط « ان آمر المدرسة سيأتي اليوم ليحرقك ويحرق أهلك » مع العلم كنت ما أزال ضابطا فى الجيش . وما أزال بريئا لم تسند لي أية تهمة . وهكذا كانت تصرفات عريف شعبان بأمر من آمر مدرسة الهندسة خضر عباس البياتي الذي طلب مني الانتماء الى احدى خلايا الحزب الشيوعي والتي يرأسها عامل زجاج اسمه « متي حنا ميخائيل » مسؤول عن تنظيم خلايا الحزب الشيوعي فى معسكر الرشيد . وعند رفض الانتماء استعان بالعرفاء البسطاء لاتهام الضباط بشتى التهم . وفى اليوم الثالث جاءني الملازم « حازم محمد علي » وهو من ضباط مدرسة الهندسة والمسؤول الاول عن تنظيم الخلايا الشيوعية بين ضباط صف وجنود معسكر الهندسة ومعه الملازم « أديب جورج » الذي يعتبر حلقة الاتصال بين خلايا الحزب الشيوعي فى معسكر الهندسة وبين العامل « متي حنا ميخائيل » ووقفوا على شباك المعتقل وراحوا يقولون لي . « حتى الزعيم عبد الكريم يعجز عن تخليصك من مشنقة الحزب الشيوعي » ثم اخذوا يتهجمون علي بأبشع الكلمات واخزى الاقوال أمام الجنود وضباط الصف ثم جاء احد الجنود واسمه « عوده » ووقف أمام الشباك وقال لي أمام الضباط « سيدي .. يقول آمر مدرسة الهندسة اذهبوا وابصقوا بوجه المساعد وهو فى المعتقل » . وقد رفض هذا الجندي الشهم ما أمره به الشيوعي الحديث الذي شق مدرسة الهندسة المقدم خضر عباس البياتي

. وفى الساعة الواحدة بعد منتصف الليل دخل غرفة المعتقل الملازم قاسم جراد والملازم يوسف شاكر والملازم مثنى الراوي من

كتيبة الدبابات وبيدهم الهراوات والعصي واخذوا يضربون بالمعتقلين . وكان الضرب مبرحا ومؤلما الى حد لا يتحمله الجسم البشري . وقد اخذت الدماء تنزف من اجسامنا وانوفنا ووجوهنا وهم يضربون ويهتفون للحزب الشيوعي الذي كاد ان يصبح حاكما فى البلد .

ان هذه الاعمال كانت تستمر يوميا بعد الساعة الواحدة صباحا وكانوا يتفننون فى أنواع التعذيب والضرب والاهانات لا ضمير يردعهم ولا رحمة توقفهم بل كانوا مدفوعين بشكل جنوني انتقامي .

كل هذا والتحقيق لم يجر بعد والانسان لايعرف مصيره . وليس هناك من يعرف تهمته اللهم الا انه قومي عربي يدين بمبادىء محمد ..

. كان التحقيق يجري على ابشع صور التعذيب فى تاريخ الانسان بل واخزى ما يتصوره العقل من الضرب والاهانات التي لا يمكن تصور حدوثها ونحن فى عهد الحرية والديمقراطية وايام ١٤ تموز الخالدة . فقد كان الضابط المطلوب الى التحقيق يتمنى الموت والاعدام قبل الوصول الى هيئة التحقيق .. كيف لا .. والتحقيق يبدأ فى الثانية بعد منتصف الليل وينتهي فى الصباح ليعود الشخص محمولا على الاكتاف والدماء تنزف منه بغزارة وهو يصيح : يارب .. انا بري ..

اعضاء هيئة التحقيق

. كانت هيئة التحقيق التي تولت التحقيق معي مؤلفة من : العقيد هاشم عبد الجبار . العقيد جلال بلطه . الرئيس الاول خليل العلي . الرئيس الاول سعيد مطر . الرئيس الاول شاكر الخطيب . الرئيس الاول الركن محمود سامي . الرئيس فاضل البياتي . الملازم الاول الطيار فريد ناجي. الرئيس الاول الركن موسى ابراهيم . الرئيس الاول عبدالنبي حامد . الرئيس الاول عزيز صندوق . المقدم الركن خضر عباس البياتي . الملازم احمد صبحي . الملازم حازم محمد علي والعريف شعبان نجم والملازم يوسف شاكر والملازم خالد عيسى والحاكم عطشان ضيئول والحاكم داود خماس واثنين من المقاومة الشعبية احدهم

كان يحمل رتبة ملازم ثان وثلاثة من ابناء الموصل يرتدون الكوفيه والعقال كان احدهم يدعى ((القصاب)) .

وكانت على المنضدة الكبيرة ما يقارب من خمسين عصا غليظة و ((فلقه))

- وقد بدأ التحقيق معي فى الساعة العاشرة مساء بالاسلوب الارهابي التالي :

- دخلت غرفة التعذيب وكانت هيئة التحقيق المذكورة مجتمعة

وصاح احدهم ((هاتوه الـ ..)) فتقدم مني بعض الحرس وامسكوني ثم تقدم الرئيس الاول سعيد مطر وسحب رتبتي من كتفي ووضعها تحت قدميه قائلا : يجب ان تعطي هذه الرتبة الى هؤلاء .. واشار الى المقاومين الشعبيين . فقلت له : ان هذه الرتبة منحت لي بأمر جمهوري ولا يمكنك انتزاعها مني الا بانتزاع روحي . فنهض احد المقاومين الشعبيين واخذ يصفعني على وجهي ويقول : انت رئيس؟ .. أنت لا تصلح جندي .. ثم تقدم مني الرئيس الاول شاكر الخطيب واخذ يخلع عني ملابسي بالقوة واخذوا يفتشون فيها فوجدوا مصحف صغير وقلم حبر وورقة ذات خمسة دنانير وصورة لزوجتي واطفالي.

. اخذ سعيد مطر المصحف الصغير ورماه فى الحائط قائلا ((... تحتمي بالقرآن ؟..)) وبدأ الضرب من قبل الجميع وانا اصيح واستغيث ((يارب .. أنا بريء)) ..

كان اشدهم ضربا الرئيس الاول سعيد مطر ومحمود سامي وفريد ناجي واحد المقاومين الشعبيين . حتى أغمي علي وانا لاأعرف تهمتي أو جريمتي . ولما أفقت من الاغماء ادخلوني غرفة التحقيق وقدمت لي الاسئلة التالية

- ماهي اتصالات العقيد رفعت الحاج سري واعداد الفدائيين فى معسكر الرشيد ؟.

- كم مرة ذهبت الى سوريا لجلب الاسلحة ؟

- لماذا تريد نسف جريدة اتحاد الشعب ؟

– لماذا تريد وضع قنبلة فى سيارة العقيد طه الشيخ احمد ..

– ما هي خطة معسكر الهندسة فى احتلال القوة الجوية والدبابات والدفاع ومدارس الشرطة ؟..

. هذه هي الاسئلة الشفهية التي وجهت لي . ولم اسمع بها الا فى التحقيق ثم انهالوا علي ضربا ورفسا عندما اجبتهم باجابات لاترضيهم وبعد كل هذا أجلسوني على الارض وشدوا ارجلي فى «الفلقة» واخذوا يضربون وأنا استغيث بالله وهم يهددونني بالقتل اذا لم اتكلم .. حتى اغمي علي . ولما أفقت من الاغماء وجدت بعض الجنود وقوفا على رأسي وهم يبكون . واقتادني بعد ذلك الرئيس محمود سامي وهو يتهددني ويقول : لماذا تحارب الشيوعية فى معسكر الهندسة؟ ومن الذي قال لك ان الزعيم ليس شيوعيا ؟..»

. ثم عادوا ووضعوا « الفلقة » فى ارجلي واخذوا يضربونني حتى أغمي علي للمرة الثالثة والمقاومة الشعبية تدوس على رأسي وصدري. واخيرا اخذني بعض الجنود وسحلوني على سلم المحكمة بينما كان سعيد مطر ومحمود سامي يواصلون ضربي . ثم أمسك بي ضباط صف من كتيبة الدبابات وبأمر من سعيد مطر اخذوا يضربونني فى الحائط من يدي ورجلي حتى اخذت الدماء تنزف من انفي وكسر ظهري وأنا استنجد واصيح فيرد علي سعيد مطر : انتهى امركم .. حتى الزعيم عاجز عن تخليصكم بعد الآن » ويغمي علي وافيق من الاغماء . ويغمي علي ثانيا فيسكبون الماء على جسمي . وبقيت هكذا بين الاغماء والضرب والتعذيب من الساعة العاشرة مساء حتى الساعة العاشرة صباحا . ثم اخذوني وحملوني فى بطانية وقد كسر ظهري وانفي وانا اصيح فى السيارة وهي تخترق بنا شارع الرشيد : انا بري .. سأموت ..» والناس يركضون خلف السيارة . وقد فقدت عقلي . وفقدت اعصابي. مع العلم باني كنت مريضا فى المستشفي حتى يوم اعتقالي . ولماوصلت

تجمع الجنود حوالي وهم بين باك متألم وبين متفرج يضحك ويرميني بحجر . وجاءني الطبيب الرئيس طارق عواد يقول : .. ها .. تريد العلاج ..؟.. وضربني على وجهي برجله . واخذت اتوسل : دكتور .. باسم الانسانية . باسم العدالة . سأموت .. ارجوك عالجني .. فالتفت الي وبصق فى وجي وقال : باسم الحزب الشيوعي .. لا اعالجك ..

بقي النزيف الدموي مستمرا من انفي ومن جسمي . واخذت اهيم على وجهي فى الغرفة واضرب رأسي بالحائط من شدة الالم .ثم عاد الي الطبيب الانساني طارق عواد صارخا : يجب قتلك لانك قتلت الروح الشيوعية فى معسكر الهندسة .. انني سأحقنك بابرة قاتلة اذا ما طالبت بالعلاج..

. ولما ذهب .. جاءني احد الجنود القائمين بالحراسة وقال : ان آمر المعتقل الرئيس فاضل البياتي قال للطبيب ان لا يعالجني لاني محكوم بالاعدام وان يتركني اتعذب ..

وقال الجندي الشهم انه سيشتري لي ((لصقة)) لظهري واعطاني بعض القطن لاستعماله فى ايقاف النزيف . وقد بقيت ثلاثة ايام اتبول دما ونحو شهرين وانا عاجز عن السير لتكسر عظام الفقرات .

ثم طالبت آمر المعتقل ان يعيد لي موادي الشخصية التي استولي عليها فى هيئة التحقيق مثل المصحف الشريف وقلم الحبر والورقة النقدية وصورة زوجتي واطفالي . ولكنها لم تعد الي حتى الان . وما زالت آثار التعذيب ظاهرة فى ارجلي ووجهي وجسمي وما زلت مكسور فقرات الظهر وغير قادر على تقويم جسمي ...

انني اطالب باسم الانسانية وباسم العدالة وباسم ١٤ تموز الذي كان لي شرف المساهمة به فعلا . اطالب التحقيق معي من قبل هيئة تحقيق عادلة واطلب تعيين التهمة الموجهة ضدي والتي اعتقلت بسببها لاني مازلت اجهل تهمتي وسبب تعذيبي ولاني اجد نفسي وكياني وقلبي

كله حبا واخلاصا للوطن والجمهورية الحبيبة التي خدمتها مع اخواني بل واجد نفسي ذلك المخلص الامين لابناء شعبي .

هذا مايتعلق بي .. أما ما شاهدته بعيني من التعذيب فى معتقل كتيبة الدبابات الثانية فهذا مالا يمكن تفصيله فى هذه الوريقات .

. انني لاأنسى صوت احد المعتقلين وكان طالبا فى كلية التجارة لايتجاوز عمره ٢٠ سنة . وكان يصرخ : انا شريف . عندما دخل عليه الجنود وكان الملازم خالد عيسى يحرضهم على الاعتداء عليه وعلى رجولته ويقول ((غير المتزوج منكم .. يدخل على هذا التلميذ)) .. فهل هذا التصرف ايضا تستلزمه سلامة التحقيق؟..

. واذكر عندما دخل الملازم يوسف شاكر والملازم خالد عيسى والملازم مثنى الراوي من كتيبة الدبابات على الصيدلي الرئيس ((أمين كروكجي)) وكان يقرأ القرآن الكريم واخذوا يضربونه بالعصي وهو يصيح .. الله اكبر .. ثم رفسوا القرآن من بين يديه وهم يقولون ((... تقرأ القرآن .. هنا مسجد ام معتقل)) ..

. ولا أنس تلك الليلة فى الساعة الثانية بعد منتصف الليل عندما جاء الرئيس الاول محمود سامي ومعه ضباط الدبابات وهم سكارى واخذوا يضربون الشبابيك والابواب ويصرخون ((.. انهض)) تسبقها كلمة نابية جدا .. ثم طلبوا من الملازم الاول المتقاعد ((علي زين العابدين)) ان يبول على رؤوس المعتقلين ويقوم بمص شفاه بعض الضباط واضطر الى فعل ذلك خوفا .

. ولا انس ليلة هجوم المقاومة الشعبية علينا وهم ينادون بالحكم للحزب الشيوعي ثم اخذوا يرمون الحجارة والعصي علينا ونحن نختفي خلف الابواب .

. ولا أنس عندما جاء العريف عزيز ونادى على اللواء الركن حسين العمري وطلب منه ان يقف ثم اخذ يلكمه ويقول له ((لواء الحذاء ..انت لواء ؟.. وانا عريف .. هذا كفر)) ..

• كان معنا الملا مجيد والملا احمد وهما رجال دين من كركوك يبلغان نحو التسعين من العمر جاء الرئيس فاضل البياتي والرئيس الاول محمود سامي وامسكوهما من لحيتهما واخذوا بالبصاق عليهما.

• وفى صباح عيد الفطر كان الضباط قد اجتمعوا برآسة الرئيس فاضل البياتي والرئيس الاول سعيد مطر ثم اخذوا يستدعون بعض المعتقلين مثل اللواء حسين العمري والزعيم عبد العزيز العقيلي وعضو محكمة تمييز العراق عبد الرحمن البزاز والمحامي رمزي العمري والزعيم شاكر محمود شكري وجماعات كثيرة من الضباط ثم يطلب الى كل واحد منا ان يؤدي أغنية او رقصة او مقام عراقي • والضباط يتضاحكون ثم يبدأ الضرب بالسياط على كل معتقل لا ينفذ رغبتهم •

الرئيس
احمد ابو الجبن

× × ×

. كفكفوا .. دموعكم قليلا ..

. اننا نعرف الان بالضبط .. ماذا ينتظر الشعب العراقي لو .. خلاص .. انتهى الحكم فى العراق الى الشيوعيين ..

. لو أصبح العراق .. خلاص .. دولة حمراء تقبض فيها الديدان الحمراء على القانون .. وعلى السلطة .. وعلى رقاب الناس. كل الناس .

. كيف كانت عوائلنا تنام الليل .. !.. كيف كانت بيوت المواطنين تنتظر الطارق الرهيب فى منتصف الليل .؟

. كيف يحرق الناس .. فى عراقنا . أعصابهم للصمود امام سيل الوباء الاحمر ..

. ان هذا الضابط الشاب .. احمد ابو الجبن . قال شيئا وافيا جدا . خطيرا جدا .. مفجعا جدا .

. هناك نقاط فى تقريره جدير بنا أن لانمر عليها مرور عبدالكريم

قاسم فى شوارع بغداد يتلفت مذعورا كالارنب .. كالسجان الذي يخاف ويرتجف من سجينه ..

. قال ابو الجبن شيئا مثيرا عن القرآن الكريم الذي ضرب بالحائط ..

. قال ابو الجبن ايضا شيئا مخجلا عن هذا الطبيب طارق عواد الذي يخون مهنته لاجل الديدان الحمراء ..

. قال ابو الجبن بعد ذلك شيئا يثير الاعصاب عن تجمع هؤلاء الضباط حول مستنقع الدم . يشربون منه . ويضجون .. ويفجعون بلدهم واخوانهم وابناء عمومتهم ..

. الواقع .. انهم .. وزعيمهم ايضا .. فجعوا العروبة كلها ..

. كان الرئيس الصيدلي امين كوركجي يرتل القرآن فى زنزانته بمعتقل الدبابات الرهيب .. وجاء كما قلنا فى فصل سابق بعض ضباط الكتيبة .. خالد ويوسف ومثنى .. ضباط صغار لاتدري كيف لحقوا الفساد .. ولاتدري كيف ومتى فسدوا ..

. جاء هؤلاء البهاليل .. دخلوا الزنزانة وصاح احدهم .. هنا معتقل ام مسجد ؟.. ونزلت العصا عنيفة قاسية على راس المسكين الذي كان يحدث ربه ..

نزلت بعد ذلك على ظهره .. ونزلت على كتفيه . وراحت تلهب جسمه كله ..

. اما كتاب الله .. فقد طار الى الجدار برفسة صوبها احد الفرسان ..

. لماذا ..؟..

. لانه يقرأ القرآن .. لانه يرتل آيات الله .. لانه يستنجد بالمنجد الاكبر ان ينقذه . ان ينقذ امته من هذا الجحيم ..

. انني اقدم اليكم الرئيس امين كوركجي .. انه الآن يقضي السنوات الطوال التي حكم المهداوي عليه ان يقضيها فى السجن ..

. ولكن لماذا ؟.. ماذا فعل الرئيس امين ؟.. اي جرم هذا الذي يدفع بشاب متعلم دون الثلاثين الى السجن ؟..

. أما الجواب .. فلانه ضابط من الموصل الصامدة .. لانه من ضباط البطل الشهيد العقيد عبدالوهاب الشواف

. لان جنديا جاهلا . حاقدا .. شهد بان الرئيس امين كوركجي كان يدندن داخل معسكر الموصل بأغنية محمد قنديل .. «وحدة ميغلبها غلاب »

. وحدة ؟. الوحدة التي لايغلبها غالب .. الوحدة التي ينشدها العرب .. كل العرب في ارض العرب ..

. وحدة الامة الواحدة .. الامة التي تنطق بلغة واحدة .. امة الدين الواحد .. أمة المصير الواحد .. امة المصالح المختلطة الواحدة .. امة التاريخ الموحد غير المتجزأ

. وحدة الدم .. وحدة الاحاسيس ..

. ان عبد الكريم قاسم لا يطيق هذا الكلام .. انه لا يحتمل الوحدة .

. ان امثاله من الصغار .. لايحتملون ثقل الامة الكبيرة ..

. امة العرب .. ما أعظمها

× × ×

اطباء .. بلا انسانية

. ان الطبيب طارق عواد .. هذا المحسوب على ضمير الانسانية .. لايرفض معالجة الرئيس ابو الجبن فقط ..

. ان هذا الخارج على شرف مهنته يهدد الضابط المعتقل .. المعذب المكسور فقرات الظهر .. بالقتل .. باعطائه حقنة قاتلة ..

. انه ايضا .. باسم الحزب الشيوعي .. باسم النبل الشيوعي .. باسم شرف حزب البهاليل .. لايعالج ابو الجبن .

. من يدري .. ربما فعلها الطبيب طارق عواد مع معتقلين آخرين باسم حزب الموت .. ربما فعلها مع مرضى خارج المعتقل ..

. ربما قتل ..

. ربما اعطى حقنا تسببت بمضاعفات ..

. اننا نتذكر مأساة اخرى من مآسي الطبيب الشهم طارق عواد .

. نتذكر مأساة الرئيس المظلي عبد المنعم حميد .. السجين الآن بأمر من محكمة المهداوي

. اصيب هذا الضابط برصاصة اثناء ثورة الشواف فى الموصل . وجيء به الى بغداد ليلقى الذل والتعذيب فى معتقل الدبابات .

. بقيت الرصاصة مستقرة فى فخذه . وكان موضعها قد تعفن .

. ولما جاء الطبيب طارق عواد .. لا ليعالجهم . وانما ليسخر منهم او يقتلهم باسم الحزب الشيوعي . لم يدر بخلد الرئيس عبد المنعم ان طبيبا شابا يخون شرفه وينحدر الى مستوى التماسيح .. انذل الحيوانات

. قال عبد المنعم لطارق : دكتور .. ان الرصاصة لم تستخرج ولم يعالج مكانها منذ شهر ..

. قال الطبيب : ارني .. وراح يتحسس موضع الرصاصة .. وفجأة .. يصرخ عبدالمنعم ثم يقفز على قدم واحدة يتلوى من الالم ..

. هل تعرفون ماذا حصل ؟..

. حصل .. ان الطبيب النبيل .. ان الرجل الذي اختار لنفسه مهنة لم يدرك قيمها .. ولم يرتفع الى مستواها النظيف ..

. ان طارق عواد هذا .. تحسس موضع الرصاصة وهو يبيت شرا .. ثم .. وبكل قوته .. بكل حقده . بكل بشاعته .. اعتصر الموضع المتعفن فتدفق الدم والالم معا ..

. ان عبدالمنعم الرئيس المظلي يعيش الآن فى السجن .. لماذا ؟.. لانه عربي .. لانه رفض ان يخدم الديدان الحمراء ..

. لان عبدالمنعم حميد .. اقتنص « كمال عمر نظمي » عضو الادعاء العام يلقن احد الشهود خلال المحاكمة ..

. لانه قال للمهداوي : اذا كنتم تعرفون بثورة الشواف قبل وقوعها .. لماذا اذن لم توقفوا الكارثة ..

. ان عبدالمنعم حميد ٢٨ سنة فقط .. قفز من الطائرة بالبارشوت نحو ٣٠٠ مرة ..

. ليس عدلا .. ان يعيش المهداوي سارق الفحم .. وبائع الاجازات للجنود .. بينما عبد المنعم حميد تعصر شبابه وفتوته وايمانه سجون عبدالكريم قاسم .. هذا ظلم ..

× × ×

الزحف المقدس

. ان هؤلاء الضباط الذين تجمعوا حول مستنقعات الدم يترعون منها بشراهة .. وينفذون رغبات الشيوعيين .. ويفجعون العوائل الآمنة بابنائها .

هؤلاء الضباط كانوا فى خضوعهم الغريب المخجل للشيوعيين اشبه باناس مأخوذين لا ارادة لهم .. وكأنهم ليسوا فى جيش فتي كانوا حتى آلامس القريب هم المعول عليهم .. وهم موضع النظر .. وهم كل أمل الامة المفجوعة بحدودها وبعزلها عن الصف العربي ..

. الادهى .. انهم خضعوا لافراد مخربين حقودين لايجري فى عروقهم الدم العربي .. ولا تشدهم الى هذه الامة الاحاسيس النظيفة التي تشدنا نحن العرب الى بعضنا .. والتي تشكل الاسس الطبيعية لبيتنا الكبير المنتظر ..

. كنت أعجب .. لماذا يخضع ؟ .. وكيف يترك الضابط العربي شعوبيا مثل « عبدالقادر اسماعيل » . الدخيل على البلد .. الغريب .. غير العربي ان يلعب به .. يلعب بعواطفه وبأمانيه وباتجاهاته ..؟؟

. كنت اعجب .. لماذا يترك هؤلاء الضباط شيوعيا هداما مثل « عزيز الحاج قولي » .. لايعرف ما هي العروبة لانه لايتحسس بها .. ولانه لاينتمي الى قوميتها

. يتركونه يلعب بهم .. ويؤثر فيهم .. ويدفعهم الى الهبوط حتى هذا المستوى التافه .. ثم يكون بمقدوره ان يأمرهم بتعذيب

زملائهم الضباط .. والاعتداء على كراماتهم . والقسوة عليهم الى هـذا الحد المفجع ..؟..

. وكنت اتساءل .. الى اي مدى يذهب هؤلاء الضباط فى تفكيرهم؟ .. ماذا يعتقدون ؟.. ماذا يظنون ؟..

. هل اعتقدوا .. خلاص .. ان زعيمهم الاوحد اعدم مجموعة من الضباط العرب الاحرار .. فقتلت عروبة العراق . وانتهى امر هذا البلد كقطر عربي مكانه الطبيعي الى جانب شقيقاته العربيات ؟؟..

. هل اعتقدوا .. خلاص .. ان عروبة جيش العـراق تنتهي .. لان ضابطا او عدة ضباط تناولتهم العصا وقلعت اضافرهم ؟..

. هل اعتقدوا .. ان الاتجاهات القومية فى العراق قد تغـيرت لصالحهم لان جماعة من الضباط والمدنيين العرب نالتهم عصا العقيد هاشم عبد الجبار .. واطبقت على اعناقهم حبـال الرئيس فاضـل البياتي وزمرته فى معتقل الدبابات ؟؟..

. ان العروبة لا تقلع جذورها فى اعماق عربي لان العصا نالته فى ليل مظلم ..

. ان العروبة لا تتحول عن طريقها الطبيعي لان عبد الكريم قاسم يتمنى ذالك .. او يصر عليه او يطلق الكلاب المسعورة تنهش فى اهـل العراق ..

. العراق .. مكانه فى ذلك الصف الطويل الذي ينتهي من ناحية على آخر صخرة فى ساحل المحيط الاطلسي .. وينتهي من ناحية اخرى على آخر حفنة من الرمل على شاطيء الخليج العربي ..

. العراق .. مكانه الطبيعي فى ذلك الصف الطويل الذي بدأ ينتظم زحفه المقدس .. نحو وحدة عربية كبرى .

. الديدان الحمراء .. مكانها ليس هنا

× × ×

الطريق الخطأ ..!

. دعوني اقدم لكم ضابطا جديدا من ضباط ١٤ تموز

. انه الزعيم الركن عبدالعزيز العقيلي قائد الفرقة الاولى ..

وواحد من ضباط الثورة الذين لم يخضعوا لرغبات الديدان الحمراء .. وأحد الضباط الذين حاولوا نسف مخططات الشيوعيين فى العراق ..

. لم يعجبهم ذلك .. ذهب عبد القادر اسماعيل الشيوعي الى عبد الكريم قاسم وقال له : ان العقيلي لا يعجبنا .. انه يعمل ضد المد الثوري ..

. واستدعي العقيلي الى بغداد ..

. قال له عبد الكريم قاسم : عزيز .. اريدك سفيرا فى ايران ..

. وتساءل العقيلي : ومصيري كضابط ؟..

. قال الاوحد :.. ستحال على التقاعد ..

. وانتهت المقابلة .. أدى العقيلي التحية العسكرية وانصرف..

. كان يدرك ان المناقشة لا تجدي ..

. لقد ادرك ذلك هو .. وادركه كل الضباط الاحرار ..

. لقد عملها قاسم .. لقد خان الثورة ..

. ان الثورة يسلمها هذا المجنون الى الديدان الحمراء .. انه يسلم الثورة والعراق .. وعروبة البلد .. ومصير العراقيين . الى هذا الغول الاحمر الذي يأكل ضحاياه بالجملة .. بلا رحمة وبلا وازع من ضمير ..

وصدر مرسوم جمهوري بتعيين الزعيم العقيلي سفيرا فى ايران .. وأعد العقيلي حقائبه وتهيأ للسفر ..

. وكما قلنا فى بداية هذا التحقيق الصحفي وافقت الحكومة الايرانية على هذا الاختيار . واقام له سفير ايران حفلة تكريم حسب الاصول الدبلوماسية

. ولكن أين ؟ اين السفير ؟.. اين العقيلي ؟.. انه لم يصل طهران .. انه لم يستقل الطائرة الى العاصمة الايرانية ..

. ان العقيلي بارح بيته مع حوائجه .. ولكن الطريق تغيرت .. ان طهران تحولت الى معتقل فيه كل انواع الذل .. ان العقيلي يرقد على الارض فى معتقل الدبابات فى معسكر الرشيد ..

. وعلى باب واحدة من زنزانات المعتقل . كان اسم العقيلـي ضمن اسماء نزلاء الزنزانة .. في ورقة الصقت على الباب .

. « الزعيم الركن المتقاعد عبد العزيز العقيلي .. سفير »

. هكذا كتب في الورقة .. بالضبط ..

. ان السفير العقيلي لم يخطىء الطريق الى طهران .. لم يخطئه

. ان عبد الكريم قاسم هو الذي اخطأ .. انه لم يخطىء بالنسبة للعقيلي فقط .. انه اخطأ في تحديد طريق العراق ..

. يا ويله .. من التأريخ ..

× × ×

تقرير

الزعيم الركن ..

عبدالعزيز

العقيلي

! !



. ان السفير العقيلي يكتب تقريره عن ايام المعتقل .. والليالي

٦-٧-١٩٥٩

سجن الموقف

من - الزعيم الركن المتقاعد عبد العزيز العقيلي

الموضوع : تقرير عن وقائع الاعتقال فى كتيبة الدبابات الثانية .

١ - فى منتصف ليلة ٢٥-٢٦ مارت ١٩٥٩ دق جرس التلفون فى داري وخاطبني شخص من الانضباط العسكري وطلب مني ان اهيء نفسي. وبعد نصف ساعة تقريبا حضر الى داري الرئيس الاول عباس عن دائرة الانضباط العسكري واخذني بالسيارة الى مدرسة الهندسة باعتباري محجوزا .

وفى فجر تلك الليلة ايقظوني ونقلوني الى معتقل الدبابات الثانية وهناك ادخلوني فى الغرفة رقم ٤ وبعد نصف ساعة نقلوني الى الغرفة رقم ٢ التي كان فيها كل من طه ياسين وجمال رزو والرئيس صديق علي والملازم طه حمو وفى نفس اليوم جلب الرئيس عادل بشير والرئيس الاول احمد عبد المجيد .

٢ - فور دخولي الغرفة شرع الضباط المعتقلون يقصون علي قصص الضرب والتعذيب والارهاب والاهانات والسباب فى المعتقل اذ كان لكل منهم قصة مؤلمة . وفعلا كانت المعاملة فى معتقل الدبابات قاسية جدا ومنافية لابسط قواعد الاخلاق ومبادىء الانسانية .

. فقد كانت الاهانات والشتائم والضرب داخل الغرف وخارجها امورا اعتيادية . فكان الضباط المسؤولين عن ادارة المعتقل وبعض

المراتب المسؤولين عن الحراسة يوجهون اقسى الاهانات والشتائم للمعتقلين . كما كانت ادارة المعتقل تجلب زوارا من العسكريين والمدنيين لكي يتفرجوا على المعتقلين ويشتمونهم مستعملين أقذر الكلمات . وهذه الاهانات كانت توجه أما بشكل عام لكافة المعتقلين أو ساكني الغرفة الواحدة . او بشكل فردي حيث توجه لشخص معين . فمثلا قامت دورية من الدبابات فى فجر اليوم الاول من عيد الفطر بضرب ابواب الغرف بأرجلهم بقوة وعنف وهم يصيحون « اقعدوا ياقوادين .. اقعدوا يا خونة .. » .. وفى فجر اليوم التالي من عيد الفطر قام بهذه العملية نفسها عريف اعاشة السرية عزيز . وقد استعمل كلمات بذيئة جدا لايقاظنا . وكان من عادة هذا العريف ان يمر يوميا او بفترات قصيرة على الغرف ليوزع الاهانات على من يشاء وليضرب البعض . ومرة ضرب اللواء الركن حسين العمري على جبهته ..

وفى أحد الايام جلب الملازم خالد عيسى بضعة اشخاص من المقاومة الشعبية من الموصل وبينهم شخص اهلي اسمه « عطشان ضيئول » وطاف بهم على الغرف كلها حيث كان يقدم لهم المعتقلين واحدا واحدا وهم يقومون بالسب والشتم كما كانوا يكفرون بالله وبالدين بشكل تقشعر له الابدان ..

٣ ــ كان التحقيق يجري ليلا اما فى بهو كتيبة الدبابات او فى لجنة التحقيق فى بناية المحكمة العسكرية العليا الخاصة . وفى الحالتين قلما يعود الشخص الذي يؤخذ للتحقيق بدون ان يضرب ضربا مبرحا بالايدي وبالعصي وبوسائل اخرى اشد وحشية . ولذلك كان الموت والرعب يسود الغرفة وخاصة ليلا لان كل واحد من المعتقلين كان يخشى ان يكون هو الضحية تلك الليلة . وقد ضرب معظم الضباط والاشخاص المدنيين الذين اعتقلوا فى معتقل الدبابات باستثناء عدد قليل منهم اصابتهم الاهانات العامة والخاصة ..

• ومن الذين ضربوا ضربا شديدا وبقيت آثار الضرب فى اجسامهم

اياما عديدة وكانوا يقيمون فى غرفة واحدة اللواء الركن المتقاعد حسين العمري والدكتور حازم ال بكري والملازم الاول ادريس ابراهيم ومثلهم فى الغرف الاخرى كثيرون منهم الرئيس احمد ابو الجبن والرئيس عبد المنعم حميد والمقدم جميل السعودي والمحامي رمزي العمري والرئيس حميد خليل والرئيس صبحي الطعان وفاضل الشقرا .

٤ ـ لجان التحقيق فى كتيبة الدبابات يقوم بها الرئيس فاضل البياتي آمر المعتقل وضباط آخرون عديدون بعضهم ينتسبون الى الكتيبة وبعضهم يحضرون كزوار . كما كان يحضر معهم اشخاص مدنيون ايضا .

فمثلا استدعيت فى الساعة الواحدة والنصف بعد منتصف ليلة عيد الفطر مع اللواء حسين العمري حيث قادنا الضابط الى بهو الكتيبة وأجلسنا على كراسي فى وسط البهو . وكان البهو مزدحما بالضباط الذين كان يبلغ عددهم عشرين ضابطا اذكر منهم الرئيس فاضل البياتي والمقدم عدنان الخيال والرئيس الاول سعدي علي والرئيس نوري مجيد والملازم مثنى الراوي والرئيس الاول شاكر الخطيب وآخرون لا اذكرهم وكان معهم ايضا شخصان يرتديان ملابس مدنية علمت بعدئذ ان احدهما يدعى ((عطشان ضيئول)) وكان هذا هو الذي يوجه الاسئلة التي كان يشوبها التهكم والتشفي والاهانات . وقد دام استجوابي شفهيا حوالي عشرين دقيقة ثم اعادوني بعدها الى الغرفة . وكانت معظم الاسئلة تدور حول الشيوعية وقد شاهدت صينية مملوءة ((بالزلابية)) موضوعة على منضدة فى احد اركان البهو . وقد علمت بعدئذ ان بضعة اشخاص استدعوا تلك الليلة .

٥ ـ انني شخصيا لم اضرب ولكني اهنت من قبل الملازم خالد عيسى والملازم مثنى الراوي حيث تفوها معي بكلمات بذيئة لايسعني ذكرها .

. ومساء اليوم الثالث من عيد الفطر المبارك جاء الرئيس فاضل

البياتي الى غرفتنا واستفسر عن احتياجاتنا فشكره الرئيس عادل بشير نيابة عنا .

ولكن الجواب لم يعجبه فأمر بخروجنا من الغرفة وارسلني مع اللواء حسين العمري الى غرفة اتعس لغرض اهانتنا وتحقيرنا حيث كانت الغرفة قذرة ويستعملها المعتقلون لغرض غسل ايديهم . وقد ابقانا فيها ليلتين ثم اعادنا الى الغرفة .

٦ ـ وعندما اخذوني للتحقيق لدى لجنة التحقيق الخاصة للمره الاولى قبيل عيد الفطر تفوه الرئيس الاول سعيد مطر بكلمات نابية ضدي . وقد طلب مني ان اقف في غرفة الانتظار على ان ارفع يدي الى فوق مع رفع واحدة من أرجلي . قلت له اني لا استطيع الوقوف هكذا . فقال : اذا لم تفعل ذلك سأضربك بالغدارة . فطلبت منه ان ينفذ وعيده ولكنه أمر الجندي ان يسدد الغدارة نحوي ويراقبني ثم ترك الغرفة وكان فيها ثلاثة اشخاص مدنيين جالسين ولا اعرفهم وقد تركوا الغرفة بعد قليل .. وبقي الحارس

. كما هددني العقيد الركن هاشم عبد الجبار بالضرب وقال لي ((نحن لاتهمنا الرتبة او المنصب . باستطاعتنا ان نضربك ونفعل لك كل شيء))

وكانت عنده عصي مختلفة النوع والحجم موضوعة على المنضدة . ولكنه لم ينفذ وعيده واكتفى بالتهديد فقط .

الزعيم الركن
عبد العزيز العقيلي

× × ×

. بعد كل هذا .. لسنا ندري كيف يكون بمقدور هذا الطاغية المدعو .. عبد الكريم قاسم .. ان يوهم الناس . وان يزف اليهم كل ليلة اكذوبة حقيرة ملفوفة بالكلام الملون ..

. كيف يكون بمقدور هذا الضابط الذي سرق ثورة .. وحطم

امنيات شعب . ان يدعي الجهل بكل هذه الفواجع التي انصبت على رؤوس ضباط كانوا حتى الامس القريب هم الاسس المتينة التي قامت عليها الثورة .. وهم بعد ذلك الوسيلة الحاسمة لتحقيق اهداف الثورة ..

. بأي وجه يكذب الرجل ؟.. بأي لسان ينطق هذا الدعي الذي اشتغل لاجل هذه الثورة منذ عشرين سنة .. كما يقول ..

. عشرون سنة ..!!

. عشرون سنة .. ويكون الحصاد هذا الدم المراق فى ارض العراق ..

. عشرون سنه .. ويكون الحصاد هذه الفوضى المخيفة التي تهز البلد .

. عشرون سنة .. ويكون المحصول هذه الغوغائية التي لاتعرف سوى لغة الاعدام . والقتل .. والسحل بالحبال . ثم تعليق الجثث العارية المشوهة فى اعمدة النور . وعلى اشجار الكالبتوس ..

. عشرون سنة .. وتكون النتيجة هذا الجوع الذي يطوي بطون الفلاحين فى ارضنا الخضراء التي لم تعرف سوى لون السنابل والماء ..

. هذا الانهيار الواسع فى كل شيء .. فى الانتاج . فى العمل . فى التجارة .. فى الزراعة .. فى التعليم ..

. اذن .. لقد عمل مدة عشرين سنة لكي نصل الى هذه المكاسب ؟.. واية مكاسب..؟.

. هل كسبنا الحرية ؟.. هل كسبنا حياة ديمقراطية نظيفة ؟. هل كسبنا ما كانت تفتقر اليه عروبتنا فى ذلك العهد ؟..

. لقد قامت ثورة ١٤ تموز لاجل مثل عربية مائة بالمائة .. وماذا كانت النتيجة ؟..

. كانت النتيجة ان يمر العام الاول .. فيحتفل عبد الكريم قاسم بذكرى الثورة بينما تندب فى كل بيت امرأة .. بينما تلطم الخدود فى كل خدر أخت .. بينما تفتح مقابر بغداد فى الليل لكي تدفن جثث الاحرار سرا ..

. وماذا بعد ..؟

. عام واحد .. واذا بنا .. لانختلف . قطعا . ابدا . عن دولة تعصرها الشيوعية وراء الستار الحديدي ..

لا حرية . ولا كلام . ولا رأي .. بل تأليه للرجل الذي حطم امانينا

. بل تقديس لعبد الكريم قاسم .. بالقوة .. بالعنف . بالارهاب .

. دولة عربية مسلمة .. لاتحتفل بثورتها العربية الا على الصعيد الشيوعي .

. بغداد مليئة بالفرق الشيوعية .. منهاج الراديو . منهاج التلفزيون ..

.. الصحف .. النشرات .. كلها ذات لون واحد .

. كلها ذات اتجاه واحد ..

. كلها ذات كلام واحد ..

. فرق الغناء والموسيقى من دول الستار الحديدي .. والكلام موسكو – بكين .. والمناهج . خروشوف – ماوتسي تونغ ..

. الغناء روماني .. بلغاري .. صيني روسي ..

. ورحنا نبحث عن أنفسنا فى هذا الزحام .. ورحنا نتساءل اين نحن .. ومن نحن ؟.

فى اي موضع نقيم ؟.. ومع اية ريح نسير ؟..

. لماذا يبعدنا هذا المجنون عن كل ماهو عربي ؟.. لماذا نحتفل بثورة تموز فى جو من ثورة .. اكتوبر ..؟

. واين اخوتنا العرب ؟.. اين اصواتهم ؟.. اين هم ؟.. اين العروبة كلها ؟..

. لا شيء .. سوى الصدى

. سوى هذا الكذاب الاوحد .. يزف الينا كل اليل الكذوبة ملفوفة بكلام ملون ..

. ملون .. بالبالونات التي تزف الينا من الدنيا الباردة .. من هناك .. من موسكو ومن بكين ..

× × ×

الذين طعنوا الجيش

. دعونا ننتقل الى تقرير آخر ..

. تقرير .. كتبه رجل يحمل رتبة عبد الكريم قاسم .. رجل اقدم من عبد الكريم قاسم فى خدمة الجيش .. وافضل . وأخلص . واشرف ..

. انه اللواء الركن حسين العمري ..

. عمري .. من الموصل ايضا .. من المدينة التي استباحها هذا الهولاكو المجنون لانها قالت له : لا ..

. لانها قالت كلمتها الفاصلة فى سياسة بغداد ..

. من الموصل الصامدة .. المدينة العربية الرابضة فى شمال العراق . والتي وضعت نفسها فى المكان الطبيعي فأطلق عليها قاسم كلابه المسعورة .. الحاقدة .. تنهش فى لحمها .. وتهتك اعراض اهلها .. وتسحل .

. قال الزعيم العقيلي .. وهو ايضا موصلي وضعت مدينته الباسلة لعبد الكريم قاسم اول علامة فى الطريق ..

. قال .. ان عريفا فى كتيبة الدبابات رفع يده وضرب اللواء العمري على جبهته ..

. ليتصور عبد الكريم قاسم . اذا شاء .. قيما عسكرية تهبط الى هذا المستوى .. الى مستوى العريف الذي يرفع يده ليضرب لواء ..

. لو دقق هذا المجنون فى الحقيقة التي تعيش حوله .. لادرك اي جيش هذا الذي يتلقى فيه لواء ضربة من يد عريف .؟

. وماذا بقي لقادة الجيش اذا كان الضبط فى جيشهم ينحدر الى هذا الحضيض ..؟

. وكيف يمكن لجيش مهما كانت قدرته العسكرية ان يحارب وعريفه لايحترم لوائه .؟..

. ان الطاغية المجنون الذي يتنفس على حساب كتم انفاس العروبة فى العراق .. قطعا .. لم يدرك ذلك .. ولو ادركه لادرك معه ان جيشا تتفتت القيم فيه الى هذا الحد لا يمكن الاعتماد عليه .. ولايمكن الوثوق به كقوة ضاربة ..

. ان عبد الكريم قاسم .. طعن الجيش العراقي فى عدة مواضع

واحاله الى جيش منقسم على نفسه .. لاتدري اين مكان الوحدة فيه .. واين مكان الضبط .. واين موضع الطاعة ..؟

. انه الآن .. عبثا يحاول اصلاح الزجاج المكسور ..

. فى البداية ترك الجيش مسرحا للشيوعيين يتنقلون بين وحداته وينظمون خلاياهم .. ويفسدون الجنود البسطاء ..

. واذا بالشيوعيين .. وبمساعدة الطاغية نفسه .. يسيطرون على الضباط .

. واذا بنشراتهم فى أيدي الجنود وضباط الصف والعرفاء ..

. وكانت كتيبة الدبابات الثانية لوحدها تتلقى كل يوم نحو خمسين نسخة مجانا من جريدة « اتحاد الشعب » الشيوعية توزع على ضباط الصف والعرفاء وغيرهم ..

. اننا لم ننس بعد ذلك الحادث الذي ذهب ضحيته ضابطا كبيرا من ضباط الجيش العراقي فى البصرة وهو المرحوم العقيد جلال اسماعيل آمر المدفعية فى القطعات المرابطة هناك ..

. لم ننس بعد .. ولم تنس البصرة العربية كيف قتله جنوده . وكيف سحل .. وكيف علقت جثته فى مدخل المعسكر

. لماذا ؟ .. ومن السبب ؟..

. ضابط برتبة مقدم اسمه « مطيع » يتسبب فى قتل قائده ويهيء الجو لقتله .. بل يعتقله لاجل ان يقتل ..

. ثم .. هذا الشيوعي الهندي الاصل « حميد بخش » كان هو المسيطر الفعلي على المعسكر .. وهو الذي اطاعه المقدم « مطيع » فقتل قائده ..

. ان هذا الشيوعي الهندي الاصل .. ينظم كل شيء .. ويؤقت المجزرة .. ويأمر بتنفيذها .. وتنفذ فعلا .. ورحمتك يارب ..

. انها الشيوعية .. والتبعية .. ونذالة فى قمة النذالة .

× × ×

تقرير

اللواء الركن ..

حسين

العمري

! !

. اننا الآن نستمع الى تقرير اللواء الذي يضربه .. العريف ..

التقرير :

في ٦-٧-١٩٥٩

تقرير اللواء الركن المتقاعد حسين العمري عن التعذيب

كتب بموجب طلب آمر موقع بغداد

. في الساعة السادسة من صباح يوم ٢٨-٣-١٩٥٩ بينما كنت نائما في داري سمعت جرس الباب يدق . وعند فتحه شاهدت احد ضباط الانضباط برتبة ملازم ثان وضابط صف وجندي . طلب الضابط مني الحضور فورا الى لجنة التحقيق الخاصة في المحكمة العسكرية العليا لاداء الشهادة فرافقته . وحال وصولي الى لجنة التحقيق بادرني العقيد الركن هاشم عبد الجبار بقوله « .. انظر الى هذه الرتب المنزوعة . والى مجموع العصي . سنستعملها كلها ضدك حتى تموت اذا لم تشهد الشهادة التي نريدها . واذا شهدت بما نريد سنعتبرك

شاهدا وتسري عليك المادة ١٨٥ » . ثم دفع الي بمجموعة من القوانين . وبعد قراءة المادة المطلوبة قلت له :

« سل ما تريد .. اجيبك » ..

قال : لماذا ذهبت الى الزعيم ناظم الطبقجلي قائد الفرقـــة ؟.. قلت :

ذهبت مع سامي باشعالم وعبد الرحمن سيد محمود لمواجهـة الزعيم ناظم لعرض قضية انصار السلام وتخوف اهالي الموصل مـن احتمال ما يعكر صفو الامن وضرورة اتخاذ الحيطة ولذهاب آمر موقع الموصل الى بغداد وقوله انه سوف لايعود . وكان ذلك يـوم ١ مارت ١٩٥٩ . اما سبب ذهابي للموصل فهو حضور دفن وعزاء شقيقتي .

اجابني العقيد هاشم : هذا لا نريده .. نريد ان تشهد على الزعيم ناظم بانه يعرف عن المؤامرة .

قلت له : لم يحدث مثل هذا وليس فى امكاني اتهام بريء ..

عندها نهض العقيد هاشم واستلم يد معول وبدأ يضربني وعاونه كل من المقدم عبد الرزاق الزبيدي والرئيس الاول سعيد مطر والرئيس الاول شاكر الخطيب وشخص اهلي اسمه عطشان ضيئول . وكان الاخير يضرب ويقول : هذا ضرب شـيوعي .. وان رئيس مجلس السيادة متآمر معكم وسوف نرسل على هذا النذل ونضربه حتى يموت تحت العصي .. وانه الآن موقوفا » ..

ثم شدوا أرجلي فى « الفلقة » وانهالوا علي ضربا حتى اغمي علي . وخلال الضرب قلت لهم : الخاطر الله .. فقال العقيد هاشم عبدالجبار « ماكو الله » قلت « الخاطر الزعيم » قال « ماكو زعيم .. هنا شـعب وحزب شيوعي يسجن الزعيم اذا خرج على امره » ..

بعد ان افقت نقلوني بالسيارة الى معتقل كتيبة الدبابات فادخلوني احدى الغرف وبقيت مطروحا بين الموت والحياة مدة ٢٤ ســاعة ولم استطع الوقوف على قدمي الا بعد اسبوعين . وكان فى الغرفة كل من المقدم عزيز احمد شهاب والمقدم الركن علي توفيق والمقـدم يوسـف كشمولة والمقدم كامل الدبوني والرئيس محمد أمين عبد القادر ولكنهـم

نالوا قسطهم من التعذيب . وفى خلال هذه المدة كانت توجه ابي الشتائم والاهانات وقام بضربي فى المعتقل عريف الاعاشة عزيز . والنائب العريف فيصل من اللواء التاسع عشر الذي اعتذر فى اليوم التالي وقال: هذا ما أمروني به وليس فى مقدوري مخالفته .. ثم الملازم مثنى الراوي والملازم خالد عيسى والملازم يوسف شاكر والملازم سالم الفارس والرئيس فاضل البياتي .

وقد طلب مني الرئيس فاضل البياتي عدة مرات الادلاء بشهادة ضد الزعيم ناظم الطبقجلي ويظهر ان لجنة التحقيق طلبت منه ذلك .

وفى احدى المرات طلب مني الرئيس فاضل كتابة افادتي ففعلت . وبعد الانتهاء منها مزقها وقدم لي بعض الاسئلة للاجابة عنها فاجبت عنها جميعا ولكنه مزقها ثانيا واتبعها بكلمات بذيئة جدا . ومازلت احتفظ بهذه الافادات الممزقة .

ثم .. بدأ بضربي وتعذيبي وأمر الملازم الراوي بنقلي الى غرفة مفردة لاكمال تعذيبي فيها ليلا وان اكتفي بالبطانيات دون وسادة وأمر بمنع الادوية عني والخاصة بي حيث اشكو التهابا بالمعدة والاثنى عشر وكنت اتناول هذه الادوية يوميا قبل اعتقالي . كل ذلك تسبب فى تدهور صحتي لحد بعيد .

وفى الليل نقلت الى الغرفة المجاورة . وهناك دخل علي عريف الاعاشة عزيز وضربني بيديه ورجليه فتسبب في احمرار عيني لمدة شهر كامل .

حفلات شهر رمضان فى الدبابات « الحفلات البربرية »

كان اهل المعتقلين يرسلون لهم طعاما وفواكه وحلويات . فكانت ادارة المعتقل تحجز مايكفي لضباطهم ومدعويهم منها وترسل القليل الباقي الى المعتقلين . وبعد ان تنسق وتنظم الموائد فى مطعم الضباط والبهو يبدأ السكر والعربدة وترديد نشيد « وطن حر وشعب سعيد » ثم ترفع للمدعوين وللمجتمعين قائمة باسماء المعتقلين فتتضارب الآراء فى انتخاب الضحية التي سيكون التعذيب نصيبها .

واخيرا يقر قرارهم فيرسل عريف الاعاشة عزيز او أحد الضباط لجلب الضحية .

لقد عرفت ذلك ليلة العيد عندما دعيت الى البهو للتعذيب والاهانة . فقد وقع اختيارهم على المحامي رمزي العمري من بعدي ومن جملة ماقالوه اثناء نتيجة الانتخاب ((ان جسمه سمين والضرب فيه يؤنس)) وفعلا جلبوه بعدي .

أما ما فعلوه بي ليلة العيد فهو كما يلي :

ـ استدعوني ومعي الزعيم الركن عبد العزيز العقيلي بعد منتصف الليل في بهو الكتيبة . وكانت رائحة المشروب تسد الانف وكان البهو مليئا بالضباط والمدعوين من ضباط وكتائب الدبابات الاخرى وعطشان ضيئول عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعي كما قال . وشخص آخر لا اعرفه قالوا انه حاكم .

بعد عشرين دقيقة اعيد الزعيم العقيلي وجيء بالعقيد ابراهيم الكيلاني واجلسوه امامي وسط البهو واعطوه عصا وطلبوا منه ضربي فلم يوافق . ثم اجلسوني على الارض وجاء الرئيس فاضل البياتي بكيس ورق اخرجت منه ((الزلابية)) والحلويات وأدخله في رأسي على شكل ((طرطور)) بعد فتح مكان العينين والفم . وبدأ عطشان ضيئول يقدم بعض الاسئلة . وكانت اسئلة بذيئة تتنافى مع الاخلاق ثم اجبروني على الهتاف بحياة الحزب الشيوعي وانشاد النشيد الشيوعي الدولي والهتاف بحياة روسيا الشيوعية وخروشوف .

وبعد حوالي الساعة من خروج الزعيم العقيلي اعادوني الى محلي فطلبت غسل وجهي من بقايا الحلويات قبل دخولي الغرفة فرفضوا ذلك وبقيت على هذه الحال حتى الصباح .

زيارة المقاومة الشعبية

زار المعتقل جماعة من المقاومين الشعبيين من مدينة الموصل يقودهم الملازم خالد عيسى وعطشان ضيئول فوقفوا امام شباك غرفتنا وقال لي الملازم خالد عيسى : قف الى جانب العقيلي .. فوقفت .. وهنا قدمنا لهم بكلمات بذيئة .

• استدعيت الى هيئة التحقيق الخاصة فى الساعة ١٩٠٠ من يوم الاحد المصادف ٣ مايس ودام التحقيق والتعذيب حوالي ١٦ ساعة. عدت فى اليوم التالي منهوك القوى غير قادر على السير من كثرة الضرب . وجسمي مليء بالرضوض .. تفصيل ذلك .. انني عند ذهابي وقبل دخولي الى اللجنة استدعاني الحاكم داود خماس ونصحني ان ادلي بالشهادة المطلوبة فأفهمته انه لايسعني ان اكذب وسـردت له ملخص افادتي فسكت ..

ثم استدعيت الى اللجنة فتكلم الرئيس الاول سعيد مطر بلطف فقال : اننا نريد منك شهادة ضد الزعيم ناظم الطبقجلي ولن يضرك اي شيء ان شهدت ضده . وهيئة التحقيق ستصدر لك كتابا تعتبرك شاهدا بموجب المادة ١٨٥ وسيشهد الحاكم بذلك .. فايده .. وقال: سنطلق سراحك فورا وتذهب لاولادك واقسم على ذلك بالقرآن الكريم الذي كان على المنضدة . وقال : حتى اذا اردت كتابا موقعا من الزعيم نفسه باخراجك من المعتقل سندبر ذلك اذا شهدت ضد الزعيم ناظم لان الزعيم عبد الكريم يرغب فى ادانة الزعيم ناظم .

قلت له : لا استطيع الا ان اشهد بالحقيقة . قال : اكتبها .ووجه بعض الاسئلة أجبت عليها جميعا . وعندما اطلع عليها مزقهـا قائلا : ستعرف الان كيف تكتب كما نريد . ثم انهال علي ضربا واستدعى بعض ضباط الصف ربطوا أرجلي بانبوب حديدي على شكل ((فلقه)) واستدعي المقـدم الركـن عزيز احمـد شـهاب وأمره بضـربي ولما لم يعجبـه ضرب عزيز احمد شهاب اخـذ منه العصا وبدأ يضربني هو وضبـاط الصف حتى اغمي علي ((وكان حاضرا الملازم عادل من كتيبة الدبابات الذي رفض الاشتراك بالضرب)).

بعدان أفقت بدأ يشتمني ويضربني بيديه قائلا:يجب انتشهدعلىالزعيم ناظم وان لم تشهد فسأرسلك الى محكمة الشعب . وأدبر لك شهودا يذهبون برأسك الى المشنقة)) .. ثم قدم لي ورقة لاكتب افادتي مرة ثانية واجبرني على كتابة جملة ولو انها غير مهمة لكنها عارية عن الصحة ((حيث ان المقدم عزيز شهاب عندما قدم لدار قائد الفرقة لم نسـمع

اي كلام)) وذلك تخلصا من آلام الضرب وآلام المرض الذي بدأ في بطني وكأن احشائي تتمزق ..

ثم اخرجت من الغرفة الى الغرفة المجاورة . وماتزال آثار الورم والضرب موجودة في قدمي رغم مرور نحو ثلاثة اشهر .

في اثناء جلوسي في الغرفة المجاورة سمعت صراخا عاليا فقالوا انهم يضربون الحاج عبد الرحمن محمود للادلاء بافادته . وبعد ساعة خرج محمولا لايدري بنفسه وسيق معنا الى معتقل كتيبة الدبابات ولم اقابله بعد ذلك الا عندما نقلنا الى معسكر الهندسة في ١٣ حزيران .

زيارة الرئيس فاضل للمعتقل ..

جاء الرئيس فاضل البياتي وسأل منا : ماذا تريدون ؟. فاجابه الرئيس عادل بشير شاكرا . الا ان البياتي لم يرق له الجواب فأمر بنقلي انا والزعيم عبد العزيز العقيلي الى محل قذر جدا وابقانا فيه ٤٨ ساعة للاهانة والتحقير . والحقيقة انه لا يمكن توضيح التعذيب الذي جرى في هيئة التحقيق الخاصة وكتيبة الدبابات في بضع وريقات لان ذلك يحتاج الى كتب ومجلدات .

لكل من المعتقلين قضية خاصة في التعذيب .. والاشخاص التالية اسماؤهم لهم قضايا مهمة في هذا الباب يرجى الاستفسار منهم

– الرئيس احمد ابو الجبن .. جيء به محمولا ببطانية – مهستر – يصرخ بلا شعور حتى حقن بالمورفين لاسكاته ..

– فاضل الشقرا .. شنق من يديه ورجليه وعذب كثيرا

– الدكتور حازم البكري .. قلعت اضافره وعذب شديدا

– الدكتور هشام الشاوي .. عذب واهين واخذت له تصاوير مزرية .

– الحاج عبد الرحمن محمود .. عذب حتى اغمي عليه ثم اعيد تعذيبه في معتقل الدبابات

– المحامي رمزي العمري .. ضرب حتى ابتلت ملابسه بالدم . يحتفظ بها الآن في داره

– منصور خياط .. ضرب كثيرا . وملابسه يحتفظ بها مع الدماء

ـ الرئيس منعم حميد .. عذب كثيرا واهمل تداويه .

الاطبـاء

لا يمكن اغفال ذكر الاطباء رسل الانسانية والرحمة الموفدين من قبل ادارة الجيش لمعالجة المعتقلين فكانوا يأتون ولا يعالجون ولا يعطون دواء . بل كانوا يهينون المرضى من المعتقلين .

كانوا يقولون لهم : الموت لك يا خائن .. لو اماتوكم بالتعذيب لكان ذلك افضل من بقائكم .

على أثر ذلك لم يراجع احد من المعتقلين اي طبيب . ان هؤلاء الاطباء هم الدكتور « رافد صبحي » والدكتور « طارق عواد » تتبـرأ الانسانية والطب منهم .

اللواء الركن المتقاعد
حسـين العمري

× × ×

. وماذا بعد ..؟..

. ماذا بعد هذه الفواجع التي دبرها عبد الكريم قاسم للعراقيين .. ولضباط جيش العراق ..؟

. ماذا بعد كل هذه المصائب التي نزلت على رؤوس الناس لان رجلا اسمه عبد الكريم قاسم لم تعجبه افكارهم .. ولم تعجبه افكـار الامة العربية كلها ..؟

. انكم ايها العرب .. فى كل ارض العرب .. تسـمعون الان ما يقوله اللواء العمري..

الرئيس احمد ابو الجبن .. جيء به محمولا .. مهستـر .. يصيح بلا شعور حتى حقن بالمورفين لاسكاته ..!!

. فاضل الشقرا .. عليه الرحمه .. شنق من يديه ومن رجليه وعذب كثيرا .

. ثم مـاذا ؟..

. ثم .. اوصلوه الى حافة الموت .. وتمت بعد ذلك فصول الرواية فى محكمة المهداوي

. العالم كله يعرفها .. لقد شنقوا الشقرا ..

. الدكتور حازم البكري .. قلعت اظافره . وعذب شديدا .. اما البقية . فهي أن واحدا من اضلاعه كسر .. وان الطبيب الخارج من صف الانسانية .. طارق عواد .. رفض ان يعالجه . بل حاول ان يحطم له هذا الضلع كله بضربة عنيفة .. نذلة .. ربما كانت باسم الحزب الشيوعي ايضا .

. الدكتور هشام الشاوي .. عذب وأهين واخذت له تصاوير مختلفة .. وهذا صحيح .. صحيح جداً . ان واحدا من هذه التصاوير ضحك بها الحزب الشيوعي على ذقون العراقيين البسطاء .

. لقد نشرت جريدة « صوت الاحرار » الشيوعية صورة للدكتور هشام الشاوي بالملابس العربية . كوفية وعقال .. قالت الجريدة ان الدكتور الشاوي قبض عليه فى الحدود محاولا الهرب وهو متنكر بهذا الزي العربي الى سوريا .

. ان الرجل الشاوي لم يحاول الهرب . ولم يقبض عليه فى الحدود . ولم يلبس الكوفية والعقال .

. انه لم يلبس الزي العربي الا فى معتقل الدبابات .. حشروا جسمه فيها بالقوة .. ثم التقطوا له صورة نشرت فى الجريدة الشيوعية. حلقة من سلسلة اكاذيبهم وضحكم على ذقون البسطاء

. الحاج عبد الرحمن محمود .. عذب حتى اغمي عليه ثم اعيد تعذيبه فى معتقل الدبابات ..

. مسكين الحاج عبد الرحمن .. ذنبه الاول انه موصلي عربي .. ذنبه الثاني انه رفض الادلاء باعترافات كاذبة .. ذنبه الثالث انه مسلم لاتفوته صلاة . ولا يفوته رمضان

. المحامي رمزي العمري .. ثلاث مرات يضطر الى خلع ملابسه الداخلية التي تكون قد التصقت على جسمه وتحولت الى قطعة حمراء اخرجت لتوها من .. مستنقع الدم

. ان رمزي العمري .. اغرق حتى اذنيه فى حمام الدم .. قالوا

له انك تملك ٢٥ قرية . وقال الواقع انه لايملك شبرا واحدا فى ارض العراق ..

عارض سياسة العهد البائد .. لانها انحرفت عن الصف العربي . ورفض الخضوع للسياسة الجديدة . لانها انحرفت ايضا عن الطريق الطبيعي ..

ذنبه الاكبر .. انه موصلي .. لايساير حزب الديدان الحمراء .

. الرئيس عبد المنعم حميد .. عذب كثيرا واهملت معالجته ..

. ان الرئيس المظلي يعيش الان فى سجن بغداد .. المهداوي حكم عليه بالسجن ..

ترى كم سنة يجدر بالمهداوي ان يسجد لربه .. ويعتزل الناس .. ثم يقطع الصحراء حافيا يهتز كرشه الضخم .. ويتصبب جسمه المترهل عرقا .. لكي يصل البيت الحرام ..

وهناك على عتبة بيت الله .. ينتحر

. لم اجد للمهداوي .. غير هذا المصير لكي يستغفر ..

. لم اجد ..

☒ ☒ ☒

. دعوني اقدم لكم تقريرا آخر ..

. الضابط الذي كتب هذا التقرير هو واحد من الضباط الذين رسخت عليهم ثورة ١٤ تموز

. لو ان هذا الضابط لم يقم بمناورته الجريئة المعروفة فى قاعدة « الحبانية » لتأرجحت ثورة العراق .. ولكانت فى كفة القدر ..

. انه المقدم الركن الطيار عارف عبد الرزاق آمر القاعدة الجوية فى الحبانية الذي احتل القاعدة بمائتي جندي واعتقل كافة الضباط والخبراء والجنود الانكليز صباح يوم الثورة ..

. وماذا بعد ذلك ؟..

. بعد ذلك كان الجزاء ان يذل وان يهان فى معتقلات عبد الكريم قاسم عدة اشهر ..

. لماذا ؟.. لانه ليس من فصيلة الديدان الحمراء .. لانه رفض الخضوع للطوفان الاحمر .. لانه ليس من الجراثيم التي تعيش على الدم .. حتى دم الزعيم الاوحد ..

تقرير

مقدم . .

الجو . .

الركن . .

عارف عبدالرزاق

! !



التقرير

معتقل الموقف العام

٦-٧-١٩٥٩

مقدم الجو الركن عارف عبدالرزاق آمر القاعدة الجوية فى الحبانية سابقاً

مشاهداتي حول التعذيب فى المعتقلات

١ - فى الساعة ٤٣٠ فى ليلة ٦-٨ مارت ١٩٥٩ استيقظت على قرع جرس الدار ونزلت لاستطلع عن الطارق فى تلك الساعة المتأخرة من الليل فشاهدت الرئيس الاول الطيار الركن حردان التكريتي وضابطا آخر لا اعرف اسمه ينتسب الى آمرية الانضباط العسكري واخبروني ان هناك امرا لاحتجازي فى معسكر الرشيد .

لبست ملابسي العسكرية واستصحبت معي فراشا وامتعة بحقيبة يدوية وركبت السيارة معهم وكان الرئيس حردان التكريتي هو الذي يقود السيارة التي ذهبت بنا الى مقر آمرية السرب الثالث فى معسكر الرشيد واحتجزنا هناك فى غرفة واحدة .

بعد يومين وفى منتصف ليلة ١٠-١١- مارت جيء بضابط آخر وتعرفت عليه بعدئذ هو الرئيس محمد سليم احمد . وبعد مرور اسبوعين تقريبا اخذ الرئيس الاول محمد سليم الى هيئة التحقيق الخاصة .

٢ - عاد الرئيس الاول محمد سليم فى منتصف النهار وكانت آثار الضرب بادية على يديه اذ ان كلتا يديه مشدودة بضماد فاستفسرت منه عن السبب فلم يجب بل انحسرت عيناه عن دموع . وكانت هذه اولى معلوماتي بالضرب والتعذيب .

اخذنا نستدرجه الى الحديث فوصف لنا تعذيبه وضربه وشاهدنا ظهره فكان ازرقا مائلا للسواد من رقبته حتى مؤخرة ظهره . وقد اقتلع احد اظافره ورضت عظام راحته اليسرى وكسرت ساعته . وكان مرتعبا

الى درجة الخوف من تسجيل عيادة طبية خشية اعادة تعذيبه .

٣ ـ بعد مرور مدة من الزمن جيء بزمرة من جنود القوه الجوية لا اعرف اسماءهم . وباعتراف مدير المعتقل الرئيس الاول وزير حمزه فانهم قد عذبوا فى معتقل آخر ولم تجر بعد اية علاجات لهم .

٤ ـ وفى اواخر شهر رمضان جيء بخمسة تلاميذ من الكلية العسكرية لااعرف اسماءهم وعرفت قصتهم من مدير المعتقل بانهم ضربوا من قبل تلاميذ فى الكلية ولما لم تجر أية اجراءات ضد القائمين بالضرب قدموا استقالتهم من الكلية وعلى اثرها تم اعتقالهم . وقد أخذ احدهم الى هيئة التحقيق بعد عطلة عيد الفطر واعيد مساء فأخبرنا من وراء السياج بانه عذب وضرب كثيرا . وان من جملة الذين قاموا بضربه الرئيس الاول شاكر الخطيب . ولما قلت له ان هذا الضابط من القوة الجوية فما شأنه بتلامذة الكلية أجاب انه لايعلم

٥ ـ لم انل اي سوء معاملة فى السجن العسكري . وبتاريخ ١٦ـ١٧ـ نيسان ١٩٥٩ افقت على فتح باب الغرفة واخبرنا العريف بالاستعداد للانتقال الى محل آخر .. ارتديت ملابسي وهيأت امتعتي . وحوالي الساعة ٢٣٠ من تلك الليلة جاءت سيارتان وكان فيهما الرئيس الاول الركن محمود سامي والملازم قاسم جراد مع بضعة ضباط صف مسلحين بالغدارات وكانوا يكيلون انواع السب والشتم لكافة المعتقلين على مسمع من جنود السجن العسكري . وبعد ان وضعوا جامعات اليد فى ايدينا اصعدونا الى السيارة فاستفسر احد الضابطين عن اسمي ثم اخذ يضربني بالعصا ويردد : اكتبوا وصاياكم .. لاني سأقتلكم صبا الغد . كذلك اعتدي على الرئيس الاول محمد فرج . وكنا ما نزال فى الخدمة ونرتدي البستنا العسكرية برتبنا كاملة ..

٦ ـ وصلنا اخيرا الى معتقل الدبابات حوالي ٣٣٠ . وكان هناك حوالي عشرين ضابطا بانتظارنا وقوبلنا بشراسة من قبلهم ووزعنا على الغرف دون افرشة . ولما دخلت الغرفة الخاصة بي كان هناك خمسة اشخاص هم السيد ابراهيم نفطجي والسيد مظهر التكريتي والسيد محمد الصالحي والسيد منصور خياط والمحامي عبد الكريم محمد

النجم . وعند دخولي الغرفة ادخل المقدم الركن محمد مجيد الى غرفة مجاورة سمعت الضرب وصراخ المقدم الركن محمد مجيد من قبل نحو عشرة ضباط بينهم المقدم عدنان الخيال والرئيس الاول سعدي علي والرئيس الاول الركن محمود سامي والرئيس فاضل البياتي والملازم قاسم جراد وضباط آخرين برتبة ملازم لا اذكرهم ولااستطيع الجزم من الذي ضربه او الذي لم يضربه .

وعندما قفل الباب تعرفت على الموجودين ووجدتهم بملابسهم الكاملة لعدم وجود ملابس داخلية عندهم . وشاهدت المحامي عبد الكريم النجم متورم الوجه ويشكو طرشا فى اذنه اليمنى وكان ظهره مزرقا وبقي على هذا اللون اكثر من اسبوعين

٧ - بقيت فى هذه الغرفة الى قبيل عيد الاضحى . وهنا ادرج مشاهداتي حول التعذيب . اما ما سمعته فلا يتسع له المكان فى الوقت الحاضر .

- كانت الجولات الليلية من الضباط والجنود لا تنقطع فى كل ليلة ولم يكن لها أي وقت معين . تارة فى اول الليل . وتارة فى آخر الليل . وكنا موضع السب والشتم لكل قادم .

- كان السيد منصور خياط يؤخذ من غرفتنا باستمرار وفى كل مرة يعود فيها كان جسمه متورما . وفى ذات ليلة جاء الملازم خالد عيسى واقتاده خارجا واخذ يدق له على صفيحة خالية وأمره ان يرقص للترفيه عن الجنود وبدأ يضربه .

- اخبرت باحالتي على التقاعد يوم ١٩-٤ وجاءني ملازم وطلب رتبتي العسكرية . وقد اقتطعت كتافية سترتي مع الرتبة وشاهدتها بعد ذلك معلقة مع رتب أخرى فى بهو ضباط كتيبة الدبابات الثانية

- يوم ٢٣-٤- ابدل السيد منصور خياط من غرفتنا وجيء بالعقيد الركن جميل الخشالي والرئيس الركن داود سيد خليل والمحامي رمزي العمري . وقد شرح لي المحامي رمزي العمري عن كيفية تعذيبه ليلة عيد الفطر . كما شرح لي الرئيس الركن داود سيد خليل . وبعد مرور مدة جيء بالسيد لطيف حميد وهو مستخدم فى الاذاعة . وكنا لا

يسمح لنا بالخروج من الغرفة الا ثلاث مرات فى اليوم فى كل مرة نحو عشرين دقيقة بينما كان عددنا يزيد على العشرة .

ـ فى احد الايام ذهبت للاغتسال فشاهدت شخصا أقرب الى الاموات منه الى الاحياء يحمله احد زملائه وعرفت بعد ذلك انه المحامي سعيد الاعرجي .

ـ بعد مرور مدة جيء بالسيد ((خالد قادر)) وهو صحفي . وقد اخذ ليلا واعيد الى الغرفة بعد ثلاث ساعات وقد شد ((بالفلقة)) وكانت آثار الحبل والعصي ثابتة فى أرجله ..

ـ اخذ السيد مظهر التكريتي وهو شيخ يزيد عمره على ٥٥ سنة الى ما يسمى بالتحقيق الابتدائي وعاد وهو مضروب على ظهره . وعند ادخاله الغرفة ضربه النائب العريف فيصل المنسوب الى اللواء التاسع عشر برفسات برجله .

ـ جيء بعد مرور مدة بالسيد عبد الرحمن البزاز والسيد عبد المجيد القرهعولي قائمقام قضاء ((تلعفر)) فى الموصل فاصبح عددنا فى الغرفة ١٣ شخصا بينما كانت مساحة الغرفة لا تزيد على ٣×٥ر٣ متر .

ـ شاهدت فى احد الايام المقدم جميل السعودي لا يقوى على السير وقال انه على هذه الحال منذ اسبوع .

ـ فى احدى الجولات النهارية جاءت زمرة من المقاومة الشعبية فى الموصل بقيادة ((عطشان ضيئول)) والملازم خالد عيسى والرئيس مهدي الذي اجهل اسم والده اذ كانوا كلهم مسلحين بالمسدسات والغدارات . وفى احدى الجولات النهارية ايضا زارنا الملازم الاول الطيار غالب ابراهيم بصحبة الملازم سالم الفارس والملازم يوسف شاكر والملازم مثنى الراوي من كتيبة الدبابات وقد ضربوا فاضل الشقرا وعلي زين العابدين فى الغرفة المجاورة لنا وبعدئذ فتحوا الغرفة الثانية وطلبوا عبد الرحمن البزاز واخذوا فى مناقشته ثم سمعت ضرب العصي وصياح السيد البزاز .

ـ استبدل الرئيس الركن داود سيد خليل من غرفتنا بالملازم

مخلف عبد العزيز وفى احدى الليالي اخذه احد الضباط للتحقيق فى بهو الكتيبة وعاد بعد مرور ساعتين مسنودا على اكتاف الجنود والدم يغمر ملابسه وكان منظره محزنا للغاية حتى ان السيد محمد الصالحي اغمي عليه من هول المنظر . وفى الصباح اخذنا نعالجه بدهان خاص استدناه من بعض المعتقلين فى الغرف المجاورة . وكان مزرقا من رقبته حتى اخمص قدميه .

ـ استدعيت للتحقيق بعد مرور ١٠٧ ايام ولم اقابل بأية معاملة سيئة .

ـ هذا ما شاهدته بعيني اما ما سمعته من الذين قابلتهم فهي قصص مريرة وكثيرة .

هناك قصة لكل معتقل زار كتيبة الدبابات .. ان ضباط هذه الكتيبة وضباط الصف ايضا اذلوا كافة المعتقلين بصرف النظر عن ماضيهم وحاضرهم بمجرد وجودهم فى كتيبة الدبابات .

. ان وجودهم فى هذه الكتيبة لا يعني سوى الخيانة فى عرفهم وهم يتذرعون بذلك لتبرير الاعمال الوحشية التي لم يسبق لها مثيل حتى فى القرون الاولى . ومعظم هذه الاعمال كانت لمجرد ان المعتقل يملك سيارة . وكان بعضها للتنديد او للترفيه .

. لقد قال العقيد جلال بلطة للسيد ابراهيم نفطجي مايلي بالحرف الواحد ((.. منذ عشر سنين وانا أحفر لك بئرا)) ..

مقدم الجو الركن المتقاعد
عارف عبد الرزاق

× × ×

. كيف أنتم الآن ؟..

. هل سمعتم هذا القائد الطيار ماذا يقول ؟..

. طلبة من الكلية العسكرية يضربون ويعتدون عليهم من قبل طلبة آخرين .. ومع ذلك لايعاقب الضارب المعتدي بل يعتقل المضروب المعتدى عليه .. ويعذب ويذل ..

. لماذا ؟.. اتدرون لماذا ؟..

. لان المضروب ليس شيوعيا نذلا .. لان المعتدى عليه يمثل العقدة التي تتكور فى كيان مجنون بغداد الاوحد ..

. عقدة العروبة التي يرتجف من خيالها ..

. ومع ذلك .. يدعي الجنرال الذي يقتل العروبة كل يوم انه زعيم أمة ...!!

. أية امة ..؟..

. أهي الامة التي قسمتها على نفسها يارجل ؟.. اهي الامة التي أذللت اكثريتها العربية . ورحت تغمد خنجرك كل يوم فى صدر واحد من ابنائها ..؟.

. تصوروا شعب العراق وهو يعيش اليوم سعيدا هانئا تحت ظل عبد الكريم قاسم ..!!

. تصوروه جيدا .. واليكم صورة من « جواز سفر » داخلي يجب ان يحصل عليه كل عراقي لكي يكون بمقدوره السفر بضع كيلو مترات من مدينة عراقية الى مدينة عراقية اخرى .

« لجنة مراقبة المسافرين فى الموصل
لا مانع لدينا من سفر محمد بن عبدالله الى بغداد
فى قطار بتاريخ لسفرة واحدة فقط
التواقيع ــ متصرف الموصل ــ مدير شرطة الموصل ــ
مدير أمن الموصل ــ آمر موقع الموصل »

تابوت .. بلا غطاء

. هكذا يعيش شعب عبد الكريم قاسم .. هكذا يعيش الشعب المنكود الطالع الذي نكب ليس بعروبته فقط . بل بأبسط حرياته . واصغر ما يمكن ان يمنح لشعب من شعوب الدنيا الواسعة ..

. اذا نام .. نام بأمر من الحاكم العسكري .. واذا سافر .. سافر بحدود معينة وقيود موضوعة .. واذا قال شيئا يجب ان يدور حول الاوحد الذي لا أوحد سواه فى سماء الوادي .

. ضباط عرب .. يذلون ويهانون وكأنهم اسرى من تل ابيب .. يعذبون ويضربون وكأنهم ليسوا رجالا فى جيش الدولة ..

. لماذا ؟..

. لان عبد الكريم قاسم يريد البقاء متسلطا على رقاب الناس .. لان المجنون الطاغية يجب ان يقضي على الضباط العرب المؤمنين بعروبة العراق وعروبة جيش العراق وبالوطن العربي الكبير ..

. ان عبد الكريم قاسم لا يمكن ان ينطلي على الناس .. انه الان بلا غطاء كالتابوت المكشوف تماما ..

. ان سياسة « ماكان على ما كان » .. يريدها هذا الرجل ان تبقى فى العراق كما هي .. كما كانت .. بلا تغيير وبلا انحراف ..

. العراق كما هو .. كما كان .. كما عاش .. ولتبقى بعد ذلك البلاد العربية كلها كما هي .. كما كانت .. كما عاشت سابقا ..

. ونتساءل .. ويتساءل معنا كل احرار العرب .. اذن لماذا ثرنا؟.. اذن لماذا قامت الثورة ؟.. اذن لماذا كان اهل العراق يشحنون انفسهم ويجهزون حالهم ليوم كيوم ١٤ تموز؟..

. اذن .. لماذا كنا نعتقد . ونؤمن . وندرك جيدا ان اسرائيل وهو يدمر كل شر امامه .. نتحسر لو اخذنا مكاننا فى صفوفه . ونموت من الحسرة ؟.

. لماذا كنا نتمزق الما وغيضا .. لاننا الامة الواحدة تفصلها الحدود وتمزقها الخنادق التي اقامها الاستعمار بيننا .. وتفرق بين ابنائها وريقات تافهة .. مخجلة .. اسمها : جوازات سفر ..

. اذن .. لماذا كنا نعتقد . ونؤمن . وندرك جيدا ان اسرائيل .. الخنجر النابت فى خاصرتنا .. ستبقى . وستعيش . وستتوسع اذا بقيت هذه الحدود كما هي . كما كانت . كما ارادها ان تكون .. ان تفصل بين قوانا وبين امانينا وبين ما نصبوا اليه من عز وسؤدد ؟

. كنا ندرك .. ان اسرائيل استطاعت ان تجد لها مكانا فى رأس الشاطيء الفلسطيني لاننا كنا نتطاحن . ولاننا كنا نتقاذف السباب . ولاننا كنا نبيع مصالحنا للعالم بثمن تافه .. ولاننا كنا ننشر غسيلنا على الدنيا بلا خجل ..

. وبالتالي لاننا كنا بلا تنظيم . بلا هدف واضح . بلا ثقة

برؤسائنا .. تنقصنا التضحية . ونفتقر الى القدرة على تحقيق ما نريد .

. اذن .. لماذا كانت الثورة ؟.. لاي هدف جاءت الثورة ؟.

ماذا كان يدور فى اذهان الثوار عندما قرروا اجتياز هذا الجسر الخطر ؟.؟.

. قطعا .. الذي كان يدور فى اذهانهم هو ما كان يدور فى اذهان العرب كل العرب ..

. وحدة .. نعم وحدة ..

. بلا وحدة .. نحن من ؟.. من هي الامة العربية ؟..

. بلا وحدة .. ماذا تعني القومية العربية ؟.. هل تعني ان يبقى العرب فى ديارهم تحدهم الحدود وتفصل بينهم السدود ؟.

. هل تعني ان لايعيش العرب كأمة واحدة فى بلاد واحدة ؟..

. هل تعني ان يلعب الاستعمار . اي استعمار .. بهم وبعواطفهم وبمصالحهم . وبثرواتهم وباراضيهم وبمياههم ؟.

. ماذا تعني القومية العربية ..؟..

. انها بالتأكيد .. لاتعني سوى انصهار العرب فى قالب واحد. مشدود .. قوي .. رهيب . يخيف الطامع . ويبعد عن ارضنا كيد الكائدين .

ويقينا بلاء العالم القوي المتكالب على الضعيف . ثم يحقق لنا امانينا كأمة ذات ماض . وذات تاريخ . وذات حاضر يؤهلها لمستقبل مشرق وضاء ..

. ان القومية العربية . بوجودها . بمعانيها .. بأسباب بقائها لاتعني غير هذا المفهوم الواضح . ولاتعني سوى ما تقوله هذه السطور العريضة لمفهوم الامة الواحدة ذات المصالح الواحدة ..

ذات اللسان الواحد ..

ذات الدين الواحد ..

ذات التأريخ الواحد ..

ذات .. الحس والشعور . والهدف والمصير الواحد ..

. ترى .. اين تكمن هذه القوى التي يكون بمقدورها .. بعدكل ذلك سحل هذه المفاهيم وتعليقها عارية .. مشوهة فى اعمدة النور .. او فوق اشجار الكالبتوس ؟..

. اين ؟..

× × ×

. سيكون من المتعذر علي ان انقل لابناء عمومتنا العرب فى كل بلاد العرب الواسعة الممتدة الصامدة .. كافة التقارير . وكل شهادات الموت التي امامي . والتي يتحدث فيها الضباط العرب فى جيش العرب ببغداد . عن الايام والليالي العنيفة التي شهدوها فى معتقلات عبد الكريم قاسم ..

. ماذا انقل لكم منها ؟.. وماذا اختار لكم من مآسيها ؟.. واي جانب من فواجعها اصوره لكم هنا ؟.. وكلها يعيش فيها الموت .. والدم وسلخ الجلود . والشنق المؤقت والدائم .. والضرب بالعصي وبالهراوات .. وكل ما تفتقت عنه اذهان جلاوزة عبد الكريم قاسم . من الضباط الحقودين التافهين الذي سخموا وجه الجيش .. وعكسوا اسوا امثولة للضابط العراقي ..

. هل انقل لكم حادث العقيد الركن عبد الكريم فرحان آمر اللواء المدرع الذي نقله ضباطه وجنوده الى زنزانة الاعتقال فى معسكر الدبابات والذي كان حتى دقائق آمره وقائده ..؟

ان ضابطا طيارا هو الرئيس « نعمة عبد الله الداليمي » قائد السرب السادس ينقل اليكم فى تقريره صورة من العقوق ومن الجبن تتمثل فى حادث العقيد عبد الكريم فرحان ..

× × ×

. قال الضابط الطيار :

ـ فتح علينا باب الغرفة الملازم سالم الفارس وطلب من العقيد الركن عبد الكريم فرحان ان يخرج لانه مطلوب للتحقيق على ان لا يرتدي ملابسه الكاملة . ولكن العقيد ما ان ترك الغرفة واصبح فى الخارج حتى انهالت عليه اللكمات والضربات فوقع على الارض ثم نهض وعاد الى الغرفة مترنحا .. وقد سمعت على اثر ذلك ضحكات ساخرة صدرت من الخارج وشهدت العقيد عبد الكريم فرحان وقد اصيب بضربة فى عينه بينما راح يئن من الالم .. واخبرني فيما بعد بانه استطاع تشخيص الضباط الذين اعتدوا عليه منهم الرئيس الاول محمود سامي والملازم مثنى الراوي والملازم سالم الفارس » ..

• انتهى كلام الرئيس الطيار ..

• والمثير في الحادث .. ان هؤلاء الضباط الذين اعتدوا على العقيد فرحان لمجرد الاعتداء والايذاء والتسلية . كانوا حتى وقت قريب ضباطا تحت قيادة هذا الضابط يؤدون له التحية العسكرية وينفذون اوامره ..!!

• واذا كان هناك من يسئل عن حال جيش العراق فهو هذا المجنون الذي يسمى بالزعيم الاوحد ..

• فهو هذا الذي خدم الطامعين بتفتيت القوة المعول عليها في ردهم وايقافهم ..

• فهو هذا الذي هيأ .. من حيث يدري اولا يدري .. أثمن خدمة لاسرائيل ..

• هذا الذي سرق ثورة .. وحطم امنيات شعب ..

• عبد الكريم قاسم ..

• انني انقل لكم هنا بعض تقارير الضباط المعذبين في بغداد بأمر من قاسم . لكي تتبينوا جيدا . وبشكل اوسع .. الى أي مدى انحدرت القيم في عهد قاسم ..

<u>ـ العقيد الركن منير فهمي الجراح آمر لواء المشاة الثالث</u>

قال :

ـ استدعيت من المعتقل الى مقر مدرسة العجلات المدرعة بحجة التحقيق . واذا بي اجد نفسي امام مهزلة لم تكن تخطر ببالي ..

• كانت الغرفة مكتضة بعدد كبير من الضباط منهم الرئيس الاول « خزعل علي السعدي » الذي كان يريد هذه الجريمة . والرئيس الاول محمد عبد الغفور والرئيس باقر كشوان والمقدم الركن غضبان مردان السعد بملابس مدنية وعدد من الملازمين الذين ينتسبون الى مدرسة العجلات وكتيبة دبابات المثنى . وعدد من ضباط الصف والجنود فضلا عن حوالي ٥٠ ضابط صف وجندي كانوا يتجمهرون امام باب الغرفة . وكان في الغرفة عدد كبير من العصي المختلفة الانواع والاشكال و «الفلقة» .

باختصار .. كان كل مافى الغرفة يوحي بالارهاب . وان هذه الزمرة قد اعدت نفسها لمعركة من المعارك .

دخلت الغرفة وهي بهذا الشكل وأمرت بالجلوس ولم اكد حتى شعرت بنتله قوية فى كتفي قلعت الكتافيات ومزقت القمصان ثم انهال علي احدهم من الخلف بسيل من الصفعات القوية شعرت اثنائها بما يشبه الدوار . وقد تم كل هذا قبل أن توجه الي اية تهمة .. او اي سؤال . وبعد ان اوقف سيل هذه الصفعات بايعاز من الرئيس الاول خزعل علي السعدي اخذ المومى اليه وبقية الضباط يتهجمون علي بالكلمات البذيئة .. خائن ومتآمر مع سيل من الافتراءات والاكاذيب فشعرت ان الامر ليس امر تحقيق بل هو تعذيب واهانة وتحقير .

انتهت بهذا الصفحة الاولى من المهزلة فاحتجزت فى غرفة داخل غرفة التحقيق مخصصة للمراحيض والغسيل . وبعد نصف ساعة اخرجت ثانية امام هذه الهيئة وحالما وقفت امام الرئيس خزعل السعدي بادرني بكلمة بذيئة فطلبت منه الكف عن هذا وان يجري التحقيق بصورة اصولية ولكنه استشاط غضبا وازداد ضربا حتى كسرت عصاه. ثم اشار لمن معه فى الغرفة من ضباط اشارة جعلتهم يرتمون علي مرة واحدة ويلقونني ارضا ثم خلع احدهم حذائي ومسكني بوضع ((الفلقة)) ثم انهالت عصيهم علي مدة لا استطيع تقديرها .

. أمر الرئيس الاول خزعل على اثرها بالتوقف عن الضرب وعاد الى استعمال الالفاظ البذيئة واوضح لي بصريح العبارة وبالتلميح ان نقمتهم انما تنصب علي لا لجرم اوتيته ولا لاي أمر آخر . بل لعدم رضا فئة معينة فى ((اربيل)) عني لرفضي السير فى ركابها . وهي جماعة الشيوعيين هناك)) ... أمرت بعدها بالخروج ولم توجه الي تهمة صريحة ولم يطلب الي كتابة كلمة واحدة ..!!

وحوالي الساعة ٢٠٠٠ من اليوم التالي اي يوم ٢٨-٣ اخذت الى مقر هيئة التحقيق الخاصة وامرت بالانتظار فى غرفة مجاورة . على ان اقف ووجهي الى الحائط وقد استمر وقوفي بهذا الشكل المهين نحو

الست ساعات واجهت خلالها مسرحية اخرى من مسرحيات التحقيق .

بعد حوالي الساعتين من وقوفي في الغرفة المذكورة دخل علي الرئيس فاضل البياتي الذي لم يكن يعرفني ولا انا اعرفه مطلقا . ومعه عريف أظن اسمه عزيز وضابط برتبة ملازم من الدبابات وجندي حامل غدارة ((السترلنك)) . وبعد ان سأل الجنود عني واسمعني بعض الكلمات البذيئة انهال علي صفعا بشدة عظيمة على وجهي وفمي فتفجر الدم من شفتي العليا ثم بصق على وجهي وقال بالحرف الواحد ((نحن الشيوعيون سنفعل بكم .. كذا .. وباعراضكم)) .. ولم يكتف بهذا بل أمر العريف المرافق له بضربي فانهال علي بعصاه . ثم أحضر غدارة وامره بان يصوب سلاحه نحوي ويحرك ((الترباس)) ارهابا لي . ولما لم ألن الى تهديده غادر الغرفة مع زمرته وهو يتوعدني بأشد من هذا عندما انقل الى معتقله)) ..

ـ بأمر من المهداوي .. يقضي الان العقيد منير فهمي الجراح الايام والليالي بين جدران السجن ..!! ينتظر يوم النصر .. ليشارك اخوانه الاحرار في فرحتهم الكبرى .

× × ×

الرئيس الاول الطيار حردان التكريتي قائد السرب الثالث

قال :

ـ بعد وصولي معتقل الدبابات بثلاثة ليال طلبت في احدى الليالي في الساعة الحادية عشرة للمثول امام هيئة التحقيق وكان معي الملازم تحسين عبد الحليم . وفي هيئة التحقيق وجدت هناك العقيد جلال بلطه والمقدم عبد الرزاق الزبيدي والرئيس الاول سعيد مطر والرئيس الاول الركن محمود سامي والرئيس الاول عبد النبي حامد والرئيس الاول شاكر الخطيب وعدد آخر من الضباط لا اعرف اسماءهم منهم الملازم خالد عيسى من كتيبة الدبابات وبعض المدنيين اذكر منهم الحاكم « داود خماس » و « عطشان ضيئول » . وقد طلب مني ان اكتب افادتي واجيب على عدد من الاسئلة .

خرجت لاحدى الغرف لاكتب الاجوبة ثم ادخل الملازم الاول تحسين عبد الحليم حيث بدأت أسمع صرخاته وتأوهاته من شدة الضرب ثم اخرج اليمروا به علي وليخبروني بان حالي ستكون مثل حاله . وكانت رتبة الملازم تحسين قد خلعت من كتفه ومزقت ملابسه وكان عاجزا عن السير .

بعد ذلك طلبت لادخل على هيئة التحقيق حيث قرأت افادتي ومزقت لانها لم تعجبهم . ثم طلبوا مني ان تكون الاجوبة بالشكل الذي يريدون فأمتنعت ان اذكر كذبا ..

هددني الرئيس الاول سعيد مطر والرئيس الركن محمود سامي بأن رتبتي ستؤخذ مني ان لم اذكر ما يريدون ولو انه غير صحيح فلم ابدل موقفي واخبرتهم ان ما ذكرته فى افادتي هو الصحيح وهو ما اعرفه . هنا تقدم الرئيس الاول محمود سامي وقطع رتبتي من كتفي وفك الملازم خالد عيسى جناح الطيران من صدري ثم انهالوا علي بالضرب على راسي وظهري ويداي ورجلي .

لقد بدأوا بضربي من الساعة الواحدة صباحا حتى الساعة السادسة وكلما تعبوا تركوني برهة كنت اسمع خلالها انواع الشتائم . وكانوا يرشون الماء على وجهي عندما يغمي علي لكي افيق فيعاودون الضرب من جديد . وكلما ورمت قدامي حملوني على الاكتاف وساروا بي فى انحاء الغرفة لينزل الدم فى رجلي لكي اتحمل ضربا جديدا .

وكان العقيد جلال بلطه يقول لي خلال ذلك : لماذا لا تصبح شيوعيا مثلنا ؟.. بينما يسمعونني مختلف الكلام البذيء .

وعندما قلت لهم انني من الضباط الذين شاركوا فى ثورة ١٤ تموز جاء الجواب من قبل اكثرهم وعلى لسان واحد :

— ان الزعيم عبد الكريم قاسم يدعي انه من ١٤ تموز ايضا .

مع موجة من الضحك ..!!

وفى الساعة السادسة دونت افادتي من قبل العقيد جلال بلطه وانا نصف غائب عن الوعي ثم أرجعوني الى المعتقل ..

× × ×

الرئيس الطيار نعمة عبدالله الدليمي قائد السرب السادس

قال :

– اني الرئيس الطيار نعمة عبدالله الدليمي آمر السرب السادس اعتقلت بناء على طلب هيئة التحقيق الخاصة يوم ٢٣–٣–٩٥٩ . رافقني الملازم الاول الطيار اكرم حسن الدجيلي حتى مكان هيئـة التحقيق فى بناية المحكمة العسكرية العليا حيث تركني هناك مدة ثلاث ساعات جاءني بعدها الرئيس الاول سعيد مطر وسألني ما اذا كنت انا الرئيس نعمة الدليمي فأجبت بالايجاب .

قال : ما هي معلوماتك عن مؤامرة الشواف ؟.. اجبته بعدم علمي بها الا من الاذاعة .. فقال متوعدا انه بعد ضربي مائة عصا سيخرج مني مائة مؤامرة ..

اعتقدت آنذاك انه يمزح لاني لم اصدق وانا فى العهد الجمهوري وآمر وحدة جوية وضابط فى الجيش اضرب بالعصا مـن قبـل هيئـة رسمية .

بعد ساعتين تعرضت خلالهما الى جميع انواع التهديد والوعيـد من قبل الملازم سهيل المنسوب الى السـرب الخامس .. استدعيت للتحقيق وقبل ان اسئل عرضوا علي ادوات التعذيب وطلبـوا مني ان اتكلم بكل ما اعرفه فوعدتهم بذلك واخبرتهم بعدم وجود حاجة لعرض ادوات التعذيب لاني لست خائنا ولا متآمرا . فسألوني عدة اسئلة اجبت عليها شفهيا ..

والظاهر انهم لم يرضوا عن اجاباتي وكانوا يريدون منـي الادلاء بأشياء لااعرفها ولم اسمعها فامتنعت عن ذلك . وهنا اشار اليهم العقيد هاشم عبد الجبار برفع رتبتي وتعذيبي ..

كانت هيئة التحقيق مؤلفة من الضباط التالية اسماءهم فضلا عن الهيئة الرسمية – الرئيس الاول عبد النبي والملازم الطيار سهيل ابراهيم والرئيس الاول شـاكر الخطيب والرئيس الاول موسى ابراهيم والملازم الاول الطيار منعم الشنون والمقدم عدنان الخيال .

بدأ بتعذيبي وانا ما ازال برتبتي العسكرية من قبل الملازم الطيار سهيل ابراهيم وذلك بضربي بالعصا على ظهري بعد تجريدي من رتبتي

العسكرية وقد تعاون على ذلك الرئيس الاول شاكر الخطيب والرئيس الاول سعيد مطر بالاضافة الى الملازم سهيل واستمر الضرب بالعصي على ظهري واكتافي حتى امرهم العقيد هاشم عبد الجبار باستعمال « الفلقه » معي

وفعلا شدوا ارجلي ورفعوها وضربوني على القدمين حتى فقدت وعيي ..

انتبهت بعدها وانا مبلل بالماء وامامي قدح ماء طلب مني الرئيس الاول سعيد مطر ان اشربه . فلما شربته طلبوا مني عندئذ كتابة افادتي فأجبتهم باني غير قادر ولكني سأكتب ما قلته لهم شفهيا . وهنا قال الرئيس الاول سعيد مطر : سنأتي لك بخازوق .. فلم اجبه ولكنه جاءني فعلا بقطعة خشبية مدببة وقال : اخلعوا عنه ملابسه .. فلما وجدتهم غير هازلين تمنيت الموت ولا هذا التشنيع . ثم اخبرتهم باني سأكتب ما يريدون فطلبوا الي ان اكتب ماقلته شفهيا ثم اضافوا اليه ما اضافوا وقالوا عليك ان تكتب كل هذا والا اعدنا معك الكرة .

ـ وقال الرئيس الطيار نعمة الدليمي بعد ذلك : كان معنا فى غرفة المعتقل ضابط برتبة ملازم ثان احتياط . وكان المسكين يقاسي آلاما جسيمة من جرح فى صدره على اثر اصابته فى صلية من رشاش اثناء مروره بسيارة عسكرية فى شوارع الموصل . وفى احد الايام كان نائما مصفر الوجه وقد اجمعنا كلنا على ان نهايته قد قربت وفى ذلك اليوم جاء ضابط الخفر الملازم « قاسم محمد جراد » وبعد ان تحدث معنا بلغته الفظة استدار نحو الجثة الهامدة وضربها بعصاه بكل ما اوتي من قوة . فلم تتحرك الجثة سوى صوت خافت يقول : لماذا تضربني اخي ؟. انا بريء .. ولكن الضابط قاسم جراد انهال عليه بالشتم والسباب واللعنات .

ـ اما بخصوص التعذيب فى هيئة التحقيق فاني شاهدت آثاره العميقة على بعض زملائنا فى غرفة الاعتقال وهم العقيد يونس زين العابدين والعقيد نوري الراوي والرئيس الطيار منعم اسماعيل والملازم الاول الطيار منذر الونداوي والملازم علاء الدين كاظم الجنابي .

العقيد ياسين محمد السامرائي

قال :

احضرني ضابط من دائرة الانضباط العسكري ليلة ٢٦- ٢٧-٣-١٩٥٩ الى هيئة التحقيق الخاصة فى المحكمة العسكرية العليا . وحال وصولي شاهدت العقيد الركن سعيد الشيخ والعقيد ابراهيم الكيلاني والمقدم الركن يونس عطار باشي وقد بدت عليهم آثار الضرب حيث نزعت رتبهم العسكرية من اكتافهم . كما حضر معي المقدم ذياب العلكاوي والمقدم اسماعيل الملاح وحال وصولي ولفترة قصيرة استدعيت للدخول على الهيئة التحقيقية وبادرني رئيس الهيئة العقيد الركن هاشم عبد الجبار بكلمات تهكمية متطاولا على شرفي .

قال : انك خائن .. قلت : اني مخلص وقد نذرت نفسي لجمهوريتي فأجابني : اخرس .. نذل .. واخذ يشتمني ويوجه لي كلمات بذيئة وسباب لا يليق بالانسان المهذب الفاضل معرضا بعشيرتي وبلدتي وعرضي . وكان يشاركه فى ذلك العقيد « جلال يلطه » الذي بادرني بعد ان طلب مني الجلوس بخلع رتبتي العسكرية من على كتفي من جهة وضباط اخر من جهة اخرى منهم الرئيس الاول سعدي علي والملازم قاسم جراد وغيرهما من ضباط لااعرفهم فانهالوا علي ضربا بالعصي والخيزران وكان ذلك على مرأى ومسمع من المدعي العام العسكري العقيد ماجد محمد امين والعقيد سلمان الحصان والمقدم عبد الرزاق الزبيدي والرئيس الاول سعيد مطر والمحققين المدنيين وغيرهم من الضباط . وبعد ذلك ارسلت الى كتيبة الدبابات الثانية موقوفا يصحبني المقدم جميل السعودي والمقدم ذياب العلكاوي والمقدم اسماعيل الملاح وآخرون من الضباط جرى اعتقالهم معي فى نفس الليلة وبنفس الاسلوب .

وبعد وصولنا الى معسكر الدبابات كان هناك مجموعة كبيرة من الضباط ومن ضباط الصف والجنود تجمهروا حولنا واخذوا يقذفوننا بشتى الكلمات والاهانات . وقد جرى توزيعنا على الغرف وكان نصيبي غرفة رقم ٩ المخصصة لمشاجب السلاح مع اثني عشر ضابطا ومدنيا ..
كانت الغرفة تفتح فى ساعات متأخرة من الليل لاخذ احدنا للتحقيق

وكانت هذه الحالات تتكرر دوما . وقد اخذ الملازم الاول عبد الرزاق حمدي الى هيئة التحقيق مرارا وكان يعود محمولا على اكتاف الجنود .. وفي احدى الليالي فتح باب الغرفة وادخل ضابط غير قادر على السير حيث كان ظاهرا عليه الضرب والتعذيب وكانت الدماء تنزف من يديه وقدميه وتبين انه الرئيس سالم احمد وبعد يومين دخل الملازم قاسم جراد والملازم يوسف شاكر واخذا يضربان الرئيس سالم احمد مع توجيه اقذر الالفاظ والسباب .

وفي ذات ليلة وفي ساعة متأخرة فتح باب الغرفة وادخل الزعيم الركن شاكر محمود شكري معاون رئيس اركان الجيش وبعد مرور يومين دخل ضباط كتيبة الدبابات الثانية واخذ اثنان منهم يضربان الزعيم شاكر ..

وبعد مرور اربعين يوما دعيت الى هيئة التحقيق مع العقيد نوري الراوي والمقدم ذياب العلكاوي والمقدم جميل السعودي . وكان ذلك ليلة ٤\٥-٥-٥٩ . وقد مرت الليلة بكاملها والتعذيب جار على العقيد نوري الراوي بشكل تستنكره الانسانية ويمجه الذوق السليم .

فقد كانت حالته تنذر بأن حياته معرضة للخطر . وكانت الدماء تسيل من رأسه بغزارة . وكان حال المقدم جميل السعودي لا يختلف عن حال صاحبه فقد ضرب وعذب ايضا وكنا نسمع صياحهما وعويلهما .

بعد ذلك ادخلونا انا والمقدم ذياب العلكاوي لمشاهدة العقيد نوري الراوي وهم يهددون بأن حالنا سيكون مثل هذه الحال اذا لم نتكلم كما يريدون وكنت أنا ورفيقي قد كبلت أيدينا بجامعات اليد حتى الصباح حيث اعادونا جميعا الى المعتقل اذ لم يكن الوقت يكفي لتعذيبنا نحن الاربعة في ليلة واحدة .

× × ×

المقدم ذياب العلكاوي آمر معمل الميدان الرابع بكركوك

قال - ليلة ٢٦-٢٧\٣\١٩٥٩ ايقظني ضابط من دائرة الانضباط العسكري للحضور امام الهيئة التحقيقية الخاصة . وكان معي العقيد

ياسين محمد السامرائي الذي حضر بنفس الاسلوب . وعند وصولنا البناية التي تشغلها الهيئة شاهدت العقيد ابراهيم الكيلاني يجلس على مقعد فى مدخل الجناح وقد تورمت قدماه وتمزقت سترته العسكرية من الكتفين . فدخلنا غرفة الانتظار وهناك شاهدت شابا يرتدي الملابس المدنية مستندا على الجدار بيديه وقد رفع احدى رجليه عن الارض . ثم شاهدت المقدم الركن يونس عطار باشي يحمل ورقا للكتابة ويدخل الغرفة المقابلة . ولم تمض فترة حتى سمعت اصوات العصي تلهب ظهره .

استدعي العقيد ياسين السامرائي ولم يغب عني طويلا حتى عاد وقد خلعت رتبته العسكرية مع الكتافيات وضرب . وفى الساعة الثالثة بعد منتصف الليل امرنا بالنزول الى الشارع لركوب السيارات الى معتقل الدبابات وكان الملازم قاسم جراد يرفع عصاه ويستعجلنا نزول درجات السلم . وكأنه يسوق قطيعا من الاغنام .

× × ×

الرئيس الاول الركن حاتم رشيد

قال ـ اعتقلت بتاريخ ٣٠ـ٣ـ٩٥٩ فى معتقل « ابو غريب » وكنت اعتقد ان اعتقالي سوف لا يطول اكثر من اسبوع . وفى يوم ٣١ـ٣ استدعيت للتحقيق فى مقر مدرسة العجلات المدرعة . كان حاضراً فى التحقيق اكثر من ثمانية ضباط بينهم الرئيس الاول خزعل السعدي آمر كتيبة الدبابات والرئيس الاول خليل ابراهيم العلي آمر مدرسة العجلات المدرعة والملازم صبحي والملازم عبد الرزاق الدواي والرئيس باقر كشوان والملازم خالد والملازم صفاء وغيرهم . وقد استدعي معي للتحقيق المقدم عبد الخالق شيخ العرب والرئيس الاول الركن مجيد علي السعدي والملازم الاول ابراهيم اسماعيل . وقد وضع هؤلاء فى غرفة مجاورة وبقيت أنا مع المحققين .

استفسر مني الرئيس الاول خزعل السعدي عن مؤامرة الشواف فأجبت اني مخلص للجمهورية .. واذا بالرئيس خزعل يتغير لون وجهه ويندفع الي بشراسة قائلا : نحن شيوعيون ويجب ان تسود الشيوعية

ولدي كتيبة دبابات اقاتل بها فى سبيل مبادئي فاذا لم اوفق سأنتحر »
.. والتفت الى الضباط الحاضرين يقول : اليس كذلك . فأيدوا قوله ..

عندما سمعت هذا الكلام لم اصدق . فقد وقع علي وقع الصاعقة.
واندفعوا نحوي بكل شراسة واوسعوني ضربا ومزقوا قمصلتي وخلعوا رتبتي العسكرية . وضربوني بكل ما أوتوه من قوة وبعصي غليظة ..

ثم امروا الجنود بسحلي حتى وصلت غرفتي بالمعتقل وكان فيها من المعتقلين العقيد منير فهمي الجراح والعقيد مدحت حاج سري والمقدم عبد الخالق شيخ العرب والرئيس الدكتور طارق الدراجي والملازم خيري حمدي والمهندس عدنان القصاب والمقدم الركن خالد مكي . فأعدت عليهم القصة فلم يصدقوا وبقيت اكثر من اسبوع لا أقوى على السير

واخذت للتحقيق امام الهيئة التحقيقية الخاصة فبقيت عدة ساعات ولم يجر معي اي تحقيق . وقد أمرت ان اقف على قدم واحدة ويدي مرفوعة طيلة هذه المدة ولما اردت استريح اوكلوا بنا نائب العريف عمر من مدرسة العجلات المدرعة فكان يشتمنا ويركلنا ويهددنا بالويل اذا انزلنا ارجلنا ..

× × ×

الرئيس الركن عبد الحميد جليل ضابط استخبارات الفرقة الاولى

قال ـ اعتقلت ١٨ـ٣ـ١٩٥٩ فى مقر الفرقة الاولى وارسلت الى بغداد مخفورا واودعت معتقل مدرسة الهندسة لمدة يومين نقلت بعدها الى هيئة التحقيق الخاصة . وقد ادخلت احدى الغرف انتظارالدخولي غرفة التحقيق التي ادخلوا اليها قبلي الرئيس الركن صبحي الطعان وكنت اسمع اصوات الاستغاثة واصوات التعذيب وانا بانتظار دوري .

وعندما ادخلت غرفة التحقيق لم يكن هناك اي تحقيق . فقد تقابل علي بعض الضباط ونزعوا رتبتي من كتفي وانهالوا علي ضربا بالعصي الغليظة لاكثر من ساعتين .

كان الضرب مستمرا علي في وقت واحد من قبل اربعة ضباط وقد نزعوا عني حذائي وربطوا ارجلي بحبل وانهالوا علي بالضرب حتى اغمي علي عدة مرات .

لقد قام بهذه الجولة العقيد الركن هاشم عبد الجبار والعقيد جلال بلطه والمقدم عبد الرزاق الزبيدي والرئيس الاول سعدي علي والمقدم عدنان الخيال والمحققان العدليان داود خماس وعطشان ضيئول، وهكذا استمرت هذه الجولة من التعذيب حتى الصباح . ولم يقتصر الامر على التعذيب فقط بل تعداه الى السلب . فقد سلبوني قلمي الحبر وساعتي بعد ان كسروها ثم حملني اربعة جنود الى السيارة التي نقلتني الى معتقل الدبابات .

بقيت في معتقل الدبابات وانا عاجز عن السير والحركة الا بمعاونة الضباط المعتقلين . وبعد نحو عشرة ايام عندما اصبح بامكاني السير لوحدي اخذوني مرة أخرى للتحقيق . وهناك ادخلت الغرفة ووجدت الرئيس الركن صبحي محمود الطعان مكبل القدمين ومغمي عليه . واستمر علي التعذيب اقسى من الجولة الاولى مع سيل من الشتائم القذرة التي لا يمكن لانسان مهذب ان يتفوه بها . وقد ربطوا قدمي بحبل واخذوا بسحلي داخل الغرفة كما ضربوني على أسفل قدمي ضربا مبرحا ثم سحبوني من شعري لمسافة عشر ياردات او اكثر ولست ادري كم مرة اغمي علي .

ان هذه الجولة اشترك فيها العقيد جلال بلطه والمقدم عبد الرزاق الزبيدي والرؤساء شاكر الخطيب وعمر فاروق ومحمود جلال وسعيد مطر الذي كان اشدهم تنكيلا .

نقلت الى معتقل الدبابات ثانية وبقيت نحو اسبوعين حتى اصبح بامكاني الاعتماد على نفسي في السير . وفي احد الايام جاء آمر المعتقل الرئيس فاضل البياتي والرئيس الاول الركن محمود سامي لزيارتنا وكنت اتحدث الى احد المعتقلين وهو المحامي جمال سري فأخرجني الرئيس فاضل البياتي خارج الغرفة لمعاقبتي لانني تحدثت مع هذا المعتقل وامر معاونه الشخصي العريف الشيوعي « دحام » ان يأخذني الى الحمام ويعلقني من رجلي ولكنه ابدل هذا الامر في اللحظة الاخيرة

الى دعوة كريمة لتناول الشاي فى حانوت الجنود بعد ان اشار للعريف المذكور اشارة متفق عليها .

اخذني العريف دحام الى الحانوت وهناك جمع حولي نحو عشرين جنديا من جنود الكتيبة وطلب منهم الاعتداء علي . وهكذا بقيت نحو عشر دقائق اتلقى انواع الركلات والضربات . وقد تخلصت من الموت باعجوبة بعد ان تدخل العريف الهمام واخرجني من الحانوت بينما تستمر فوقي الضربات بالطابوق والاحذية .

لقد شهدنا أقسى انواع التنكيل فى معتقل الدبابات الذي اهدرت فيه الكرامات من قبل الضباط وعلى رأسهم آمرهم المقدم عدنان الخيال والرئيس الاول سعدي علي وجماعة الملازمين مثنى الراوي ويوسف شاكر وخالد عيسى وسالم الفارس وقاسم جراد .

وقد جعلوا من التنكيل بنا تسلية لهم تبدأ عادة بعد منتصف الليل وكانت تبدأ كل حفلة باخراج اثنين او ثلاثة من المعتقلين لتعذيبهم .

ومن الذين اخذوا للتعذيب الليلي العقيد الركن عبد الكريم فرحان والعقيد ابراهيم الكيلاني والعقيد عبد الحميد عبد الرحمن والملازم الاول عبد الله مجيد وغيرهم .. وكانت هذه الحفلات تتكرر كلما لعبت الخمرة برؤوس الاشاوس من ضباط كتيبة الدبابات المذكورين .

× × ×

الملازم الاحتياط الطبيب ابراهيم يحيى

قال : يوم ١-٣-٩٥٩ جاءني ضابط اسمه « جاسم محمد » واخذني مع اثنين من الضباط هم الرئيس يحيى مصطفى من ضباط مستشفى الموصل العسكري والرئيس محمد رجب الى معسكر الغزلاني واعتقلنا فى بهو التعبئة . وبعد فترة شددنا من ايدينا الى الخلف بسيارة لوري الى مطار الموصل . وكنا انا والرئيس يحيى مصطفى والرئيس محمد رجب والرئيس حازم حسن والرئيس الاول مجيد الجلبي وعبد القادر العاني ومحسن العاني . وفى المطار هجم علينا الجنود واوسعونا ضربا بالارجل وبالايدي وشددنا من ايدينا وارجلنا ووضعنا داخل

الطائرة التي استمر ضربنا فى داخلها حتى وصلت بنا بغداد .

وفى بغداد استقبلنا ضباط الطيران بالضرب الشديد وكان بينهم الملازم الطيار حقي رشيد والملازم الاول غالب ابراهيم والرئيس الاول شاكر الخطيب وبين الضرب والشتائم والاهانات اخذونا الى معتقل الدبابات ولم تفك ايدينا حتى صباح اليوم التالي . وقد بقينا فى غرفتنا فى المعتقل ثلاثة ايام ونحن نفترش الارض بينما يدخل علينا الجنود والضباط بين فترة واخرى يتفننون فى ضربنا واهانتنا

وفى احد الايام طلبني الرئيس فاضل البياتي واراد مني ان اشهد كذبا على بعض الضباط . ولما رفضت انهال علي بالعصا واشترك معه الملازم خالد عيسى .

وبينما البياتي يواصل ضربي بعصاه كان يقول : نحن الشيوعيون سنجلب الى هنا حتى مجلس السيادة .

وكان الاطباء يأتون لاهانة المعتقلين لا لمعالجتهم وقد لقيت الكثير من اهاناتهم وهما الدكتور رافد صبحي والدكتور طارق عواد .

وكان المقدم عدنان الخيال يتجول فى المعتقل لاهانة المعتقلين وضربهم ومنه نالني الكثير من الاهانات . وفى احدى المرات قرر ان يعتقلني فى دورة المياه لولا ان توسل به بعض المعتقلين

مرة جاء الملازم قاسم جراد واخذني الى مقر الكتيبة وادخلوني غرفة فيها رجل ممدد وقالوا لي : افحص هذا المريض .. وكان مرض الرجل مرده الى التعذيب والتعب حتى كان لا يتحرك ومغمى عليه وحالته خطرة .

وبعد ان فحصته طلبت اليهم ضرورة نقله الى المستشفى حالا لان حالته تستوجب ذلك . ولكن الرئيس فاضل قال انه على استعداد لاحضار اي دواء اطلبه الى هنا فأكدت ضرورة نقله الى المستشفى وهنا أهانني الرئيس فاضل واخذني احد الجنود الى غرفتي بالضرب والشتم ..

× × ×

الملازم مخلف عبد العزيز الدليمي من لواء المشاة الثالث

قال : بعد اعتقالي وارسالي الى معتقل الدبابات . وفى يوم

٢٠-٥-٥٩ استدعاني الرئيس فاضل البياتي آمر المعتقل واخبرني ان شخصا مدنيا سيقابلني فى بهو الضباط . وهناك وجدت الشخص المدني المدعو « عبد الفتاح سيد حمدون » وهو تاجر اقمشة فى الموصل .

لقد عجبت من هذه المقابلة لاستحالتها فى ذلك الوقت ولانها لايمكن ان تتم الا بالحصول على موافقة الحاكم العسكري . ولما استفسرت من هذا الشخص عن كيفية استطاعته الحصول على الاذن بالمقابلة قال: ان الحزب الشيوعي اتصل تلفونيا بالرئيس فاضل البياتي .

ان عبد الفتاح سيد حمدون هذا هو احد اعضاء الحزب الشيوعي وكنت قد عرفته بالموصل بحكم الجيرة والزمالة الدراسية منذ عام ١٩٥١ حتى عام ١٩٥٣ حيث غادرت الموصل الى بغداد للالتحاق بالكلية العسكرية وقد انقطعت علاقتي به منذ ذلك التاريخ .

بعد ان جلسنا فى بهو الضباط قال لي بالحرف الواحد : لقد كنت يا مخلف تحمل افكار ديمقراطية متحررة فضلا عن انك من عائلة فقيرة. وقد ارسلني الحزب الشيوعي لاتشبث لاطلاق سراحك . وسوف تخرج من المعتقل بعد عشرة ايام على ان توافق على شروطنا .

قلت : ماهي شروطكم ؟..

قال : - نطلب منك التجسس على المعتقلين وتقديم التقارير عنهم وسوف استلمها منك شخصيا ..

- يجري اخراجك من الجيش ويطلق سراحك وذلك لميولك القومية وبهذه الطريقة يمكنك ان تندس بين الضباط والمدنيين . على ان تقدم المعلومات الى الحزب الشيوعي عن طريقي كل خمسة عشر يوما لمعرفة قوة العناصر التي تعارضنا فى العراق .

- يكون لك حرية التنقل بين الوية العراق للغرض نفسه .

ولما استفسرت منه الى اي مدى استمر فى هذا العمل قال : تستمر حتى نستطيع السيطرة على الحكم . وسوف نستلم الحكم قريبا ونمنحك الرتبة التي تستحقها .

ثم قال : ان الزعيم عبد الكريم قاسم بدأ يخرج بعض القوميين من السجون وهؤلاء خطر على الحزب وعلينا ان نضربهم قبل ان يتكتلوا مع بقية الاحزاب ضدنا

. فتظاهرت بالموافقة وعدت الى غرفتي وأخبرت العقيد عبد اللطيف الدراجي .

. وبعد ايام نقلني الرئيس فاضل البياتي الى غرفة فى مشاجب السلاح وفى ليلة ٢-٦-٥٩ استدعاني فى العاشرة مساء الى بهو الضباط حيث كان هناك نحو عشرين ضابطا . وبمجرد دخولي انهال علي الضباط ضربا الى ان اغمي علي ثم شدوني الى « الفلقه » ثلاث مرات وفى كل مرة كنت افقد الوعي فيها كانوا يرشون على وجهي ورأسي الماء المثلج . وكانوا يسكبون الماء فى اذني وفمي وانفي .

واستمرت عملية التعذيب هذه ثلاث ساعات ثم خلعوا عني جميع ملابسي سوى اللباس الداخلي الذي احتفظ به وهو مليء بالدم . كما حاولوا قلع اظافري وما زال اثر ذلك فى الاصبع . ثم سلموني الى الجنود ووضعوا الحبل فى رقبتي استعدادا لسحلي وبعد كل هذا اخذ الرئيس فاضل البياتي يضربني بحذائه على رأسي .

بعد ذلك احتفظ الرئيس البياتي ببجامتي وهي ملطخة بالدماء .. وهنا نقلوني الى غرفتي وكان فيها من المعتقلين العقيد الركن جميل الخشالي ومقدم الجو الركن عارف عبد الرزاق والصحفي خالد قادر والمحامي رمزي العمري والسيد ابراهيم نفطجي والسيد محمود الصالحي رئيس غرفة تجارة كركوك والسيد مظهر التكريتي . وكلهم شاهدوا حالي .

× × ×

الملازم علاء الدين كاظم

قال : تناول كل من الرئيس الاول شاكر الخطيب والرئيس الاول سعيد مطر العصي الغليظة وانهالوا علي ضربا شديدا فأخذت اصيح من الالم صياحا ربما سمعه من كان على مسافة بعيدة . ولما لم ينفع الصياح اخذت استنجد بالله ولكنهم ازدادوا ضربا . وانا انسان ولي طاقة محدودة . فقلت لهم : قفوا سأكتب ما تريدون !! فتوقفوا ورفعوني عن الارض واخذوا يهرولوني داخل الغرفة ثم اجلسوني على كرسي وقالوا: اكتب ان الرئيس احمد ابو الجبن متآمر وانكم تريدون احتلال وزارة الدفاع ومعسكر الدبابات . فأقشعر بدني وكان وقع هذه الكلمات علي

كوقع الصاعقة فقلت لهم : والله ليس هناك اي شيء من هذا ؟.. فأخذ العقيد جلال بلطه يشتمني بألفاظ بذيئة جدا ثم صاح بهم . اضربوه .. .. فطرحت ارضا وشدوا « الفلقه » فى ارجلي واخـذوا بالضرب وانا اصيح حتى كادت تنقطع اوتار حنجرتي وقد تمنيت الموت .

لم يتوقفوا عن الضرب الا وقد انهارت قـواي . ثم حملوني مـن اكتافي وراحوا يركضون بي فى الغرفة وبعدها اجلسوني على كرسـي وقالوا لي : اكتب .. فرفضت . فاخذ الرئيس الاول سعيد مطر يشتمني ببذاءة فانهارت قواي ولم اعد قادر على التفكير . وبقيت ساكتا فانهالوا علي بالضرب على ظهري بالعصي الغليظة والخيزران ثم رفسني الرئيس الاول شاكر الخطيب فأوقعني على الارض انا والكرسي .

. وهنا اخذت تخرج من فمي كلمات غير مفهومة واخذت اصرخ فلم يأبهوا لي فقلت : قفوا .. سأكتب ما تريدون . فتوقفوا ورفعوني من الارض واجلسوني على كرسي . فقلت لهم : قولوا وانا اكتب اي شيء يحلل اعدامي لكي اتخلص من الضرب ..

واي ضرب هذا الذي يدفع الانسان لطلب الموت .. وفى هـذه الاثناء ادخل الرئيس زاهد اسماعيل وعليه آثار الاعياء الشديد وكان يعرج فى مشيته ورتبته العسكرية مخلوعة من كتفه فبادره الرئيس الاول سعيد مطر « .. اننا اربعة من الشيوعيين سيطرنا على وزارة الدفـاع وجعلنا الزعيم خاتما فى ايدينا نحركه كيفما نشاء واذا حاد عن مبادئنـا نسحله كما سحلنا نوري السعيد » ..!!

هذه الكلمات آلمتني جدا وأثارت اعصابي فقد وضح عندي ان هيئة التحقيق تعمل بوحي من مصالح خاصة وليس بوحي من من مصلحـة الجمهورية » .. فمسكت بالقلم واخذ الملازم الاول الطيار فريد ناجي والرئيس الاول المظلي عبد النبي يمليان علي اشياء لا اتذكرها . وقـد دخل الغرفة فى هذه اللحظة الرئيس احمد ابو الجبن والرئيس الطيار منعم اسماعيل وقد بلغ الاعياء فيهما أقصى الحدود فسقطت من الكرسي وأغمي علي ولم اشعر بعد ذلك الا وانا مطـروح علـى الارض فى غرفـه المعتقل ..»

× × ×

• والآن .. ماذا تقولون فى هذا الصف الطويل من الدموع ..؟..

• ماذا تقولون فى هذه الاحزان التي ركبت قلوب الناس فى عراقنا الحبيب ..؟.

• ماذا تقولون لهذا الرجل الذي فقد عقله فصب سياط نقمته على هؤلاء الضباط العرب لانهم رفضوا الانحراف . ورفضوا الخضوع لفصائل المنحرفين ..؟..

• كيف سيكون الحساب مع هذا الطاغية الذي قتل الكرامات . والمرؤة .. فى ارض العراق العربية ..؟

• لماذا حدث كل هذا فى العراق ؟.. ولمصلحة من يحدث كل هذا فى كل يوم ؟.. والى اي مدى يستمر كل هذا فى عراقنا العربي ؟

• ولماذا يحقد هذا الرجل المسلول على ذلك الرجل الصحيح الجسم والتفكير الذي حقق لامته .. وحقق للعرب .. لاول مرة فى تاريخهم الحديث نواة وحدة متينة دفعت بالعرب الى الامام نحو مستقبل أشرف .. وافضل . واكرم ..؟.

• لماذا يحقد ؟.. على جمال عبدالناصر ؟

• لماذا حقد وابعد خيرة الضباط العرب فى جيش العراق العربي لانهم رفضوا تسليم العراق الى حفنة من الشعوبيين العملاء ؟

• لماذا بقي حوله العقيد وصفي طاهر الحارس الامين لنوري السعيد ؟..

• لماذا بقي حوله . فلان . وفلان .. ممن يعرفهم الجيش . ويعرف ماضيهم . ولايثق بحاضرهم ؟..

• ان الرجل المجنون عبد الكريم قاسم حقد على كل هؤلاء الضباط فأبعدهم لان احاسيسهم النظيفة رفضت التعاون معه .. وأبت الانحراف عن المخطط المعد .. المتفق عليه .. لنجدة هذه الامة ..

• ان المجنون الاوحد .. أبقى حوله .. فقط .. الضباط الذين جعلوا من أحذيته أوسمة على صدورهم .. والذين قبلوا الانحراف احتفاظا بمناصبهم التافهة ..

لقد قبل هؤلاء الضباط السجود للاله الجديد .. وقبل هؤلاء انصاف الرجال ان يرغموا الناس العزل على السجود معهم .. وقبل هؤلاء الفقاعات ان يلعب زمرة من الشيوعيين والشعوبيين الذين سيطروا باسم الزعيم الاوحد على رقاب الناس . وراحوا يذبحون العروبة بلا حساب النتائج .. وبلا حاسة شم تنبئهم بالغد القريب ..

× × ×

. وهكذا جاء الغد القريب

. « وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون .. صدق الله العظيم ..

شاءت المقادير ان تتغير الايام .. وان يمحق الله الديدان الحمراء .. ويبيد قاسم .. وتنطلق ثورة الرابع عشر من رمضان يقودها احرار العراق . وتباركها عروبة العراق ..

لقد انتهى قاسم .. وانتهت جموع الشعوبيين . ووقع الصياد فى شبكة الضحية ..

وسيقول الله كلمته فيهم .. كما قالها فى زعيمهم المسلول عبد الكريم قاسم ..

ان هذا التحقيق الصحفي الذي بقي مختفيا طيلة السنوات التي تجبر فيها قاسم على العراقيين وعلى عروبة العراق .. قدر له ان يتطلع الى نور الحرية .. وان يرفع الستار عن تلك المخازي التي حاول قاسم وحاول رجاله ان يتستروا عليها ..

لقد تطلعنا الى الله دائما .. ونحن فى اشد ايام المحنة ..

فلم يتركنا ولم يخذلنا .. بل الهمنا الصبر ووهبنا الشجاعة على احتمال الشدة ..

وشكرا لله ... والنصر للعرب

× عندما كتبت هذا التحقيق . . . كنت أعيش تلك المحنة السوداء التى عاشها هذا الوادي الطيب . .

× لقد كتبته وانا في قمة الحزن . . . وقد اخرجته للشمس بعد ثورة ١٤ رمضان المباركة .. وانا في غمرة الفرحة التي عمت شعبنا العريق ..

× وعندما اخرجته من سجنه .. كنت قد عزمت على أن لا أغير فيه كلمة .. ولا أغير فيه جملة ..

× وكنت أود .. أن يبقى كما هو .. خليط من الحزن والفرح .. يذكرني ويذكر اخواني بالمعتقل الاسود كيف كنا . والى أي مدى واجهنا المحنة ...
ولكي تكون فرحة الحرية .. اشد وأقوى وأوسع ..

× لقد ابقيت رتب الضباط الذين شهدوا تلك المحنة كما هي .. وبعضهم الآن يتحمل مسؤولية قيادة هذه السفينة برتبة أعلى ..

× تحياتي للشهامة . . وللتضحية . . والمجد للعروبة . .

خالد قادر


طريق
الى أم الطبول
منشورات شركة
السعر ٢٠٠